

المدينة المنورة في العصر الأموي

"دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية"

إعداد

عبدالله موسى محمد النوافعة

إشراف الأستاذ الدكتور

صالح خلف الحمارنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب / ٢٠٠٣م



نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور صالح الحمارنة رئيساً
أستاذ التاريخ الإسلامي

.....

الدكتور محمد خريسات عضواً
أستاذ التاريخ الإسلامي

.....

الدكتور محمد بطاينة عضواً
أستاذ التاريخ الإسلامي

.....

الدكتور صالح درادكة عضواً
أستاذ التاريخ الإسلامي

.....

سنة ٢٠٠٢م



الإهداء

إلى والديّ الكريمين ، رمز المودة والحنان ، برّاً بهما وإحساناً لهما .
إلى أخي (غازي النوافعة) ، في ذمة الله ، الذي قضى فتياً في رحاب طلب
العلم والمعرفة .
إلى زوجتي كفاء الصبر والتحمل ، ونفحات المحبة .
إلى كل أولئك الساهرين شوقاً إلى استجلاء الحقيقة .
إلى كل الذين حملوا المشاعل ليبعدوا بنورها حلكة الظلام .
إلى كل من وقف معي ، فأمدني بجهدده ، وشاركني بنبضات قلبه ،
إسهاماً منه لتتري هذه الرسالة النور .
إلى كل الذين تهفو أفئدتهم صوب المدينة المنورة ، محبةً لساكنها ،
وإيماناً برسائلته العظيمة الخالدة .
أهدي هذا البحث



الشكر والتقدير

لا يسعني أولاً وبعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة إلا أن أتقدم بجزيل الشكر، ووافر الامتنان والعرفان إلى الأستاذ الدكتور صالح الحمارنة، الذي أكرمني بقبول الإشراف على رسالتي، ومتابعته لي طوال فترة إعداد الرسالة، كما كان لملاحظاته القيمة فضلٌ كبير في إثراء هذه الرسالة وإخراجها في هذه الصورة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محمد خريسات رئيس قسم التاريخ على الملاحظات القيمة التي أبداهَا أثناء إعداد هذه الرسالة. والشكر الموصول إلى الأستاذ الدكتور محمد البطاينة على قبوله تقييم هذه الرسالة، وإبداء الملاحظات عليها، والتي ساهمت في استكمال هذه الدراسة قبل إعدادها للمناقشة.

وأقدم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور صالح الدرادكة على تفضله بقبول مناقشة رسالتي.

كما وأقدم شكري وامتناني إلى الأستاذ حسن شبانة على قراءته هذه الرسالة، وإخراجها بلغة نحوية سليمة.

وأقدم شكري إلى كل من زوجتي لبنى واشقائي أبو عماد وأبو زيد وسامي وعلي وزوجاتهم على مشاركتهم إياي عنائي، فكانوا عوناً مادياً ومعنوياً لي طيلة فترة الدراسة.

ولا يفوتني أن أشكر جميع الزملاء الذين ساهموا في استكمال هذه الدراسة، وبروزها بشكلها النهائي، وأخص بالذكر الأستاذ صالح العبابسة، والأستاذ عيسى الرواحنة والأستاذ سامي الفقهاء وطابع الرسالة الأستاذ كاظم العراقي. فلهم مني كل الحب والتقدير.



" والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه "

المختصرات والرموز

عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة يذكر كالاتي:

مثال: الطبري، تاريخ ج، ص.

— الرموز والمصطلحات:

ص	= صفحة.
ج	= جزء.
م	= مجلد.
ق	= قسم.
ع	= عدد.
ط	= طبعة.
ت	= توفي.
(ب ت)	= بدون تاريخ النشر.
(ب د)	= بدون دار نشر.
(ب ط)	= بدون طبعة.
هـ	= هجري.
م	= ميلادي.
*	= إشارة بمثابة التوثيق.
(ص)	= صلى الله عليه وسلم.
(رض)	= رضي الله عنه.



فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	عنوان الرسالة
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	المختصرات والرموز
و - ح	فهرس المحتويات
طي	الملخص باللغة العربية
١ - ٣	المقدمة
٤ - ٨	التعريف بالمصادر
الفصل الأول	
٩ - ٤٨	جغرافية المدينة وخططها
١٠ - ١٤	أسماء المدينة
١٥ - ١٦	جغرافية المدينة
١٧	المناخ
١٨ - ٢٦	أودية المدينة وآبارها وعيونها
٢٧ - ٢٩	الجبال والحرار
٣٠ - ٣٤	قرى المدينة
٣٥	أطام المدينة
٣٦ - ٤٨	خطط المدينة
٣٨ - ٣٩	المسجد النبوي
٤٠	بيوت النبي
٤١ - ٤٤	منازل المهاجرين
٤٤ - ٤٥	البلاط الأعظم



٤٧ - ٤٦	القبائل من المهاجرين من غير قریش
٤٨ - ٤٧	سوق المدينة
الفصل الثاني	
٩٧ - ٤٩	الحياة الاجتماعية في المدينة في العصر الأموي
٨٣ - ٥٠	فئات السكان
٦٩ - ٥٠	أولاً: العرب
٦٩ - ٦٢	أهل المدينة والخلفاء الأمويين
٧٨ - ٧٠	ثانياً: الموالي
٨٣ - ٧٩	ثالثاً: الرقيق
٩٠ - ٨٤	المرأة في مجتمع المدينة
٩٧ - ٩١	المظاهر الاجتماعية في المدينة
الفصل الثالث	
١٤٢ - ٩٨	الحياة الاقتصادية في المدينة في العصر الأموي
١٠٩ - ٩٩	أولاً: التنظيمات الاقتصادية في المدينة قبل العصر الأموي
١٠١ - ٩٩	أ- ملكية الفرد
١٠٤ - ١٠١	ب- الزراعة
١٠٨ - ١٠٤	ج- التجارة
١٠٩ - ١٠٨	د- الصناعة
١٢٨ - ١١٠	ثانياً: التنظيمات الاقتصادية في المدينة في العصر الأموي
١١٣ - ١١٠	أ- ملكية الفرد
١١٧ - ١١٤	ب- الزراعة
١٢١ - ١١٧	المزروعات في المدينة
١٢٣ - ١٢١	ج- الرعي
١٢٤ - ١٢٣	د- التجارة
١٢٨ - ١٢٤	الأسواق التجارية



١٣٠ - ١٢٩	هـ- الحرف والصناعات
١٣٢ - ١٣١	العملة المتداولة
١٤٢ - ١٣٣	ال عمران في المدينة
١٣٧ - ١٣٣	أولاً: المساجد
١٤٢ - ١٣٨	ثانياً: القصور
الفصل الرابع	
١٨٩ - ١٤٣	الحياة الثقافية في العصر الأموي
١٦٥ - ١٤٤	أولاً: الناحية التعليمية
١٥٠ - ١٤٤	أ- القراءة والكتابة والأدوات
١٥٧ - ١٥١	ب- المراكز والمجالس التعليمية
١٥٣ - ١٥١	الكتاتيب
١٥٧ - ١٥٤	المسجد
١٦٥ - ١٥٨	ج- علماء المدينة في العصر الأموي
١٧٣ - ١٦٥	ثانياً: العلوم الإسلامية
١٦٦ - ١٦٥	أ- القرآن الكريم
١٦٨ - ١٦٧	ب- علم التفسير
١٦٩ - ١٦٨	ج- الحديث
١٧١ - ١٧٠	د- علم الفقه
١٧٣ - ١٧٢	هـ- السيرة والتاريخ
١٨٩ - ١٧٤	ثالثاً: الجانب الأدبي في المدينة
١٨٩ - ١٧٥	الشعر والغناء في المدينة
١٨٠ - ١٧٥	أولاً: الشعر
١٨٩ - ١٨١	ثانياً: الغناء
١٩٢ - ١٩٠	الخاتمة
٢١٣ - ١٩٣	قائمة المصادر والمراجع
٢٢٩ - ٢١٥	ملاحق البحث
٢٣٠	ملخص باللغة الإنجليزية



الملخص باللغة العربية
المدينة المنورة في العصر الأموي
دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية
إعداد

عبد الله موسى محمد النوافعة
المشرف

الأستاذ الدكتور صالح خلف الحمارنة

تناولت هذه الدراسة المدينة المنورة في العصر الأموي ، دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية ، في محاولة لإبراز أهم النواحي الحضارية ، ومدى التغيرات التي طرأت عليها أثناء العصر الأموي .

وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول ، الأول منها تمهيدي تناول جغرافية المدينة وخططها ، وهو فصل مهم للفصول اللاحقة ، نظراً لما يحتويه من معلومات عن جغرافية المدينة ، مركزاً على موقعها ومناخها وجبالها وحرارها وقراها وخططها خاصة المسجد النبوي ومنازل المهاجرين ، وسوق المدينة .

أما الفصل الثاني فتناول الحياة الاجتماعية في المدينة ، مبرزاً فيه فئات السكان وأماكنهم ، ومكانة المرأة ، والمظاهر الاجتماعية السائدة فيها.

أما الفصل الثالث فقد عرض الحياة الاقتصادية في المدينة ، مبيناً التنظيمات الاقتصادية في المدينة قبل العصر الأموي ، وأثناءه ، كالزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من التنظيمات بالإضافة إلى العمران خاصة المساجد والقصور .

ويتناول الفصل الرابع الحياة الثقافية في المدينة في العصر الأموي جوانب في غاية الأهمية ، متمثلة في الجانب التعليمي والجانب الديني والجانب الأدبي ، وقد أبرز من خلال هذا الفصل المكانة الثقافية التي بلغتها المدينة في العصر الأموي خاصة في مجال الشعر والغناء .



ي

وقد توصلت الدراسة أن الفئات السكانية التي أقامت في المدينة في العصر الأموي تنحصر في ثلاث فئات هم العرب والموالي والرقيق ، وقد كان لكل من الموالي والرقيق مساهمات كبيرة في جميع مجالات الحياة.

كما كان للمرأة أيضاً نشاط واضح لا يقل عن نشاط الرجل في المدينة ، فقد شاركت في الحياة السياسية والأدبية .

كما أن المدينة في هذا العصر أخذت بكل مظاهر الحياة المختلفة ، وكان النشاط الاقتصادي في المدينة رائجاً في جميع نواحيه الزراعية والتجارية والحرفية ، فقد استصلحت الأراضي وتم إحياءها ، وزرعت بجميع أنواع المزروعات .

كما أنشئت الأسواق ، وملئت بالبضائع من الأمصار ، ووصل العمران في المدينة إلى درجة عالية من الجمال والرونق ، فقد شيدت البناء في المدينة بالفسيفساء والمرمر والساج .

وقد نشطت الحياة الثقافية في كل جوانبها العلمية والدينية والأدبية ، فقد أنشئت الكتاتيب وأقيمت حلقات التعليم في المسجد ، وانتشرت العلوم الإسلامية ، وأزدهر كل من الشعر والغناء .



المقدمة

للمدينة المنورة مكانة خاصة في الحياة في صدر الإسلام ، فقد كانت القاعدة التي هاجر إليها الرسول الكريم وصحبه من المهاجرين ، فلقى من أهلها ترحيباً ونصرة ، فقام بتثبيت دعائم الإسلام فيها وجعلها قاعدة دولة الإسلام.

وظلت المدينة مركز الدولة الإسلامية في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومقام الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وصحابة رسول الله وقد احتفظت المدينة بمكانتها المرموقة في الدولة الأموية حتى بعد أن انتقل منها مركز الخلافة إلى الشام، فقد ظلت مركزاً لحياة اقتصادية واجتماعية وفكرية نشيطة، بفضل العطاء الذي كان يوزع بانتظام على السكان ، والهبات التي كان يصدقها كثير من الخلفاء الأمويين على رجالات أهل المدينة ، هذا فضلاً عن ازدهار التجارة والزراعة والأعمار الذي أعان على نمو الحياة الاجتماعية ، وعلى ازدهار الشعر والغناء ، ويبدو أن المدينة المنورة ظلت المركز الروحي والفكري في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، فقد ظلت مقام أكبر عدد من الصحابة الذين سمعوا تعاليم الإسلام من الرسول (صلى الله عليه وسلم).

بناءً على ذلك اهتم كثير من الباحثين بالجوانب السياسية ولم تحظ الجوانب الحضارية بنفس العناية ، ولذلك ارتأيت أن أبحث في هذه الجوانب الخاصة بالمدينة المنورة في العصر الأموي ، وعلى الرغم من ندرة المعلومات وتناثرها في ثنايا المصادر والتي تحتاج إلى صبر ومثابرة ، فقد قمت جاهدًا ما استطعت ، باستشراف هذه الجوانب لعلها تكون بداية لمن أراد التوسع فيها.

ويشتمل هذا البحث على أربعة فصول رئيسية ، أما الأول منها فهو تمهيدي، تناولت فيه أسماء المدينة وجغرافيتها والمناخ السائد فيها ، ثم تحدثت عن أودية المدينة وجبالها وحرارها ، كما ركزت في هذا الفصل على قرى المدينة وأطامها. وهذا الجزء الأول من هذا الفصل ، والذي من خلاله أعطيت القارئ لمحة جغرافية عن معالم المدينة المنورة والتي سوف يكون لنا فيها زيادة إيضاح في الفصول اللاحقة .



أما القسم الثاني من هذا الفصل فقد خصصته لخطط المدينة مركزاً على المسجد النبوي وبيوت النبي ومنازل المهاجرين والقبائل بالإضافة إلى البلاط الأعظم (موضع مبلط بالحجارة بين المسجد والسوق) سوق المدينة. وهذا الفصل مهم لأنه يمهد لنا الطريق لتوضيح الفصول الأخرى.

أما الفصل الثاني من هذا البحث فقد خصصته للحياة الاجتماعية في المدينة في العصر الأموي ، مركزاً فيه على فئات السكان آنذاك خاصة العرب ، وأماكن سكنهم، ثم عرجت الحديث عن طبيعة العلاقة القائمة بين سكان المدينة من العرب والخلفاء الأمويين ومدى تأثير هذه العلاقة على طبيعة الحياة الاجتماعية كما تحدثت أيضاً عن فئات أخرى من سكان المدينة وهم فئة الموالى وفئة الرقيق ومدى مساهمة كل منهم في حياة المدينة الاجتماعية في العصر الأموي كما أبرزت مساهمة المرأة في مجتمع المدينة بالإضافة إلى بيان أهم المظاهر الاجتماعية السائدة في مجتمع المدينة زمن الأمويين.

أما الفصل الثالث من هذا البحث فقد خصصته للحياة الاقتصادية في المدينة في العصر الأموي مبيناً فيه التنظيمات الاقتصادية قبل العهد الأموي ، خاصة في مجال ملكية الفرد ، والزراعة ، والتجارة ، والصناعة. وبعد جمع المعلومات عن هذا الفصل وجدت أن الحياة الاقتصادية في المدينة زمن الأمويين تعتمد بالدرجة الأولى على الزراعة ، بل هي الاقتصاد بذاته في المدينة ، فقد بينت في هذا الفصل مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بالأرض (أرض المدينة) عن طريق اقتطاعها كصوافٍ أو إحيائها وزراعتها والكسب من خيراتها ، كما بينت أهم المزروعات في المدينة ، كما أنني وضحت في هذا الفصل أهمية التجارة في المدينة والأسواق التجارية فيها والحرف والصناعات والصياغة .

أما القسم الثاني من هذا الفصل فقد خصصته للحديث عن العمران في المدينة زمن الأمويين خاصة بناء المساجد والقصور والتي اشتهرت بكثرة في المدينة خاصة في منطقة وادي العقيق .

أما الفصل الأخير من هذا البحث فقد خصصته للحياة الثقافية في المدينة في العصر الأموي ، مبرزاً ثلاثة جوانب تميزت في بعضهن المدينة عن غيرها من



المدن الإسلامية وهذه الجوانب هي الجانب التعليمي في المدينة فقد بينت أهمية القراءة والكتابة في مجتمع المدينة، موضحاً أهم المراكز التعليمية التي كانت سائدة آنذاك في المدينة خاصةً الكتاتيب والمساجد ، كما أبرزت دور علماء المدينة في النهضة التعليمية فيها.

أما الجانب الديني فقد كان التركيز على العلوم الدينية السائدة آنذاك كالقران الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه، والسيرة والتاريخ.

أما الجانب الآخر من هذا الفصل فقد خصصته للجانب الأدبي من حياة المدينة ، وقد تميزت المدينة في هذا الجانب عن غيرها من المدن الإسلامية ، زمن الأمويين ، نظراً لعوامل سياسية وموضوعية ، بكثرة الشعر الوجداني والغزلي ، والذي أدى بدوره إلى شيوع ظاهرة الغناء في المدينة والتي اقترنت بكثرة الجواري والقيان فيها .

كما بينت في هذا الجانب انشغال الناس في المدينة بهذه الفن حتى أصبح القائمون عليه لهم حظوة وجاه عند الخلفاء الأمويين قبل أهل المدينة . وأخيراً ، اقدم هذا الجهد المتواضع ، الذي لم ادخر فيه الوسع والطاقة ، ولم أضن فيه بالبذل والمثابرة ، فإن كنت قد أصبت فله الشكر والمنة على عونه وتوفيقه، وان كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت وحاولت.



تعريف بالمصادر

لقد تطلب موضوع البحث: " المدينة المنورة في العصر الأموي،دراسة اجتماعية اقتصادية ثقافية" الرجوع لأكثر المصادر في التراث العربي الإسلامي، لأن المصادر لم تعالج الموضوع مباشرة، فكان لزاماً عايّ الإطلاع على معظمها، كي أستطيع جمع ما تتناثر من معلومات متباينة ، وبالتالي الوصول إلى الهدف المطلوب.

من هنا فإن الدراسة اعتمدت على عدد كبير من المصادر، كما استفادت من عدد من المراجع الحديثة. ولكن سنقتصر هنا التعريف بأهم المصادر والتي شملت على : مؤلفات تاريخية" كتب التاريخ، الطبقات ، التراجم، الأنساب" وكتب الجغرافيا والرحلات، والأدب والخراج والفقه والحديث.

ويأتي في مقدمة هذه المصادر تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النميري(ت ٢٦٢هـ-)، حيث زودنا هذا المصدر بمعلومات هامة عن أسماء المدينة ولؤديتها ، والآبار والعيون الموجودة فيها، كما زودنا بمعلومات عن خطط المدينة بعد الهجرة،خاصة مركز السوق والبلاط الأعظم ومنازل ومحال القبائل،كما وردت فيه معلومات عن الإقطاعيات والأمالك الخاصة بالصحابة، بالإضافة إلى بيان بعض المزروعات في المدينة.

ومن المصادر الهامة والتي تخصصت في دراسة المدينة الدرة الثمينة في تاريخ المدينة للحافظ بن محمد النجار(ت ٦٤٧هـ-)،حيث استفدنا من هذا المصدر معلومات عن أسماء المدينة وأول من سكنها من اليهود والعرب، كما أفاد البحث بمعلومات عن آبار المدينة وعيونها ومساجدها خاصة المسجد النبوي.

ولعل أهم المصادر على الإطلاق تخصصاً في تاريخ المدينة وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،لنور الدين علي بن أحمد السمهودي(ت ٩١١هـ-)، ورغم تأخر هذا المصدر إلا أنه جاء شاملاً كاملاً لأخبار المدينة، فقد شمل معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية في آن واحد، ومن هذه المعلومات الحديث عن سكان المدينة من سالف الزمان، بالإضافة إلى سكنها من اليهود والعرب وفي منازلهم وشي من أطامهم، وقد زودنا بتفاصيل الزيادات التي جرت على المسجد

النبوي طوال فترة البحث، وقد وردت هذه المعلومات في الجزء الأول من هذا المصدر، أما الجزء الثاني منه فقد تحتوى على بيانات هامة عن منازل المهاجرين وتخطيط الرسول لدور المدينة وحدود البلاط وسوقها. وفي الجزء الثالث معلومات عن جبال المدينة وآبارها وصدقاتها، وعن أوديتها وبقاعها، وبيانات مفصلة عن قصورها، كما كانت الاستفادة أيضاً من الجزء الرابع والذي خصص إلى أعراض المدينة وأعمالها.

كما وجد بعض المصادر الأخرى ذات الأهمية والتي لها تخصص في المدينة وأخص بالذكر، المغانم المطابة في معالم طابة: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، وقد كان لهذا المصدر فائدة في تزويدنا بمعلومات عن تاريخ المدينة وذكر من سكنها، وبيان لأسمائها ومساجدها.

كما كانت الاستفادة مماثلة من كتاب بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، للعلامة عبد الله بن محمد المرجاني (ت ٧٦٩هـ)، والذي جاء متمم للمعلومات السابقة حول أسماء المدينة، وفي ذكر أول من نزلها من اليهود والعرب وفي بيان حدود حرمها وأوديتها ومساجدها.

وجاء تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف لأبن الضياء المكي (ت ٨٥٤هـ)، بفائدة كبيرة أيضاً للبحث.

وأنهي حديثي عن المصادر المتخصصة في المدينة بكتاب تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، لزين الدين أبي بكر المراغي (ت ٨١٦هـ)، فقد جاء هذا الكتاب بمعلومات هامة للبحث خاصة فيما يتعلق بأسماء المدينة وآبارها وأوديتها. كما استفادت الرسالة من:

كتب التاريخ العام:

ومنها: التاريخ لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) فقد زدنا بمعلومات عن طبيعة العلاقة بين أهل المدينة وبين الخلفاء الأمويون، وكتاب أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، فقد أورد معلومات هامة بالنسبة للبحث عن فئات السكان في المدينة، وعن الحياة الاقتصادية والفكرية فيها خاصة في حديثه عن



الخلفاء والفقهاء وعن الموالي والجواري وغيرهم ،فقد كانت الاستفادة شاملة لكل فصول الرسالة.

ويعد كتاب التاريخ لأحمد بن يعقوب(ت ٢٨٤هـ) من المصادر المهمة للدراسة فقد كانت الاستفادة كبيرة للفصل الاقتصادي خاصة في أمور الزراعة والإقطاعات والأموال.

أ ما تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ)، فهو من المصادر الهامة والتي استفادت الرسالة منه في جميع فصولها. كما كان لمروج الذهب ومعادن الجوهر لأبو الحسن علي بن الحسن(ت ٣٤٦هـ)، فائدة كبيرة خاصة في حديثه عن الغنى والترف والجواري في المدينة.

أما المصادر التاريخية المتأخرة مثل كتاب الكامل في التاريخ لأبو الحسن عز الدين بن الأثير(ت ٦٣٠هـ)، والبداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير(ت ٧٧٤هـ) فهذه المصادر عادة تتقل عن المصادر المبكرة، ونادراً ما تأتي بجديد، إلا أن الرجوع إليها لا يخلو من فائدة. كما كانت استفادت الرسالة كبيرة جداً من:

الكتب الجغرافية:

لما حوته من معلومات هامة عن مناطق المدينة وعن القبائل الموجودة فيها وأماكن منازلهم، وعن طبيعة المدينة الزراعية والمزروعات بالإضافة إلى معلومات عن التجارة والطرق التجارية والأسواق وعن الصناعة والمعادن وغيرها،ومن هذه المصادر:أسماء جبال تهامة وسكانها، لمؤلفه عرام بن الأصبع السلمي(ت ٢٧٥هـ)، وكتاب البلدان، لأحمد بن يعقوب(ت ٢٨٤هـ)، والأعلاق النفيسة لمؤلفه أحمد بن عمر بن رسته (ت ٢٩٠هـ)، وكتاب معجم ما أستعجم، لأبي عبيد عبد الله البكري(ت ٤٨٧هـ)، وكتاب الأزمنة والأمكنة، لمؤلفه أبي علي الأصفهاني(ت في القرن الخامس)، و كتاب الأمكنة والجبال والمياه، لأبوا قاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٨٣هـ)، بالإضافة إلى كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لموفق الدين عبد الله المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، و معجم البلدان، لشهاب



الدين أبو عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ). كما استفادت الرسالة من مؤلفات الرحالة ونخص بالذكر صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل (ت ٣٦٧هـ)، ورحلة ابن بطوطة، لأبي عبد الله محمد بن اللواتي (ت ٧٧٩هـ). ومن المصادر أيضاً:

الكتب الأدبية:

فلهذه المصادر أهمية أيضاً في إغناء الرسالة في جميع فصولها بالمعلومات، خاصة فيما يتعلق بالشعر والشعراء، والغناء والمغنيين والأموال والهدايا والجواري واللباس والزينة والمسكن والقصور وغيرها ونخص بالذكر:

كتاب اللهو والملاهي، لأبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ)، والعقد الفريد، لشهاب الدين أحمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، والأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ونهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ). إضافة إلى هذه المصادر استفادت الرسالة من:

كتب الطبقات والتراجم :

فقد أثرت الدراسة في معظم موضوعات فصولها، ومن أبرزها: الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، فقد استفادت الرسالة منه معلومات خاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، فقد استفدنا منه في الحديث عن المرأة، وعن الموالى والرقيق، وكتاب المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب الفسوي (ت ٢٧٧هـ)، وكتاب مشاهير علماء الأمصار، لأبن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، والأستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، و (صفة الصفوة)، لأبن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبن الأثير (ت ٦٣٠هـ). وغيرها من كتب التراجم. كما استفادت الدراسة من:

كتب الحديث والفقه:

وقد أثرت الرسالة في جوانب مختلفة مثل معاملة الرقيق والموالى والبيع والمزارعة، والقراءة والكتابة، ونخص منها المدونة الكبرى، والموطأ، لمالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، وصحيح البخاري، لأبي عبد الله بن محمد الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، كما هو حال صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)،

بالإضافة إلى كل من سنن ابن ماجه والترمذي.ومن المصادر الفقهية التي استفادت منها الرسالة، كتاب الخراج ، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم(ت ١٨٢هـ)، وكتاب الخراج، ليحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ).كما لا يفوتني أن أنوه إلى مصادر أخرى مهمة هي :

كتب الأنساب:

فقد حملت هذه الكتب في طياتها معلومات هامة انفردت بها دون غيرها ونخص، كتاب نسب قريش، للمصعب الزبيري(ت ٢٣٦هـ)، وكتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار(ت ٢٥٦هـ)، وأنساب الأشراف، للبلاذري، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،للقشندري(ت ٨٢١هـ).

وإلى جانب هذه المصادر ، فقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من الدراسات الحديثة، أذكر منها لا الحصر مؤلفات الدكتور عبد العزيز الدوري،ويأتي في مقدمتها، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، والتكوين التاريخي للأمة العربية، ومقدمة في تاريخ صدر الإسلام. ومؤلفات الدكتور محمد البطاينة وأخص،الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ودراسات وبحوث في جوانب التاريخ الإسلامي.ومؤلفات أحمد الشريف خاصة، كتاب مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ودور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة. ومؤلفات شوقي ضيف ،ومنها ،التطور والتجديد في العصر الأموي ، وكتاب الشعر والغناء في المدينة المنورة ومكة لعصر بني أمية. كما كان لمؤلفات أحمد شلبي أثر في إثراء المعرفة خاصة كتاب ، المجتمع الإسلامي ، وكتاب التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها،تاريخها. ولا أنسى أن أذكر مؤلفات جرجي زيدان خاصة، تاريخ التمدن الإسلامي ، وتاريخ أدب اللغة العربية.

كما كان للرسائل الجامعية والمقالات التي اطلعت عليها أكبر الأثر في رسم منهج وخطة الدراسة .



الفصل الأول

جغرافية المدينة المنورة وخطتها

اسماء المدينة
جغرافية المدينة
المناخ
أودية المدينة وآبارها
الجبال والحرار
قرى المدينة
أطام المدينة
خطط المدينة
المسجد النبوي
بيوت النبي
منازل المهاجرين
البلاط الأعظم
القبائل من المهاجرين من غير قريش
سوق المدينة



أسماء المدينة :

للمدينة النبوية في الوثائق التاريخية اسمان: الأول ، نعثر عليه في الآثار الجاهلية ، وفي الكتب التي ذكرت العصر الجاهلي وهو (يثرب) . والآخر (المدينة) ، ولا يذكر في المصادر الإسلامية غيره ^(١) وذكر ابن شبة : إن للمدينة عشرة أسماء منها : المدينة ، ويثرب ^(٢) وللمدينة في التوراة أحد عشر اسماً منها: المدينة ^(٣) ولم يذكر فيها يثرب ، وقد أورد ياقوت للمدينة تسعاً وعشرين اسماً ^(٤) وذكر السهودي للمدينة أربعة وتسعين اسماً ^(٥) .

وكانت المدينة المنورة تسمى قبل هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليها بـ (يثرب) ^(٦) كما جاء في قوله تعالى : " وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا " ^(٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب : وهي المدينة ^(٨) . وقد سميت يثرب نسبة إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوض بن أرم بن سام بن سام بن نوح عليه السلام ^(٩) وفي الأنساب أن العماليق في أول الأمر نزلت صنعاء اليمن

(١) المراعي : تحقيق النصر ، ص ٤٤ ، محمد شراب : المدينة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٥ .

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٤ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٣ . السهودي : وفاء

الوفاء ، ج ١ ، ص ٨ .

(٣) ابن النجار : الدرر الثمينة ، ص ٣٣ ، المراعي : تحقيق النصر ، ص ٤٨ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٣ . ابن عساكر : كتاب الأربعين البلديّة ، ص ٥٠ .

(٥) السهودي : وفاء لوفاء ، ج ١ ، ص ٨ - ٢٧ .

(٦) ابن شبة: تاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٥ . جواد علي: المفصل ، ج ٤ ، ص ١٢٨ . الحميدي: الفكر السياسي الإسلامي ، ص ٢٣ .

صالح درانكة: العلاقات العربية اليهودية ، ص ١٠٨ .

(٧) سورة الأحزاب : الآية ١٣ .

(٨) البخاري: صحيح ، ج ٣ ، ص ٥٤ . مسلم: صحيح ، كتاب الحج ، ص ٥١٣ .

(٩) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ . السهودي : وفاء لوفاء ، ج ١ ، ص ١٥٦ . ياسين غضبان : مدينة يثرب ،

ص ١٧ . عمر كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ١٣٨ .



ثم أنتقلوا الى يثرب فنزلوها، وإنما سميت يثرب برئيس لهم، يقال له يثرب^(١) ويثرب هو الذي بناها^(٢) وقيل: أن اسمها مشتق من (الثرب) أو التثريب، بمعنى المؤاخذه بالذنب أو الفساد^(٣) وهذا ما دفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تغيير اسمها إلى طيبة وطابة^(٤). وأرى أن سبب تغيير اسمها يعود الى اسم زعيم العماليق من اليهود فأراد الرسول لها اسماً اسلامياً جديداً عوضاً عن يثرب .
ومن الاسماء التي اشتهرت بها المدينة :

طيبة وطابة:

أما طيبة ، وطابة، فاشتقاقهما من الطيب ، وهي الرائحة الحسنة، ويستدل على ذلك أن من سكنها يجد في تربتها وجدرانها رائحة طيبة^(٥) وقيل لطيبتها لسكانيتها ولأمنهم ودعتهم فيها،^(٦) وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تعالى سمى المدينة طابة "^(٧) ويقول الرسول عليه السلام: " اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة، وبارك لنا في مدّها وصاعها "^(٨) ويقول ابن شبة : " كانوا يسمون المدينة (يثرب)، فسمّاها رسول الله (طيبة) "^(٩) وتعليل ذلك أنها تنفي خبثها وينفح طيبها^(١٠) .

(١) البلاذري: أنساب ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ . لسمهودي: وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٨ . جواد علي: المفصل ،

ص ١٢٤-١٢٨ . علي معطي: التاريخ السياسي، ص ٣٣ .

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ . القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .

(٥) السيوطي : الحجج المبينة ، ص ٢٢ . التوشيح ، ج ٤ ، ص ١٤٠٢ . صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

(٧) البخاري: صحيح ، ج ٣ ، ص ٥٥ . مسلم: كتاب الحج ، ص ٥١٣ . ابن فنجار : الدرّة ، ص ٣٤ .

(٨) البخاري: صحيح ، ج ٣ ، ص ٦٠-٦١ . الترمذي: سنن ، ج ٤ ، ص ٥٥٥ . البلاذري: فتوح ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٩) ابن شبة : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٥ . لمراغي : تحقيق النصرة ، ص ٤٢ .

(١٠) البخاري: صحيح ، ج ٣ ، ص ٥٤ . الجاحظ: كتاب البلدان ، ص ٨٥ . الخطرلوي : المدينة المنورة ، ص ٣٩ .



وقد ورد في سيرة عمر بن عبدالعزيز ، دليلاً على طيبها ، أن عمر لما خرج من المدينة التفت إليها وبكى وقال : يا مزاحم انخشی أن نكون ممن نفت المدينة^(١) .
 ويترجح لدي أن الرسول صلى الله عليه وسلم اطلق عليها هذا الاسم ليدل على طيبة أهلها الذين آووه ونصروه .
الدار^(٢)

وسميت بهذا الاسم لأمنها والاستقرار بها^(٣) ولأنها مهاجر النبي وأصحابه ،
 وسُمي مالك - رضي الله عنه - إمام دار الهجرة^(٤) وقال الله تعالى: " والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم " ^(٥) .
المحوبة:

وجاء اسم المحبوبة لحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- لها ودعائه لذلك " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة "^(٦) وهي أحب البقاع إلى الله تعالى ، وقد اختارها لحبيبه محمد -صلى الله عليه وسلم- حياً وميتاً ، فهي محبوبة إلى الله تعالى ورسوله وسائر المؤمنين ^(٧) .

المسكنة:

وأصل المسكنة الخضوع ، فسميت المدينة بذلك إما لأن الله تعالى خلق فيها الخضوع والخشوع له ، وإما لأنها مسكن المساكين .^(٨)

(١) لين عبد البر : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٧ .

(٢) البكري : معجم ، ج ٤ ، ص ١٢٠ . إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٣) السهودي : وفاء لوفاء ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٤) محمد الخطراوي : المدينة المنورة ، ص ٣٩ .

(٥) سورة لحشر : الآية ٩ .

(٦) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ٦١ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

(٧) السهودي : وفاء لوفاء ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٨) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٣ .



قرية الأنصار:

يذكر السهمودي في كتابه: "أن العرب تسمي كل مدينة صغرت أو كبرت قرية"^(١) والأنصار هم الذين نصرُوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأووا المهاجرين ، فمدحهم الله تعالى بقوله: "والذين أووا ونصروا"^(٢) فسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وكان يقال لهم قبل ذلك الأوس والخزرج.^(٣)

القاصمة^(٤)

نقل عن التوراة: سميت به لقصمها كل جبار عناها ، وكسر كل متمرّد أتاها، ومن أرادها بسوء أذابه الله.^(٥)

المؤمنة

وسميت بذلك لانتشار الإيمان فيها، واشتمالها على أوصاف المؤمن من النفع والبركة وعدم الضرر والمسكنة، ولإدخال أهلها في الأمان من الأعداء، وأمنهم من الدجال والطاعون .^(٦)

الغراء

سميت بذلك الاسم لشرف معالمها ، ووضوح مكارمها، واشتهارها، وسطوع وبياض نورها، وطيب راحتها ، وكثرة نخلها، وكرم أهلها، ورفعة محلها، وسيادتها على القرى.^(٧)

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج١، ص١٩ . عمر كحالة : جغرافية ، ص١٣٨

(٢) سورة الأنفال : الآية (١٧٠)

(٣) لترمذي : سنن ، ج٤ ، ص٥٦٥ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج١، ص١٩

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥، ص٨٣ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج١، ص١٨

(٥) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج١، ص١٩ . المراغي : تحقيق لنصرة ، ص٤٢

(٦) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج١، ص٢٠

(٧) المصدر نفسه: ج١، ص١٨



المجبورة

سميت به لان الله تعالى جبرها بسكنى نبيه وصفيه محمد - صلى الله عليه وسلم - حياً وضمها لأعضائه الشريفة ميتاً ، ولطيب مغناها ، والحث على سكنها ، وتنزل البركات بمُدّها وصاعها. ^(١) فهي بهذا السر الشريف مسرورة ، وبهذا المنح العظيمة مجبورة على سائر الأقطار ^(٢).

إضافة إلى هذه السماء العظيمة ، ورد أيضاً اسم المباركة ، المرزوقة ، المرحومة ، والمحفوظة ، والناجية ، والمقدسة ، وقلب الإيمان ، ومبين الحلال والحرام ^(٣) .

أما الاسم الوحيد المتداول في البداية فهو (المدينة) بدون وصفها بالمنورة ، ولم يشع اسم المدينة موصوفاً بالمنورة إلا في الكتب المتأخرة التي ألفت في العهد العثماني ^(٤) .

ويقول السهمودي : أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة ، وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى إنني زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازي - وهو أعظم الناس في هذا الباب نحو ثلاثين اسماً ^(٥) . وأن شرف المدينة في الواقع مكتسب قبل ذلك من اختيار الله لها بأن تكون مستقراً للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ^(٦) .

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٢١

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨-٢٧ .

(٤) محمد شراب : لمدينة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(٥) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٨ .

(٦) محمد الخطراوي : لمدينة لمنورة ، ص ٣٩



جغرافية المدينة:

الموقع

تقع المدينة في الشمال الغربي من الجزيرة العربية ، إلى الشمال من مكة المكرمة ، وعلى بعد ٥٠٠ كيلو متراً ، وهي ليست يمانية ولا شامية ^(١) بل إحدى مدن الحجاز المهمة ^(٢) ويذكر ياقوت : "أن طول المدينة من جهة المغرب ٦٠،٥ وعرضها ٢٠ درجة" ^(٣).

ويحدها من الشمال جبل أحد . ومن الشمال الغربي جبل سلع ، ومن الجنوب الغربي جبل عسير الذي يبعد حوالي أربعة كيلو مترات عن مركزها الحالي ، وتعتبر هذه الجبال حداً فاصلاً بين الساحل -تهامة- والجزء الداخلي ^(٤).

ويحد المدينة من الشرق والغرب مجموعة من الحرات ^(٥) فمن الشرق حرة واقم أو الحرة الشرقية، ومن الغرب حرة الوبرة أو الحرة الغربية ^(٦) فهي ذات الحرار، أو ذات الأحرين ^(٧) وهي في حرة سبخة الأرض، ويحيط بأطرافها بساتين ونخيل وقرى ^(٨).

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٢ . لزرركشي : أعلام لساجد، ص ١٦٤.

أحمد سعيد : المدينة المنورة ، ص ١٣ . نورة آل الشيخ : الحياة الاجتماعية ، ص ١٩

(٢) الأصفهاني : بلاد العرب ، ص ١٤ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٢ و ج ٢ ، ص ٢١٩ . علي إبراهيم حسن

: التاريخ الإسلامي العلم ، ص ١١٩.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٢ . المرجاني : بهجة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٤) الحربي : المناسك ، ص ٤٠٨ . صالح لمعي : المدينة المنورة ، ص ٩ . عمر كحالة : جغرافية ، ص ١٤٠ .

(٥) صالح لمعي : المدينة المنورة وتطورها العمراني ، ص ٩ ، إبراهيم رفعت مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٤٠٧

(٦) لسمهودي : وفاء ، ج ٤ ، ص ١١٨٨ . نورة آل الشيخ : الحياة الاجتماعية ، ص ١٩ .

(٧) ابن النجار : الدرة ، ص ٣٧ . نورة آل الشيخ : الحياة الاجتماعية ، ص ١٩ .

(٨) الأصبخري : المسالك والممالك ، ص ٢٣ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٧ .

المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٨٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٢



وقد عرفت المدينة بكثرة مياهها ووديانها، وهذه المياه تأتيها من الحرات. وربما ازداد تدفق مياه الوديان في بعض السنين مما يهدد الدور والأبنية وهذا ما دفع الخليفة عثمان بن عفان إلى إبتناء ردم (سد) يقي المدينة خطر الفيضان^(١) وكان لموقع المدينة على طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام أثره في نشاط الحركة التجارية فيها، وقد ذكر اليعقوبي ذلك فقال: "أن البحر الأعظم (البحر الأحمر) يبعد منها ثلاثة أيام، وساحلها موضع يقال له (الجار) . إليه ترسي مراكب البحار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر"^(٢) . ولم يزل تُحمل فيه الولاة إلى أن حُمل فيه عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه -^(٣)

إن بعد المدينة عن مكة حدا ببعض الجغرافيين العرب إلى اعتبارها (نجدية) أكثر منها حجازية^(٤) ويقول الدكتور إبراهيم بيضون: "وعلى الرغم من وقوعها في دائرة المواصلات الرئيسية لتجارة الشام ، فإن حظها من التجارة الخارجية كان محدوداً إذا ما قورنت بمكة"^(٥) فهي ليست أكثر من محطة على طريق تمثل مكة عقده ومفرقه ، ولكنها (المدينة) نالت نصيبها من ازدهار التجارة العام عبر الطريق البري ، ثم تهيأت لها الفرصة عن طريق البحر الأحمر، حيث كانت لها فرصتها التي ترسو عندها السفن ، وهي ميناء الجار^(٦)

وكان اقتصاد المدينة التي تعتمد عليه هو الزراعة ، بسبب توافر مقوماتها من الآبار والعيون المائية.

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥ ، ص ٢٣٤ . إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ص ٧-٨

. أحمد الشريف : مكة والمدينة، ص ٤٨.

(٢) اليعقوبي : البلدان ص ٧٣. ياقوت الحموي : معجم لبلدان، ج ٢ ، ص ٩٢-٩٣. السمهودي : وفاء الوفاء ،

ص ١٧٠-١٧١ . رشيد الجميلي : تاريخ العرب ص ١٨٧ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٣٨٦.

(٤) القلقشندي : نهج الأرب في معرفة نسب العرب ، ص ١٧. صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩١.

(٥) إبراهيم بيضون : لحجاز والدولة الإسلامية ، ص ٤٠ .

(٦) عمر الفاروق : المدن لحجازية، ص ١٤.



المناخ :

يسود المناخ شبه الصحراوي منطقة المدينة، وهو يتميز بأنه حار جاف صيفاً، ودافئ وممطر شتاء . ودرجات الحرارة تنخفض في الشتاء في المدينة عنها في مكة وجدة، ^(١) وجو المدينة على العموم خير من جو مكة، ولم يعان أهلها ما عانى أهل مكة من شح في الماء ومن شدة الحصول عليه، بينما يتوفر الماء في المدينة، وهو غير بعيد عن سطح الأرض ^(٢) وهذا دليل على أن المياه الجوفية متوفرة في المدينة ، ويتبين لنا هذا من عدد الآبار والينابيع الكثيرة في المدينة ، وكذلك الأسياح والأودية التي تمر بقربها وبها ^(٣).

وينشأ عن ركود المياه في هذه المناطق انتشار الأوبئة والأمراض. ^(٤) ولما نزل المهاجرون المدينة استوخموا جوها لانتشار الأوبئة والحمى فيها فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم ربه فقال : " اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة وبارك لنا في مدها وصاعها ^(٥).

(١) أحمد سعيد : لمدينة المنورة ص ١٥

(٢) جواد علي : المفصل ، ج ٤، ص ١٣٢. صالح درانكة وآخرون: تاريخ صدر الإسلام ، ص ٢٤.

(٣) المراغي : تحقيق النصرة ، ص ٢٠٧-٢٠٩ . ياسين غضبان : مدينة يثرب ص ٣٧.

(٤) ياسين غضبان : مدينة يثرب ، ص ٣٤.

(٥) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ٦٠-٦١. لبلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩-٢٠.



أودية المدينة وآبارها :

الأودية :

في المدينة المنورة عدد من الأودية منها ما هو بداخلها ومنها ما يأتي من خارجها ويمر بها ، وهذه الأودية هي :

وادي العقيق :

يصف ابن حوقل الوادي فيقول : " وادي من المدينة في قبلتها على أربعة أميال في طريق مكة" ^(١) ويعلل الزبير بن بكار سبب تسمية العقيق بهذا الاسم : " لأنه عق في الحرة" ^(٢) أي : شق وقطع ، وهو ينقسم إلى واديين : صغير وفيه بئر رومة ، وهو ما بين أسفل المراحل إلى منتهى العرصة ، وكبير وهو العقيق وفيه بئر عروة ، وهو ما يلي الحرة إلى قصر المراحل ^(٣) .

ووادي العقيق من أخصب مناطق المدينة ، وفيه قصور ومنازل وقرى ، ^(٤) وقد ابنتى بعض الصحابة العقيق ونزلوه ، وكذلك جماعة من التابعين من بعدهم ^(٥) وروي أن أبا هريرة - رضي الله عنه - نزل الأرض التي بالشجرة قبل أن تكون مزدرعاً ، فمر به مروان بن الحكم ، والي معاوية على المدينة فقال : مالي آراك ها هنا يا صاحب رسول الله ؟ قال : نزلت في هذه البرية مع أني أصلي في مسجد رسول الله ، فاقطعه مروان أرضه ، وصيرها له ، فتصدق بها أبو هريرة ، على ولده ، فأبتاعها هشام بن عبد الله بن عكرمة ، وأقتطع شجرها وأزدرعها ^(٦)

(١) ابن حوقل : سورة الأرض ، ص ٣٨ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٣٩

(٢) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٥٣ . عبد السلام هاشم : المدينة ، ٢٦

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ، ص ١٣٩ . صفى لنين البغدادي : مرصد الإطلاع ، ج ٢ ، ص ٩٢٩

(٤) الفيروز آبادي : المعاني المطبوعة ، ص ٢٦٨ . ياسين غضبان : مدينة بئر ص ٢٧

(٥) ابن النجار : الدرر ، ص ٩٦ . عمر كحالة : جغرافية ، ص ١٤٢

(٦) الفيروز آبادي : المعاني المطبوعة ، ص ٢٧١ - ٢٧٢



وبالعقيق عرصتان وجمאות ثلاث^(١) وإحدى العرصتين تلي بئر رومة، وهي الكبرى منهما، وتسمى عرصة البقل، والأخرى بينها وبين العقيق الكبير وتسمى عرصة الماء، والعرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها^(٢) ويذكر ياقوت: "أن بني أمية كانوا يمنعون البناء فيهما ضناً بهما، ولم يكن لأمير المدينة أن يقطع بهما قطيعة إلا بأمر الخليفة. حتى خرج خارجة بن حمزة بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك يسأله أن يقطعه موضع قصر فيهما، فكتب إلى عامله بالمدينة بذلك فأقطعه موضع قصر. وقد كان سعيد بن العاص ابتنى بها قصراً، واحتفر بها بئراً، وغرس النخل والبساتين، وكان نخل بستانه أبكر نخل بالمدينة"^(٣) وأما سيل العقيق فإنه من أعظم سيول المدينة وأحلاها، وأجملها، وأجلاها^(٤)

وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق، والتشوق إليه. وقال اعرابي في ذلك
 ألا أيها الركبُ المخبون هل لكم بأهل العقيق والمنازل من علم ؟
 فقالوا: نعم، تلك الطلول كعهدها تلوح وما يغني سؤلك عن علم؟^(٥)

وادي بطحان

وهو أحد أودية المدينة، وهي العقيق وبتحان وقناة^(٦) ويقع إلى الغرب منها، وفي جزء منه بعض مبانيها^(٧)

(١) العرصة: هي في الأصل الفضاء المتسع ليس فيه بناء، والجماء: الهضبة، سميت بذلك لأنها تون الجبل.

انظر: السمعودي: وفاة، ج ٤، ص ١١٧. وإبراهيم رفعت: امرأة لحرمين ج ١، ص ٤٣٥.

(٢) المراعي: تحقيق لنصرة ص ٢٢٤

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠١. الفيروز: المغام، ٢٥٢.

(٤) محمد كبريت: لجواهر الثمينة ص ١٥٥

(٥) الفيروز آبادي: لمغام المطبعة، ص ٢٧٣

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٦. الفيروز آبادي: المغام المطبعة، ص ٥٦

(٧) السمعودي: وفاة، ج ٤، ص ١٠٧١، ص ١١٤٨ ياسين غضبان: مدينة بئر ص ٢٨. السيد عبد العزيز:

دراسات، ج ١، ص ٣٣٥



وقال ابن شبة: "أما سيل بطحان وهو الوادي المتوسط ببيوت المدينة، فإنه يأخذ من ذي الجدر وقراره في الحرة، ومن حلابات الحرة العليا حرة معصم - وهو جبل يفترش في الحرة - حتى يصب شرقي ابن الزبير، وعلى جفاف ومراقبة وبني حجر، وبني كلب، والحساء حتى يفضي إلى فضاء بني خطمة والأغرس، ثم يستن حتى يرد الجسر، ثم يستبطن وادي بطحان حتى يصير في زغابة"^(١) وفي هذا الوادي قُتل النعاشي بأمر من والي المدينة مروان بن الحكم، لأنه أستهزأ بالقرآن الكريم^(٢).

وادي رانون

يأتي من قمة جبل في يمانى غير من حرش شرقي الحرة، ثم يصب على قرين صريحة، ثم على سد عبدالله بن عمرو بن عثمان، ثم يفترق في الصفاصف فيصب في أرض إسماعيل ومحمد بن الوليد بالقصبة، ثم يستبطن القصبة، حتى يعترض قباء يميناً، ثم يدخل غوساً، ثم بطن ذي خصب، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذي خصب، ثم يقرن بذي صلب، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البكرة، ثم يفترق فرقتين. فتمر فرقه على بئر جشم تصب في سكة الخليج حتى يزغ في وادي بطحان، وتصب الأخرى مباشرة في وادي بطحان^(٣).

وادي مهزور :

أحد أودية المدينة،^(٤) ويصدر وادي مهزور من حرة واقم،^(٥) ويحدد ابن شبة سريان هذا الوادي فيقول: "يأخذ من شرقي الحرة ومن (هكر)

(١) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٧-١٠٨ السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧١ .

(٢) الحموي : تجريد الأغاني ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٢ .

(٤) لحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٠ . إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٤٣٤ .

(٥) السمهودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٦-١٠٧٧ . عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٢٣١ .



ومن حرة(صف)حتى يأتي أعلى (حلاءة) ، وهناك ينقسم إلى شعبتين تختلط إحداهما بوادي مذيئيب، وتذهب الأخرى حتى تتصل بمذيئيب بفضاء بني خطمة^(١) ويشير السمهودي إلى أن : " مهزور بعد أن يجتمع بمذيئيب هناك يصب في بطحان^(٢) . ومياه هذا الوادي طيبة ، وكانت المدينة أشرفت على الغرق في خلافة عثمان - رضي الله عنه - من سيل مهزور حتى أخذ عثمان له ردماً^(٣) وادي مذيئيب:

أحد أودية المدينة ، يسيل بماء المطر خاصة،^(٤) مصدره من حلثي صعب ، على نحو سبعة أميال من المدينة ، ومصبه في زغابة حيث تلتقي السيول^(٥) ويمر سيل مذيئيب على روضة بني أمية ، ثم يتشعب من الروضة خمسة عشر جزءاً في أموال بني أمية^(٦) وعلى هذا الوادي كانت منازل بني النضير ، ونزل عليهم بعض قبائل العرب وقد أجلى النبي-صلى الله عليه وسلم- بني النضير هؤلاء بسبب غدرهم في غزوة الأحزاب . وبإخلائهم لهذا الجهة أصبحت من ممتلكات المهاجرين، وكان ذلك برضى وموافقة من إخوانهم الأنصار^(٧)

وادي قناة

هو أحد أودية المدينة الثلاثة^(٨) وقال ابن شبة : " وادي قناة يأتي من وجّ أي وجّ الطائف^(٩) ويشير السمهودي إلى أن وادي قناة يصب في الأرخصية وقرقرة

(١) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ . السمهودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٧

(٢) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٦

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ . الفيروز أبادي : المغنم المطابة ، ص ٣٩٨ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٩١ .

(٥) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٥ . عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٢٣٠

(٦) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٥ .

(٧) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٦

(٨) الحربي : المناسك ، ص ٤١١ . ياقوت : معجم ، ج ٤ ، ص ٤٠١ . السمهودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٤

(٩) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١١٠ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٤ .



الكدر ، ثم يأتي بئر معاوية^(١) أما ملتقى سيول هذه الأودية جميعها فإنها تجتمع بزغابة^(٢)

الآبار والجرار والعيون

كان اعتماد أهل المدينة في الجاهلية على الآبار في شرب الماء . وقد قدم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وحالة الشرب جارية على هذا . واستمر الحال على ذلك أيضاً في حياته ، وفي عهد الخلفاء الأربعة . وفي خلافة معاوية أجريت العين الزرقاء أو عين الأزرق، فتحول إليها الشرب ولكن كثيراً من الآبار والجرار والعيون العذبة احتفظت بمركزها أثناء الفترة الأموية ، إما لعذوبتها الزائدة أو لعلاقة دينية ارتبطت بالرسول عليه السلام . وفيما يلي بيان بأشهر هذه الآبار :

بئر حاء :

هذه البئر شمالي المدينة ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستعذب ماءها^(٣) وكان طولها عشرة أذرع ونصف ، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر^(٤) . وكانت بئر حاء ملكاً لأبي طلحة الخزرجي^(٥) ويقول ابن شبة : " كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء"^(٦) وقد جعلها أبو طلحة وقفاً للمسلمين وقد آل قسم منها إلى حسان بن ثابت^(٧) ، واشتراها جميعاً معلوية بن أبي سفيان بمائة ألف ، وبنا بها قصر بني جديلة^(٨)

(١) ياقوت: معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٠١ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٧٤ .

(٢) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١١٠ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٨١ .

(٣) ابن النجار : الدرر ، ص ١٠١ ، إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .

(٤) ابن النجار : الدرر ، ص ١٠٢ .

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠١ . ياقوت : معجم ، ج ١ ، ص ٢٩٩ . ابن النجار : الدرر ، ص ١٠١ .

(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠١ . ابن النجار : الدرر ، ص ١٠١ .

(٧) الفيروز آبادي : المعجم المطبوع ، ص ٣٦ .

(٨) المراعي : تحقيق لنصرة ، ص ٢١١ . عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٢٤٥ .



بئر أريس :

بئر بالمدينة ثم بقاء مقابل مسجدھا ، وكان عليه مال لآل عثمان بن عفان^(١) وهي على ميلين من المدينة وكانت من أقل تلك الآبار ماء،^(٢) وذكر ابن النجار: "أنه ذرع طولھا فكان أربعة عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضھا خمسة أذرع . وهي تحت أطم عال"^(٣) وحولھا دور الأنصار^(٤)

بئر بضاعة :

بئر قديمة في المدينة^(٥) وهي بئر مليحة، طيبة الماء،^(٦) وكانت البئر لبني ساعدة^(٧) وبھا مال لأهل المدينة من أموالهم،^(٨) ويصف ابن النجار هذا بقوله: "وهذه البئر ماؤها عذب طيب، ولونه صاف أبيض، وريحه كذلك ، ويستقى منها كثيراً ، ذرعتها فكان طولھا أحد عشر ذراعاً ، منها : ذراعان راحة ماء والباقي بناء ، وعرضھا ستة أذرع.^(٩)

بئر عروة:

بئر معروفة بعقيق المدينة تنسب الى عروة بن الزبير^(١٠) واقعة على سيل وادي العقيق^(١١) وأشترى عروة موضع بئرھ هذا وحفر فيه بئراً

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١، ص ٢٩٨ . البكري : معجم ، ج ١، ص ١٤٣ .

(٢) الحميري : لروض ، ص ٢٢

(٣) ابن النجار : الدرة ، ص ١٠٣ . المرجاني : بهجة النفوس ، ج ١، ص ١١٩

(٤) الفيروز آبادي : المعجم ، ص ٢٧ .

(٥) لزمخشري : الأمكنة والجمال ، ص ١٣١ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١، ص ٤٤٢

(٦) الفيروز آبادي : المعجم المطبوع ، ص ٣١ . المراغي : تحقيق النصرة ، ص ٢١٢ .

(٧) الفيروز آبادي : المعجم المطبوع ، ص ٣١ . عبد القوس الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٢٤٦ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .

(٩) ابن النجار : الدرة ، ص ١٠٥ . المرجاني : بهجة نفوس ، ج ١، ص ١٢١

(١٠) لبلانزي : لنساب ، ج ٩ ، ص ٤٤٣ . ياقوت : معجم لبلان ، ج ١ ، ص ٣٠٠

(١١) السهمودي: وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٣-١٠٤٧ . عبد السلام هاشم : المدينة المنورة ، ص ٢٩



وقد أرسل عمر بن عبدالعزيز من سدّ بئر عروة، وسبب ذلك ما زُعم أنه حمل على حق السلطان ، ودخل فيما ليس له. وقد تصدق عروة ببئر عروة على المسلمين^(١) وكان الزوار لا يتجاوزون العقيق حتى يتزودوا من مائها^(٢)

بئر رومة:

هي بئر قديمة جاهلية^(٣) في وادي العقيق في الشمال الغربي للمدينة^(٤) وروى ابن شبة عن عدي بن ثابت قال : " اصاب رجل من مزينة بئراً يقال لها رومة ، فذكرت لعثمان بن عفان وهو خليفة ، فابتاعها بثلاثين ألف درهم ، وتصديق بها عليه^(٥) وكان عثمان بن عفان قد سمع حديث من الرسول يقول : " من اشترى بئر رومة فله مثلها من الجنة وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن فاشتراها بماله وجعلها للفقير والغني وابن السبيل"^(٦) وفي اطراف هذا البئر آبار كثيرة ومزارع^(٧) .

بئر خارجة :

بئر في المدينة كانت في بعض حدائق الأنصار^(٨) وهي لخارجة بن حمزة بن عبدالرحمن بن عوام صاحب قصر خارجة بالعرصة^(٩) .

ومن الآبار الأخرى التي وجدت في المدينة أيضاً بئر القيا ، وبئر الأعوان ، وبئر أنس، وبئر بني خطمة ، وبئر الأغرس، وبئر اليصة^(١٠) .

(١) الفيروز آبادي : لمغاث المطبوعة ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢) محمد كبريت : الجواهر الثمينة ، ص ١٥٤

(٣) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٧٠ .

(٤) ابن النجار : الدرة ، ص ١٠٧ .

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٩٠ . الطبري : تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٨٣ .

(٦) المراغي : تحقيق لنصرة ، ص ٢١٣ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٦

(٧) الفيروز آبادي : لمغاث المطبوعة ، ص ٤٢ . المراغي : تحقيق النصرة ، ص ٢١٤ .

(٨) الفيروز آبادي : لمغاث المطبوعة ، ص ٣٨ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(١٠) ابن شبة : تاريخ لمدينة ، ج ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ . السهودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ٩٤٩ - ٩٥٠ ، ص ٩٧٧ - ٩٧٨ .



ومن الجرار التي وجدت في المدينة في العصر الأموي، وكان يستقي منها الناس.

جرّ هشام :

هي سقاية أصطنعها هشام بن إسماعيل في موضع قصور العقيق وكانت توضع فيها جرار كبار يستقي منهّن الناس ، وعندما مرّ هشام بن عبد الملك عليها فقيل له : يا أمير المؤمنين هذا جرار جدك هشام ، فأمر بمصلحتها وما يُقيمها من بيت المال ، فكانت توضع هنالك جرار يستقي بهنّ الناس^(١) .

إضافة إلى هذه الآبار والجرار في المدينة وجد أيضاً فيها بعض العيون ومنها :

عين الشهداء:

سميت بهذا الاسم لأنها تمر بالقرب من قبور الشهداء أي شهداء أحد رضوان الله عليهم أجمعين^(٢) والذي أجراها هو مروان بن الحكم والي المدينة في عهد معلوية بن أبي سفيان ، ومصدرها من العالية الشرقية ولها فتحة كبيرة مبنية ومجصصة، ينزل لها بدرج عريض^(٣) .

العين الزرقاء أو عين الأزرق:

أجراها مروان بن الحكم بأمر معاوية وهو واليه على المدينة، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربي مسجد قباء في حديقة نخل^(٤) وهي بئر واسعة الأرجاء ، محكمة البناء، متقنة الأطوار، متوسطة الرشاء عذبة الماء، يظهر منها هذا الماء الكثيرة، ويجري في أقناء تحت الأرض^(٥).

(١) الفيروز آبادي : المعجم ، ص ٨٩. ابن النجار : النرة ، ص ٩٧.

(٢) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣، ص ٩٨٧ . أحمد الخياري : معالم المدينة ، ص ٢٠٩ .

(٣) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ ، ج ٤ ، ص ١٢٧٤ . أحمد الخياري : معالم المدينة ، ص ٢٠٩ .

(٤) الفيروز آبادي : المعجم، ص ٢٩٥ . السهودي : وفاء ، ج ٣، ص ٩٨٥ . محمد كبريت : الجواهر ، ص ١٢٢ .

(٥) الفيروز آبادي : المعجم، ص ٢٩٦ .



يخرج الماء منها في وجهين مدرجين: قبلي وشمالي، وتخرج العين من جهة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهة الشمال ^(١) ويذكر : "أنه كان في المدينة وما حولها عيون كثيرة تجددت. وكان لمعاوية (رضي الله عنه) اهتمام في هذا الباب، ولهذا كثرت في أيامه الغلال بأراضي المدينة، وكان بالمدينة على زمن معاوية صوافي كثيرة ، وأن معاوية كان يجد في المدينة وأعراضها مائة ألف وسق * وخمسين ألف وسق ، ويحصده مائة ألف وسق حنطة"^(٢).

عين أبي نيزر :

عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء، من عمل المدينة ، وأبو نيزر الذي تُنسب إليه هذه العين مولى لعلي بن ابي طالب ، وروي أن علياً - رضي الله عنه - أوصى الى الحسن في وقف امواله وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه ، وقف فيها عين ابي نيزر والبغيغة على فقراء اهل المدينة ، الا إن احتاج اليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما^(٣) ويذكر ان معاوية بن ابي سفيان قد عرض على الحسين بن علي أن يبتاع عين أبي نيزر بمائتي ألف دينار، فأبى ان يبيع^(٤).

ومن العيون المشهورة أيضاً في المدينة عين (تحنس) وهي للحسين بن علي بن ابي طالب، أبتاعها علي من الوليد بن عقبه بسبعين ألف دينار ، وهناك عين(الخيف) وتسقي هذه العين ما حول مساجد الفتح من المزارع والنخيل . وعين الحسين بن زيد بن علي أجراها هو من خالص ماله ، وهي احدى العيون الثلاثة التي كانت له في أعمال المدينة ^(٥) .

(١) المرجاني : بهجة النفوس ، ج١ ص١٢٧ . ابن الضياء : تاريخ مكة ، ص٢٢١.

* الوسق: ستون صاعاً، لمزيد من المعلومات ، انظر، المعجم الوسيط، ج٢ ص١٠٣٢، كلمة وسق.

(٢) الحربي : المناسك ، ص٤٧ . السمهودي : وفاء ، ج٣ ص٩٨٨ . كحالة: جغرافية ، ص١٤٠

(٣) لفيروز آبادي : لمغاثم ، ص٢٩٠ - ٢٩١ . السمهودي: وفاء الوفاء ، ج٤ ، ص١٢٧٢.

(٤) لفيروز آبادي : لمغاثم ، ص٢٩١ . السمهودي: وفاء الوفاء ، ج٤ ، ص١٢٧٢.

(٥) لفيروز آبادي : لمغاثم ، ص٢٩١ - ٢٩٧ . السمهودي: وفاء الوفاء ، ج٤ ، ص١٢٧٢.



الجبال والحرار :

تقع المدينة في وادي رحب ملتو ، تحيط به الجبال والحرار ، وأغلب هذه الجبال والحرار ذوات اتصال وثيق بحوادث مهمة في تاريخ الإسلام عامة والمدينة خاصة ، ومن أشهر جبال المدينة:

أحد :

أما سبب التسمية بأحد فهو توحيده عن الجبال التي حوله وانقطاعه عنها^(١) "وأحد اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو جبل أحمر، بينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالها^(٢) ويصفه الأنصاري بأنه: "بأنه جبل صخري من الجرانيت، وطوله من الشرق إلى الغرب ستة آلاف متر، وفيه رؤوس كثيرة، وهضاب شتى، وهو سلسلة جبال كبار وصغار مرتبط بعضها ببعض ومن مجموعها تكونت وحدة هذا الجبل"^(٣).

غير وثور* :

هما اسما جبلين من جبال المدينة، أولهما عظيم شامخ يقع في قبلة المدينة وثانيها، أحمر صغير يقع شمالي أحد^(٤) ويحده حرم المدينة جنوباً وشمالاً^(٥) ويرى ياقوت: "أن جبل غير جبلان أحمران متقاربان ببطن العقيق، أحدهما: غير الوارد، والآخر غير الصادر^(٦) وقد أورد السمعوني وجهات نظر لبعض العلماء حول وجود أو عدم وجود جبل ثور في المدينة ، وذهب في رأيه إلى وجود هذا الجبل^(٧).

(١) القيروز آبادي : لمعالم ، ص ١٠ . أحمد الخيلري : معالم المدينة ، ص ٢٢١.

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١، ص ١٠٩، المراغي : تحقيق لنصرة ، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ، ص ١٩٣.

* هناك جبل عيرة وهو جبل شرقي ثور ، وهو أكبر من ثور ، وأصغر من أحد . أنظر الحربي : المناسك ، ص ٤٠٧ .

(٤) لزمخشري : الأمكنة والجبال ، ص ١٤٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣، ص ١١٧ .

(٥) السمعوني : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٩٦. عمر كحالة : جغرافية ، ص ١٤١ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤، ص ١٧٢ . علي معطي : لتاريخ السياسي ، ص ٣١.

(٧) السمعوني : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٩٢-٩٥ .



سلع وسليع :

من جبال المدينة أولهما عظيم شامخ يرتفع في شمال المدينة ، وثانيهما : جبل صغير يقع بجنوبي سلع ، وكانت عليه بيوت بني أسلم من المهاجرين^(١) وقد غنت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، وكانت احسن الناس وجهاً مسموعاً ، وكان شديد الكلف بها ، وكان منشئها هذه الجارية بالمدينة بسلع فأنشدت تقول :

لعمرك أنني لأحب سلعاً لرؤيته ومن اكناف سلع^(٢)

وهناك جبال أقل شهرة بالمدينة مثل جبل الرماة^(٣) وهو جبل صغير، وجبل المستندر^(٤) .

الحرار* :

هي أرض مفروشة بالصخر^(٥) وتشكلت هذه الحرار نتيجة لنشاط بركاني، تعاقب على المدينة خلال العقود القديمة ، حيث أنها تقع قريباً من أحد أكبر المراكز البركانية في الجزيرة ، وقد عرفت تلك التكوينات البركانية باسم لابتي المدينة أو حرتيها^(٦) .

وتعتبر حرة واقم من اشهر حرات بلاد العرب ، وترتبتا من اخصب بقاع المدينة^(٧) وهي شرقي المدينة وتتقسم حرة واقم ، باعتبار المنازل الواقعة فيها قديماً،

(١) الحربي : المناسك ص٤٠٨ . لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج٤، ص١٢٣٢ - ص١٢٣٦ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٣٧ . الفيروز آبادي : المغام ، ص١٨٣ .

(٣) عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ص١٩٧ .

(٤) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج٤ ، ص١٣٠٧ .

* هي كل ارض ذات حجارة سود نخرة كأنما احترقت بالنار . وقيل : إذا كانت كذلك وهي

مستنيرة فهي حرة ، وأكثر الحرار حول المدينة . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

(٥) لبلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٠ .

(٦) المطري : التعريف ص١٥ . لؤي بواغنة : ثورة ص٣ .

(٧) صفي الدين : مرصد الإطلاع ، ج١، ص٣٩٤ . ياسين غضبان : مدينة يثرب ص٢٩ .



إلى خمس مناطق متجاورة: منطقتان كانتا لليهود، وثلاث كانت للأوس من الأنصار^(١) وبهذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣هـ^(٢).
ويذكر الطبري: "أن قائد الجيش من قبل يزيد بن معاوية هو مسلم بن عقبة المرّي، فقد نزل المدينة ونزل بحرة واقم وخرج أهل المدينة يحاربونه فكسروهم، وقتل من أهل المدينة خلق كثير^(٣)".

أما حرة ليلي: فهي لبني مرة بن عوف. ويذكر أن الوليد بن يزيد بعث إلى الرماح بن ابرد، وهو من مشاهير الشعراء الاسلاميين من حرة ليلي، حين استخلف فمدحه فأمره بالمقام عنده، فأقام، ثم اشتاق إلى وطنه فقال:

الا ليت شعري هل ابيت ليلة بحرة ليلي حيث ربنتي اهلي

فكتب الوليد إلى المصدق أن يعطيه مئة دهماً جعادا، ومئة صهيأ، فأخذ المئتين وذهب إلى اهله^(٤)، وبالقرب من هذه الحرة، حرة النار وهي حرة لبني سليم، وذكر ياقوت أنها منازل جذام وبلي وبلقين وعذره^(٥).

أما حرة الوبرة فنقع بضاحية المدينة الغربية، وهي أقرب إلى المدينة من حرة واقم^(٦) وهي على ثلاثة أميال من المدينة^(٧) مشرفة على وادي العقيق الذي يليها غرباً^(٨) وعرفت هذه الحرة بحرة بني بياضة^(٩).

(١) السهمودي: وفاء لوفاء، ج ٤، ص ١١٨٨. عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص ٢٠٦.

(٢) لطبري: تاريخ، ج ٥، ص ٤٨٢. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٩. السيد عبد العزيز: دراسات، ص ٣٣٦.

(٣) لطبري: تاريخ، ج ٥، ص ٤٩٥. السهمودي: وفاء لوفاء، ج ١، ص ١٢٩.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٤٨. الفيروز آبادي: المعجم، ص ١٠٩-١١٠.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٦) السهمودي: وفاء لوفاء، ج ٤، ص ١١٨٩. عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص ٢٠٨.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٨) السهمودي: وفاء لوفاء، ج ٤، ص ١١٨٩. السيد عبد العزيز: دراسات، ص ٣٣٦.

(٩) لبكري: معجم، ج ٢، ص ٤٣٥. رشيد الجميلي: تاريخ العرب، ص ١٨٥.



قرى المدينة:

تميزت المدينة بكثرة القرى ، وقد اشتهرت قرى المدينة في التاريخ الإسلامي ومن أهم هذه القرى :

قباة:

هي قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة بها أثر بنيان كثير ، وبها مسجد التقوى^(١) الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله : "لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ"^(٢) وبقباة كانت منازل بني عمر بن عوف من الأنصار ، حيث نزل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندهم بعد الهجرة^(٣) ويقول السهمودي: "هي في الأصل اسم بئر هناك عرفت القرية بها"^(٤).

خيبر:

هي من ناحية من المدينة لمن يريد الشام، ولفظ خيبر بلسان اليهود الحصن^(٥) وتشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها : حصن ناعم ، وحصن القموص ، وحصن الشقاء ، وحصن النطاة ، وحصن السلام وحصن الوطيح ، وحصن الكتبية^(٦) ويرى ياقوت : " أن خيبر فتحت في سنة سبع عنوة ، نازلهم رسول الله ، قريباً من شهر ثم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية على أن يخلو بين المسلمين والأرض"^(٧) وأراد أن يجلي الرسول أهل خيبر فقالوا : " دعنا نعمل في هذه الأرض فإن لنا بذلك علماً ، فأقرهم وعاملهم على الشطر من التمر

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤، ص٣٠٢ . لقلقشندي : صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٢٩٤.

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٨

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤، ص٣٠١ - ٣٠٢ . السهيلي : الروض الأثف ، ج٢، ص٣٣٠

(٤) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٤ ، ص١٢٨

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج٢، ص٤٠٩ . الفيروز آبادي : المغام ، ص٣٢٣.

(٦) لحميري : الروض ، ص٢٢٨ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٤، ص١٢٠٩

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج٢، ص٤١٠ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٤، ص١٢٠٩



والحب ، وقال : نفركم على ذلك ما شئنا أو ما شاء الله ، فكانوا بها حتى أجلاهم عمر بعد ذلك" (١).

فدك :

تقع إلى الشمال من المدينة ، وكان بها عيون ونخيل كثيرة (٢) وقد صالح أهل فدك النبي - صلى الله عليه وسلم - على النصف من ثمارها في سنة سبع للهجرة فكانت خالصة للرسول ، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (٣) " وكان علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب يتنازعا فيها (أي فدك) فكانا يتخاصمان إلى عمر بن الخطاب، فيأبى أن يحكم بينهما، ويقول : أنتما أعرف بشأنكما، وأما أنا فقد سلمتها إليكما (٤) وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمروان بن الحكم ثم ارتجعها منه لموجدة وجدها عليه (٥) وقد اورد البلاذري نصاً يقول فيه أن عمر بن عبدالعزيز لما وليّ الخلافة خطب فقال : " أن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فسألته اياها فاطمة رحمها الله ، فقال: ما كان لك ان تسأليني ، وما كان لي أن اعطيك . فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل، وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ، ثم ولي معاوية فاقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد سأله حصته منها فوهبها لي ، وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها ، وما كان لي من مال احب اليّ منها ، فأشهدوا اني قد رددتها الى ما كانت عليه " (٦) .

(١) لبلاذري: فتوح ، ص ٣٤ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٠٩ .

(٢) لبكري : معجم ، ج ٣ ، ص ١٠١٥ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٨٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ . لفيروز آبادي : المعانم ، ص ٣١٢ ، ص ٣١٤ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .

(٦) لبلاذري : فتوح ، ص ٤٥ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .



وادي القرى:

وادي من ناحية المدينة، فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى ، وفيه منازل قضاة ثم جهينة وعذرة وبلي^(١) وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين والعيون. وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب،^(٢) وروي ان معاوية بن ابي سفيان مرّ بوادي القرى، ثم امر بأخراج العيون التي فيها فاستخرج منها ثمانين عينا^(٣)

وفي هذا الوادي التقى بنو امية الذين تم اخراجهم من المدينة في زمن يزيد بن معاوية بجيش يزيد الذي ارسله بقيادة مسلم بن عقبة^(٤) وقد اتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية ، فقال: يا امير المؤمنين ان امير المؤمنين، معاوية كان قد أبتاع من بعض اليهود أرضاً بوادي القرى، واحيا إليها أرضاً، وليس لك بذلك المال عناية، فقد ضاع، وقلت غلته، فاقطعني اياه فانه لا خطر له، فقال يزيد: إنا لا نبخل بكبير ، ولا نخدع عن صغير، فقال يا امير المؤمنين غلته كذا ، قال هو لك: وقد تغنى الشعراء في وادي القرى بسبب جماله فهذا جميل بثينة يقول :

ألا ليت شعري هل أبينن ليلة بوادي القرى إني إذا لسعيد^(٥)

وممن ينسب الى هذا الوادي عمر الوادي المغني مولى عمرو بن عثمان بن عفان وكان مهندساً في ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(٦) .

الصفراء:

قرية فوق ينبع ، كثيرة المزارع والنخيل ، ماؤها عيون ، يسكنها قبائل جهينة والأنصار ونهد^(٧) ويضيف ياقوت إليها من القبائل أيضاً

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٨.

(٢) لحميري : الروض ، ص ٦٠٢. القلقشندي : صبحي الاعشى ، ج ٤، ص ٢٩٦.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٨.

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢٩٥.

(٥) الاصفهاني : الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٣٧٤. ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ، ص ٣٤٥.

(٦) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٤٧.

(٧) للبكري : معجم ما استعجم ، ج ٣، ص ٨٣٦.



" بني فهر ، ورضوى" ^(١) وبالقرب منها عين ماء لآل جعفر بن ابي طالب يقال له اثيل ^(٢) .

الجار:

هو ساحل المدينة ، وهي قرية كثيرة القصور ، كثيرة الأهل ، على شاطئ البحر فيما يوازي المدينة، ترفأ إليها السفن من مصر وأرض الحبشة، وسكانها تجار ^(٣)

وهي مدينة مسورة ، والبحر يضرب سورها ، وبها أسواق ومسجد جامع ، ومنها يصعد من أراد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ^(٤) وينسب الى الجار جماعة من المحدثين ، منهم سعد الجاري ، وابنه عبدالله ، وعبد الملك بن الحسن الجاري، مولى مروان بن الحكم ^(٥) .

ودان :

قرية من أمهات القرى ^(٦) من نواحي الفرع ^(٧) " وهي قرية لقبائل ضمرة وغفار وكنانة" ^(٨) . وقد اكثر الشاعر نصيب من ذكرها في شعره فقال لسليمان بن عبد الملك:
 أقول لركب قافلين عشيّة قفا ذات أوшал ومولاك قارب
 قفوا خبروني عن سليمان أنني لمعروفه من آل ودان راغب ^(٩)

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥، ص١٢٤

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٤ . الفيروز آبادي : المغنم ، ص٧ .

(٣) البكري : معجم ، ج٢، ص٣٥٥-٣٥٦

(٤) الحميري : الروض ، ص١٥٣

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٣ . السمعودي : وفاء الوفاء ، ج٤، ص١١٧٣

(٦) البكري : معجم ، ج٤، ص١٣٧٤

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٦٥ .

(٨) الفيروز آبادي : المغنم ، ص٤١٦ . السمعودي : وفاء الوفاء ، ج٤، ص١٣٣٠

(٩) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٦٥



وكان نصيب اذا قدم على هشام بن عبدالملك أخلى له مجلسه، وأستنشد مرثي بني امية ، فاذا أنشده بكى وبكى معه^(١) ونصيب هذا مولى عبدالعزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كنانة بودان ، فأشتراه عبدالعزيز منهم^(٢)

ينبع :

من عمل المدينة وكانت تسكنها الانصار وجهينة وليث ، وفيها عيون عذاب غزيرة . وسميت ينبع لكثرة ينابيعها . وبها وقوف لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يتولاها ولده^(٣)

(١) الاصفهاني : الاغاني ، ج ١ ، ص ٢٦٧

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٣) الفيروز آبادي : المغانم ، ص ٤٤٠



آطام المدينة^(١)

هي حصونها وقصورها ، وهي كثيرة ، بناها اهل المدينة من حجارتها^(٢) وكانت الآطام عز أهل المدينة قبل الإسلام وبعده فكانوا يتحصنون بها من كل عدو يقصدهم من الداخل والخارج^(٣) فكل قبيلة وكل شخصية تجد لها حصناً يحمي به نفسه وعشيرته^(٤) وكانت اليهود قد اتخذت الآطام لتتحصن بها من أي عدو يأتيها، فأنشأت تسعة وخمسين أطماً ، واقتدت بهم العرب، فبلغ مجموع ما بناه العرب ثلاثة عشر أطماً ، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة نهى الأنصار كما نهى المهاجرين عن هدم هذه الآطام وقال لهم -عليه السلام- إنها زينة المدينة وأمرهم ببناء آطام جديدة ، فبنى الأنصار والمهاجرون ستة وخمسين أطماً جديداً^(٥). وقد أمر معاوية بن ابي سفيان النعمان بن بشير ببناء قصر خلّ ليكون حصناً لاهل المدينة ، ويقال أمر به معاوية مروان بن الحكم وهو بالمدينة فأمر مروان بن الحكم النعمان بن بشير ببنائه^(٦).

(١) الأطم : هو البيت المربع المسطح ويقال لها أجلم ومفردها أجم وهي لغة في الآطام. الآطام بلغة أهل لمدينة القصور ،

وإذا كانت واسعة ومسكونة دائماً بمالكها وسيدها بخدمة وحاشيته تسمى حصون كحصن كعب بن الأشرف وحصن سعد

بن أبي وقاص . انظر : ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٣ . والسامرائي : المظاهر الحضريّة ، ص ١٩ . وأحمد

الخيارى معالم المدينة ص ٢٢ .

(٢) الاصفهاني : الاغانى ، ج ١ ، ص ٥٦ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٣) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٣ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٦٢ . أحمد الخيارى : معالم المدينة ص ٢٢

(٤) الاصفهاني : الاغانى ، ج ١٥ ، ص ٣٦ . أحمد البرادعي : المدينة المنورة ص ١٠٠

(٥) ابن النجار : الدرّة ، ص ٣٩ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٦٥ . أحمد الخيارى : معالم المدينة ص ٢١

(٦) لفيروز آبادي : المغام ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .



خطط المدينة

أ- قبل الهجرة :

تجمع معظم المصادر العربية على أن يثرب أسم لرجل من أحفاد نوح عليه السلام ، وأن هذا الرجل أسس هذه البلدة فسميت بأسمه^(١) . ويذكر بعض أهل الأخبار أن اقدم من سكن يثرب في سالف الزمان قوم يُقال لهم (صعل) و (فالج) فعزاهم النبي داود عليه السلام واخذ منهم أسرى^(٢) .

وكان أول من زرع المدينة، وأخذ بها النخل ، وعمر بها الدور والآطام ، وأخذ بها الضياع ، العماليق . وكان ساكن المدينة منهم بنو هف^(٣) وكان هؤلاء العماليق ، قد عتوا عتواً كبيراً ، فلما اظهر الله موسى عليه السلام على فرعون بعث بعثاً إلى الحجاز للعماليق ، فقتلوه حتى أنتهوا إلى ملكهم الأرقم بن أبي الأرقم فقتلوه^(٤) .

ولا يأخذ السهمودي بهذا الرأي ويرى أن نزول اليهود في الحجاز كان حين وطئ بخت نصر بلادهم وضرب بيت المقدس^(٥) . وفي الدرة : أنهم يجدون في التوراة أن نبياً يهاجر من العرب إلى بلد فيه نخل بين حرتين فاقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد ، فلما رأوا يثرب سبحة حرة ونخلاً قالوا : هذه البلد الذي يكون له مهاجر النبي اليها^(٦) .

أما خطط اليهود في يثرب بعد إقامتهم فكانت حيث شاؤا ، فكان جميعهم بزهرة ، وكانت لهم الاموال بالساقلة ، وزهرة ثبرة - ارض سهلة بين الحرة والساقلة مما يلي القف . ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول مما

(١) أنظر اسماء المدينة من هذا الفصل ، ص ٥٠. وجول علي : المفصل ، ج ٤ ، ص ١٢٨.

(٢) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦١ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٥٨.

(٣) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٣٤٣. لبن النجار : الدرة ، ص ٣٥.

(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦١ . لبن النجار : الدرة ، ص ٣٥-٣٦.

(٥) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٦٠.

(٦) لبن النجار : الدرة ، ص ٣٧.



يلي زغابة ، وخرج قريظة ، فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما مذيئيب ومهزور، فنزلت بنو النضير على مذيئيب وأتخذوا عليه الاموال فكانوا اول من احتقر بها ، أي العالية ، الأبار وغرس الأموال^(١) .

ونزل عليهم قبائل العرب فكانوا معهم ، فأتخذوا الاموال ، وأبتنوا الآطام والمنازل ، وكان ممن كان مع يهود من قبائل العرب قبل نزول الأوس والخزرج عليهم ، بنو أنيف ، وهم حي من بلي ، ومنها بنو مريد ، ومنها بنو معاوية ، ومنها بنو الجذامي ، حي من اليمن^(٢) .

وكان ممن بقي بالمدينة من اليهود حين نزلت عليهم الأوس والخزرج ، بنو قريظة ، وبنو النضير، وتمتد منازلهم واموالهم إلى ناحية الغرس وإلى ناحية الصافية ، وبنو ضخم وبنو زعوراء عند مشربة ام ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم، ولهم الاطم الذي عندها ، ومنها بنو زيد اللات ومنها بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية ، ومنها بنو حجر عند المشربة التي عند الجسر ، ومنها بنو ثعلبة ، وأهل زهرة بزهره^(٣) فهذا علم من سكن المدينة الى قدوم الاوس والخزرج على أثر حادث سيل العرم^(٤) .

(١) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٢ . ابن النجار : الدرة ، ص ٣٧ .

(٢) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٢-٦٣ . الأصفهاني : الاغانى ، ج ٢٢ ، ص ٣٤٤ .

ابن النجار : الدرة ، ص ٣٨-٣٩ .

(٣) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٣ . الأصفهاني : الاغانى ، ج ٢٢ ، ص ٣٤٤ .

السمهودي : وفاء لوفاء ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) لمزيد من المعلومات حول مسكن الأوس والخزرج (الأنصار) أنظر الفصل الثاني من هذا البحث .



خطط المدينة

ب- بعد الهجرة :

تناولت في هذا الجزء المعالم الرئيسية في خطط المدينة، كبناء المسجد النبوي ، وبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والدور التي نزلها المهاجرون من أهل مكة ، وسوق المدينة وبلاطها .

المسجد النبوي:

تتجلى قوة الروح الدينية عند المسلمين في الاهتمام بالمساجد إذ احتل المسجد مكانة مهمة عند المسلمين ، حيث كان أهم المنشآت العامة في أي مدينة إسلامية لما له من دور كبير وأساسي في حياة المجتمع ، فبالإضافة إلى مهمته الدينية كانت له كما هو معروف مهام أخرى تربوية، وعلمية وسياسية ، واجتماعية^(١) وكانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المثال الأول في ذلك ، فقد كان مسجد الرسول أول شيء أخط في وسط المدينة في الإسلام ، ومن حوله اختطت خطط المهاجرين^(٢) فبعد بناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام^(٣) ركب رسول الله راحلته فصار يمشي ومعه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامي يتيمين في حجر سعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا الغلامين فسلمهما المربد ليتخذه مسجداً فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً^(٤) ونزل رسول الله في دار أبي أيوب حتى بني مسجده ومسكانه^(٥)

(١) محمد الخطيب : دراسات في تاريخ الحضارات ، ص ٦٧

(٢) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤٨ . السهودي: وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧١٨

(٣) لطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(٤) ابن هشام: السيرة ، ج ٢ ، ص ١١٩ . ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٣٩ . السهيلي : الروض الأثيث ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦

(٥) الزهري : المغازي ، ص ١٠٤ . ابن هشام: السيرة ، ج ٢ ، ص ١٢٠ . ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٨ .



ويروي ابن سعد: "أن موضع مسجد النبي عليه السلام كان لبني النجار ، وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية ، فأمر رسول الله بالنخل فقطع وبالحرث فأفسد ، وبالقبور فنبتت ^(١) فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا أعضادتيه (جانبية) حجارة ^(٢) وليس فيه إلا مكان واحد مسقف يغطيه الجريد المثبت على جذوع النخيل ، أما بقيه أجزاء المسجد فكانت مكشوفة ، وقد أفرد النبي الجزء المسقوف لبعض من جاء من مكة من المهاجرين الذين لم يجدوا مأوى ، وقد سمي هؤلاء بأهل الصفة ^(٣) أما طول المسجد مما يلي القبلة مائة ذراع ، في الجانبين الآخرين مثل ذلك وجعل الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن ^(٤) وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره ، وباباً يقال له باب الرحمة ، وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة ، والباب الثالث الذي يدخل منه النبي عليه السلام ، وهو الباب الذي يلي آل عثمان ^(٥) وروي "أن الرسول صلى الله عليه أعان أصحابه على بناء المسجد فكان يتناول اللبن حتى اغبر صدره" ^(٦) وقد زاد في المسجد كل من عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ^(٧) .

ولم يزد فيه علي ومعاوية ، وحين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد ويجعله مائتي ذراع في مائتي ذراع ^(٨) .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٤٠ . الطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ . ابن حزم : جوامع السيرة ، ص ٩٥ .

أبو حمزة الأندلسي : بهية نفوس ، ج ٢ ص ١٥٧ . السيوطي : التوشيح ، ج ٤ ص ١٣٩٨ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١ ص ٣٥ . الكندي : الترتيب ، ج ٢ ص ٧٧ . محمد فوزي : صور وعبر ، ص ١٦ .

(٣) ابن النجار : النرة ، ص ١٦٦ . رشيد الجميلي : تاريخ العرب ، ص ٢٨١ .

(٤) الكندي : الترتيب ، ج ٢ ص ٧٧ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٢٥٤ . السهوي : وفاء لوفاء ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(٧) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج ١ ص ١٣٥-١٣٦ . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٩٢ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج ٦ ص ٤٣٥ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ص ٢٤٦ .



بيوت النبي :

بجوار المسجد اتخذ النبي مساكنه ، وقد جعلت متصلة بالمسجد بحيث يخرج من بيته إلى المسجد رأساً^(١) وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء،^(٢) يقول ابن النجار: " لما بنى الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضي الله عنهما وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرر أو ساج، ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بنى لهن حجراً وهي تسعة بيوت "^(٣) ويشير ابن سعد "أنه لم يجتمع هؤلاء النسوة جميعاً عند النبي صلى الله عليه وسلم "^(٤) وذكر المرجاني: " أن الرسول صلى الله عليه وسلم ضرب الحجرات بين المسجد وبين القبلة والشرق إلى الشام ، ولم يضربها في غربيه ، وكانت هذه الحجرات خارجة من المسجد^(٥) وكانت مساكنه مبنية من الجريد وعليه طيف من حجارة مرصوفة وسقفها كلها من جريد^(٦) وقد دَخَلَتْ حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد على أثر التوسعة التي تمت في عهد الوليد بن عبد الملك ، حيث طلب من عمر بن عبد العزيز والي المدينة آنذاك بإدخال حجر النبي في مسجده^(٧) يقصد من ذلك أن التوسعة كانت على حساب مساكن النبي، بسبب قرب هذه المساكن من المسجد.

(١) ابن النجار : الدرر ، ص ١٥٢ . أحمد الشريف: مكة والمدينة ، ص ٣٩٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٢٥٩ . انظر لسيرة : ج ١ ، ص ٤٠ .

(٣) ابن النجار : الدرر ، ص ١٥٢ ز لمرجاني : بهجة النفوس ، ج ١ ، ص ١٨٩

(٤) ابن سعد : لطبقات ، ج ٨ ، ص ١٦٥

(٥) المرجاني : بهجة نفوس ، ج ١ ، ص ١٩٠ . ابن الضياء : تاريخ مكة ، ص ٢٦٨

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ . السخاوي : التحفة ، ج ١ ، ص ٢٢

(٧) ابن النجار : الدرر ، ص ١٥٣



منزل المهاجرين :

كانت عملية إيواء مهاجري مكة ، وبناء خطط لهم من أبرز الأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد خط للمهاجرين في أرض ليست لأحد ، أو وهبتها الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم فكانت منطقة المسجد النبوي هي مركز خطط الصحابة^(١) وتتجمع حوله مساكنهم.

ويأتي في مقدمة البيوت في الجانب الشرقي بعد بيت رسول الله، بيت علي بن أبي طالب ، أي بيت فاطمة بنت رسول الله والذي يقع خلف بيت رسول الله ، وبين بيت فاطمة وعائشة رضي الله عنهما كوة (فتحة)^(٢) " ثم بيت عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتأتي الطريق بعد دار عثمان ، ثم منزل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعه المغيرة بن عبد الرحمن ، وجعل فيه ماء الذي يسقى في المسجد ، إلى جانبه دار جعفر بن محمد بن علي ، وكانت لحارثة بن النعمان الأنصاري^(٣) وكانت دار أبي بكر الصديق قبالة دار عثمان بن عفان ، ويفصل بينهما طريق عرضه خمسة أذرع وتقابل دار أبي بكر الباب الرابع من أبواب المسجد وهو باب النساء^(٤) ويليه دار خالد بن الوليد الملاصقة لدار ريطة بنت أبي العباس، ثم إلى جنبها دار أسماء بنت حسين بن عبد الله بن العباس ، ثم صارت لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان،^(٥) التي يلي ذلك دار عمرو بن العاص ، وبقربها دار فاطمة بنت قيس ، ودار أنس بن مالك^(٦)

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج٤ ن ص٦٧. لؤي بواعنة : ثورة المدينة ص١٥

(٢) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج٢ ص٤٦٦ . السامرائي : المظاهر الحضريّة ص٤٦

(٣) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج١ ص١٥٨ . لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج٢ ص٧٣٢ - ص٧٣٣

(٤) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج٢ ص٧٣١ . السامرائي : المظاهر الحضريّة ص٤٦

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة : ج١ ص١٥٨ . عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ص٣٧

(٦) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج٢ ص٧٣٠ . صالح العلي : خطط المدينة ص١٠٩٣



أما الجانب الشمالي فيبدأ بدار عبد الرحمن بن عوف، وكانت تسمى دار الضيفان ، وسميت أيضاً الدار الكبرى، لأنها أول دار بناها أحد المهاجرين . وكان ينزل فيها ضيفان الرسول -صلى الله عليه وسلم- (١) وإلى جانبها دار القراء، وهي دار عبد الله بن مسعود (٢) ويذكر : " أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أقطع الناس الدور والرباع ، فخط لبني زهرة في ناحية من مؤخرة المسجد، وكان لعبد الرحمن بن عوف الحشّ المعروف به ، وجعل لعبد الله وعتبة ابني مسعود الهدليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد" (٣).

وفي الجانب الغربي تقع دار عبد الرحمن بن عوف ، وكان وراء هذه الدار حشّ (محل فيه نخل صغار لا تسقى) لطلحة بن أبي طلحة الأنصاري ، وإلى جانب هذا الحش ، زقاق بعرض خمسة أذرع . وبالقرب منه دار أم حبيبة زوج رسول الله والتي صارت لآل شرحبيل بن حسنة (٤) ثم دار لعاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وكانت تقابل باب الرحمة أو باب السوق ثم يليها أطم حسان بن ثابت، (٥) وبجوارها تقع دار عمر بن الخطاب والتي تسمى دار القضاء . ويذكر ابن شبة : " أن معاوية رضي الله عنه اشتراها عند ولايته" (٦) من أبناء عبد الرحمن بن عوف، فصارت بعد في الصوافي، وكانت فيها الدواوين وبيت المال (٧) ويليه دار عبد الله بن مكحول بن عوف بن زهرة ، الشارعة في غربي دار القضاء ، وكان عبد الرحمن بن عوف وهبها له (٨).

(١) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤٥ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٨

(٢) ابن سعد : طبقات ، ج ٣ ، ص ٨١ . السمرائي : المظاهر الحضريّة ، ص ٤٧

(٣) ابن شبة : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٤٨ . البلاذري : أنساب ، ج ١٠ ، ص ٣٢ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧١٨

(٤) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٧ . السمرائي : لمظاهر الحضريّة ، ص ٤٧

(٥) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ . صالح العلي : خط المدينة ، ص ١٠٩٥

(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤٤

(٧) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ ، ص ٧٢٨ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٩٥

(٨) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤٤ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٤



ويحاذي دار القضاء طريق عرضه ستة أذرع يتلوه من الشمال دار نعيم بن عبد الله النحام التي يواجه بابها^(١) . وبالقرب من هذه الدار كانت دار سكينة بنت الحسين، إلى جانبها الطريق المفضي إلى دار طلحة بن عبيد الله وعرضه ستة أذرع^(٢)

ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية باب السلام وباب الخشوع وباب مروان لملاصقته لدار مروان بن الحكم ، والتي بناها وجعل فيها داراً لإبنه عبد العزيز ، وكان معاوية قد شتراها وجعلها دار إمارة ، ثم صارت في الصوافي^(٣) وكان إلى جانب هذه الدار دار لآل سفيان بن حرب ، وأخرى لآل أبي أمية بن المغيرة ، وقد اشتراها يزيد بن عبد الملك وكانت أشرف (أعلى) دار في المدينة بناءً^(٤) .

كما اهتم الخلفاء الأمويون ببناء الدور في المدينة ، لدرجة أن هذه الدور من كبر حجمها واتساعها وصفت بالمدن . فقد ذكر ابن شبة : أن بعض أهل المدينة وفد على يزيد بن عبد الملك ، فسأل يزيد عن داره فقالوا : ما نعرف لك بالمدينة داراً ، فنقل ذلك على يزيد ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنها ليست بدار ، إنما هي مدينة^(٥) . وفي الزاوية الجنوبية الغربية من دار يزيد كانت تقع دار رباح مولى رسول الله ، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية منها دار المقداد بن الأسود ، ثم دار حكيم بن حزام ، إلى جانب دار مطيع بن الأسود^(٦) .

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٩٥ .

(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٦ . لسانمراي : لمظاهر الحضرة ، ص ٤٨ .

(٣) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤٤ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٩٦ .

(٤) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٥٧ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٥٧ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٩٦ .

(٦) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٩٦ .



أما الجانب الجنوبي من المسجد فتشير الروايات أنه كان مربداً ولم تقم فيه بيوت في عصر النبوة،^(١) إلا أن السهمودي أشار إلى أن هناك داراً لحفصة بنت عمر وداراً لعائشة^(٢) ثم داراً لأسماء بنت أبي بكر^(٣)

البلاط الأعظم والدور المحيطة به:

البلاط: موضع بالمدينة ، بين المسجد والسوق ، وهو مبلط بالحجارة^(٤) وقد بلطت أربع الجهات المتصلة بالمسجد النبوي^(٥) ويذكر ابن شبة : "أن الذي بنى حوالي مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالحجاز معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه- ، أمر بذلك مروان بن الحكم ، وولى عمله عبد الملك بن مروان، وبلط ما حول دار عثمان بن عفان الشارع على موضع الجنائز"^(٦). يتبين لنا أن عمل البلاط قد تم زمن الأمويين ، حيث بلطت جوانب المسجد ، ولعل السبب في ذلك ، يعود الى منع تدفق المياه الى مسجد رسول الله ، بالإضافة إلى الجانب العمراني الذي ازدهر في المدينة زمن الأمويين.

ويمتد حد البلاط الغربي ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق ، وحده الشرقي إلى دار المغيرة بن شعبة التي في طريق البقيع من المسجد، وحده اليماني إلى حد زاوية دار عثمان وحده الشامي وجه حش (بستان) طلحة خلف المسجد ، وهو في الغرب إلى حد دار إبراهيم بن هشام على المصلى. وللبلط أسراب ثلاثة يصب فيها مياه المطر،^(٧) وأول الدور المطيفة بهذا البلاط مما يلي المصلى في ميسرته، دار إبراهيم بن هشام المخزومي.

(١) السامرائي : لمظاهر الحضرة ص ٤٩

(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢، ص ٧١٨ . لؤي بواغنة : ثورة المدينة ص ١٩

(٣) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤٩ . صالح العلي : خطط المدينة ص ١٠٩٧

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٧ . الفيروز آبادي : لمغانم ، ص ٦٤.

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٤ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٣٦.

(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ص ١٤ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٣٥.

(٧) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ص ١٤



وفي ميمنة، في قبلتها، جانحاً إلى الغرب دار سعد ابن أبي وقاص ، ثم دار فراش من بني عامر، ثم يلي دار آل فراش في الميمنة أيضاً دار الربيع التي يقال لها دار حفصة^(١) ثم دار عبد بن زمعة ، وفي قبلة دار عبد بن زمعة تقع دار عبد الرحمن بن مشنو، وفي قبلتها تقع دار عمار بن ياسر، ثم يليها في الميمنة زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث ، وقد اتخذ أبو هريرة الدوسي داراً له بالبلاط بين خط البلاط وزقاق دار عبد الرحمن ابن الحارث،^(٢) ويليهما دار عبد الله بن عوف، بين زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وبين زقاق دار أبي أمية بن المغيرة ، يلي دار أبي أمية في قبلتها دار الحويطب بن عبد العزى ، وفي شرقيها أيضاً دار صهيب بن سنان^(٣). ثم إلى زقاق دار أبي أمية في الميمنة من شرقي الدار دار خالد بن سعيد الأكبر بن العاص، ويقال لها دار ابن عتبة، وإنما ورثها ابن عتبة عن عمه خالد بن سعيد . ثم دار أبي الجهم، ثم دار نوفل بن عدي، ثم دار آل المنكدر التيمي^(٤) .

أما الجهة اليسرى من البلاط فقد نزل فيها من الصحابة سعد بن أبي وقاص وكانت داره في الميمنة ، والطريق بينهما عشرة أذرع^(٥) ثم يليها دار حويطب بن عبد العزى واتخذ عامر بن أبي وقاص داره بين دار حويطب وبين خط الزقاق الذي فيه دار أمية بنت سعد بن أبي سرح،^(٦) ثم في الميسرة أيضاً دار عبد الله بن مخرمة قبالة دار عبد الله بن عوف^(٧) ، يليها دار رويشد الثقفي^(٨) .

(١) السهمودي : وفاء لوفاء ، ج٢، ص٧٤٠-٧٤١

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٧٤٢-٧٤٣ .

(٣) المصدر نفسه : ج٢، ص٧٤٣

(٤) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١٤٢ ، ص١٥٣ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص١١٠٤

(٥) السهمودي : وفاء لوفاء ، ج٢، ص٧٤٠

(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج١، ص١٥٤

(٧) المصدر نفسه : ج١، ص١٥٤

(٨) السهمودي : وفاء لوفاء ، ج٢، ص٧٤٥



محال القبائل من المهاجرين من غير قریش:

من المعروف أن الهجرة كانت فرضاً في بداية الإسلام على من أسلم ، حتى إذا كانت غزوة الأحزاب عام ٥هـ / ٦٢٧م وتبينت قدره الدولة الإسلامية على الدفاع عن نفسها وحماية كيانها ، لم تعد الدولة بحاجة ملحة إلى مهاجرين جدد^(١).

ومن القبائل العربية التي هاجرت إلى المدينة وأقامت بها بالإضافة إلى قریش قبائل: مزينة ، وجهينة وبلي، وقيس، وبني كعب^(٢) حيث نزل بنو هذبة ما بين زاوية بيت القروي المطل على بطحان الغربية ، إلى زاوية بيت أبي هبار الأسدي ، ونزل في هذه المحلة بنو شيطان بن يربوع ، وبنو سليم بن منصور ، وعدوان بن عمرو بن قيس ، فهؤلاء الذين نزلوا مع مزينة ، ودخل بعضهم في بعض . وإنما نزلوا جميعاً لأن دارهم في البادية واحدة^(٣).

ونزلت بنو ذكوان من بني سليم مع أهل راتج من اليهود ، ونزل بنو أوس بن عثمان بن مزنيه بطرف السوريين ، ونزلت بنو عامر بن ثور ما بين أم كلاب والذي في خط بني زريق^(٤) ونزلت أشجع بن ريث ، ما بين سائلة أشجع ، ثنية الوداع^(٥) ونزل شمالي سائلة أشجع بنو هذيل بن مدركه^(٦).

أما منازل جهينة وبلي ، فقد نزل جهينة بن زيد بن السود بن الحارث بن قضاة ، وبلي بن عمرو بن إلحاف بن قضاة ما بين خط أسلم إلى دار حرام بن عثمان الأنصاري في بني سلمة إلى الجبل الذي يقال له جبل جهينة^(٧) .

(١) السامرائي : لمظاهر الحضرية ص ٥٣

(٢) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ص ١٦١

(٤) المصدر نفسه : ج ١ ص ١٦١

(٥) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ص ٧٦٣

(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ص ١٦١

(٧) المصدر نفسه : ج ١ ص ١٦١



في حين نزل بنو كعب بن عمرو ، ولخوتهم من بني المصطلق، ما بين يمانى بني ليث بن بكر إلى دار شريح العدوي إلى موضع التمارين بالسوق إلى زقاق الجلادين^(١) ونزلت بنو المصطلق بن سعد بن عمرو وأخوه كعب بن عمرو، رهط جويزيه بنت الحارث زوج النبي ظاهرة حرة بني عضيذة، إلى أدنى دار عمر بن عبد العزيز، إلى الدار التي يقال لها دار الخرازين^(٢).

سوق المدينة :

يعد إنشاء الأسواق في أي مدينة إسلامية من أهم الخطوات التي يخطط لها بعد خطة الجامع والمسكن، ويتبين لنا هذا من خطة مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم - حيث أشرف النبي بنفسه على تحديد مكان السوق.

والسوق في المفهوم العمراني القديم فضاء واسع لا بناء فيه يضع فيه التجار حوائجهم . والمكان لمن سبق ، وكانت تضرب فيه بعض الخيام، يبيع فيها أصحابها ما يعرضون من حاجات مختلفة ، وكان الراكب ينزل بسوق المدينة فيضع رحله، ثم يطوف بالسوق ورحله أمام عينه ولا يحجبه شيء^(٣).

وقد كان سوق المدينة المشهور قبيل الإسلام، وفي بداية عصر النبوة، هو سوق يهود بني قينقاع^(٤) وقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ سوقاً في موضع بقيع الزبير (يقع في شرقي خطة بني زريق ومجاور لخطة بني غنم)^(٥) وقام رسول الله بنصب بعض الخيام لهذه المهمة ، فأقبل كعب بن الأشرف من زعماء يهود المعادين للإسلام، فدخل الخيام وقطع أطناها، فنقلها الرسول إلى موضع سوق المدينة وقال : " هذا سوقكم فلا يضيف ولا يأخذ فيه خراج"^(٦).

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٢، ص٧٦٥

(٢) ابن شبة : تاريخ لمدينة ، ج١ ص١٦٣ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٢، ص٧٦٥

(٣) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٢ ، ص٧٤٩ . السامرائي : المظاهر الحضريّة ، ص٦٥

(٤) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج١ ص١٨٣

(٥) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج٢، ص٧٤٨

(٦) لبلانري: فتوح ، ص٢٤ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج١ ص٧٤٨



يبدو لي أن المكان الذي نصب فيه رسول الله الخيام كان ملكاً لليهود ، وهذا مادفع كعب إلى قطع حبال الخيام ، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكلمه ولم يعتب عليه ، بل قال : لا جرم لأنقلنها إلى موضع هو أغيبز له من هذا ^(١) وقد دل الرسول على مكان السوق رجل جاءه فقال : يا رسول الله ، إني قد رأيت موضعاً للسوق ، أفلا تنتظر إليه؟ قال: فجاء به إلى موضع - سوق المدينة- ^(٢) .

أما حدود السوق من جهاته الأربعة ، فيحده من الشمال ثنية الوداع الشامية، ومن الجنوب مصلى العيد ، ويحده من الشرق مشهد مالك بن سنان -رضي الله عنه- ، وأما حد السوق الغربي فلم يذكره أحد ^(٣) ولقد حصل تطور على سوق المدينة زمن الأمويين ، فقد أصبح السوق ، بعد ازدحام السكان في وسط المدينة ولم يعد فضاء واسع كما كان في السابق ^(٤) .

(١) لين شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ص ٧٤٨ . السامرائي : لمظاهر الحضرة ، ص ٦٣ .

(٣) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٤٨ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١١١٩ .

محمد السيد لوكيل : المدينة المنورة ، ص ٢٠٨ .

(٤) لمزيد من المعلومات ، انظر الفصل الثالث من هذا البحث.



الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في المدينة في العصر الأموي

فئات السكان

أولاً: العرب

أهل المدينة والخلفاء الأمويين

ثانياً: الموالى

ثالثاً: الرقيق

المرأة في مجتمع المدينة

المظاهر الاجتماعية في المدينة



فئات السكان :

كان المجتمع في المدينة في العصر الأموي يتكون من عدد من العناصر المختلفة ، ويأتي في مقدمة هؤلاء العناصر في المدينة .

أولاً: العرب

وينقسمون بدورهم إلى أقسام :

أ- الأنصار ، وهم في المدينة من الأوس والخزرج،^(١) والأوس والخزرج هما أبناء حارث بن ثعلبة بن عمرو بن عامر " وهما أبناء قبيلة^(٢) بنت الارقم بن عمرو بن جفنه بن مزريقاء^(٣) وعرفت قبيلة الأوس والخزرج بالأنصار " وهو أسم إسلامي سمى به النبي عليه السلام كلتا القبيلتين^(٤) وسموا بهذا الاسم بسبب مؤازرتهم ومنعتهم للنبي ولأصحابه من المهاجرين^(٥) وقد ورد في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله".^(٦) ولما قدمت الأوس والخزرج إلى المدينة تفرقوا في عالياتها وسافلتها ، ومنهم من نزل مع قوم من بني إسرائيل، في قراهم ، ومنهم من نزل وحده ، وكانت الثروة في بني إسرائيل وكانوا نيفاً على عشرين قبيلة ، ولهم قرى أعدوا بها الأطام ، فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحواليهم^(٧) .

وبعد سيطرة الأوس والخزرج على المدينة أصبحوا أصحاب الكلمة العليا بالمدينة وسادة الموقف وأصبح اليهود موالي لهم^(٨) .

(١) المقدسي : الاستبصار في نسب الصحابة ، ص ٢٩ . عبدالعزيز العمري : الحرف والصناعات ، ص ٩٥

(٢) ابن هشام : السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٦ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٠٩

(٣) ابن حزم : جمهرة نسل العرب ، ص ٣٣٢ . السهيلي : الروض اللآلئ ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٤) ابن حجر : فتح الباري ، ج ٧ ، ص ١١٠ . السهوي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٥) لترمذي : سنن ، ج ٤ ، ص ٥٦٥ . خالد الحميدي : نشوء فكر السليبي ، ص ٢٨ . ساميه منسي : الأنصاريات ، ص ٢٥ .

(٦) سورة الصف : الآية "١٤"

(٧) السهوي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٨) R. Anicholson : Literary History of the Arab . P:11



ويذكر ابن النجار: "وتفرقت الأوس والخزرج في عالية المدينة وسافلتها ، وبعضهم جاء إلى عفا من الأرض لا ساكن فيه فنزله ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها واتخذوا الأموال والآطام فكان ما ابتنوا من الآطام مائة وسبعة وعشرين أطمًا، وأقاموا كلمتهم وأمرهم مجتمع" (١) ثم دخلت بينهم حروب، إلى أن بعث الله نبيه وأكرمهم باتباعه (٢) .

وقد أطلق الله ورسوله عليهم الأنصار ، وقد أخلصوا للدعوة الإسلامية إخلاصاً عظيماً حتى أنهم لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً من متاع الدنيا، وقد وثق رسول الله صلى الله عليه وسلم في إيمانهم وثوقاً شديداً حتى عندما فتحت مكة ووجه جيش المسلمين لمحاربة هوازن في غزوة حنين أثر النبي مسلمي الفتح (أي قريش) بعطاياه ليستميلهم للإسلام ولم يعط الأنصار شيئاً ، فلما أحس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما في نفوسهم قال لهم: "يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع الناس بالشاه والبعير وترجعون برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى رحالكم؟ قالوا : رضينا يا رسول الله حظاً وقسماً" (٣) .

لقد كان للأنصار مكانة كبيرة عند الرسول وعند الخلفاء من بعده لأنهم أهل المدينة، وقد حول الخلفاء الأمويون فيما بعد استرضاء أهل المدينة، ومنهم الأنصار، (٤) لما كان لهم من مكانة في المدينة وقد أكد على هذه المكانة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لو أن الأنصار سلکوا وادياً أو شعباً لسكنت وادي الأنصار أو شعبهم " (٥) .

(١) ابن النجار : الدرة ص ٤٢ ، لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٢) المرجاني : بهجة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٦ . ابن الضياء : تاريخ مكة : ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٣) البخاري : صحيح ، ج ٥ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٤) ابن لوططفا : الفخري ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٥) البخاري : صحيح ، ج ٥ ، ص ١٠٠ . ابن حجر : فتح الباري ، ج ٧ ، ص ١١٢ .



ولا عجب في ذلك فهم الذين عرض عليهم الإسلام فأمنوا به وصدقوا الرسول وبأيعوه^(١) بل آثروا إخوانهم المسلمين المهاجرين ، في ضمان العيش الهنيء لهم والحياة المستقرة ، وأبدوا استعدادهم لقسمة أرزاقهم بينهم وبين هؤلاء المهاجرين من المؤونة و الثمر والأرض،^(٢) وهذا ما عرف بنظام المؤاخاة بين المهاجرين الأنصار^(٣) .

لقد شكل هؤلاء الأنصار مع إخوانهم المهاجرين في المدينة قوة سياسية واقتصادية في صدر الإسلام والدولة الأموية .

والتغيير الذي أصاب حياة الأنصار منذ الإسلام إنما هو انصهارهما في كتلة قبلية واحدة،لواؤها واحد ودعوتها واحدة ،حتى استغنوا عن الانتساب إلى قبائلهم الأصلية واستبدلوا به نسبهم المستحدث "الأنصار" لا يرضون به بديلاً، بل أصبحوا يكرهون أن يدعوهم أحد بأسماء عشائريهم القديمة ، فيذكر الأصفهاني أن معاوية أراد مرة أن يردهم إلى أنسابهم القديمة ،حين وقفوا ببابه يطلبون الإذن بالدخول عليه ، فأوعز إلى حاجبه أن يدعوهم بالأوس والخزرج فغضب الأنصار وقال سيدهم النعمان بن بشير يخاطب سعداً حاجب معاوية :

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا نسبٌ نجيب به سوى الأنصار
نسبٌ تخيره الإله لقومنا أثقل به نسباً على الكفار

فاضطر معاوية إثر ذلك إلى استرضائهم^(٤) . وذكر أن معاوية قدم المدينة ، فلقبه أبو قتادة الأنصاري فقال معاوية : تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، قال: لم يكن لنا دواب ، قال : فأين النواضح ؟ قال: قال عقربناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر . وعندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وولوا عليهم حنظلة الغسيل

(١) لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩ ، نورة آل الشيخ : الحياة الاجتماعية ، ص ٤٧ .

(٢) البخاري : صحيح ، ج ٥ ، ص ١٠١

(٣) مسلم : صحيح ، ص ٩٨٢ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٢٦٧ . لدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ص ٤١ .

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٢٩٦-٢٩٧ ، ص ٣٠١ . إحسان النص : حسن بن ثابت ص ٦٣



حاول النعمان بن بشير أن يقنع قومه الأنصار ، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة ، وخوفهم الفتنة إلا أنهم رفضوا رأيه وعصوه ، وقاتلوا مع أهل المدينة ضد جيش يزيد^(١) .

وكانت كل قبيلة من القبيلتين الأوس والخزرج تنقسم إلى خمسة أبطن كبرى، انقسمت بدورها إلى بطون أصغر منها وإلى عشائر ، حتى بلغت البطون المعروفة من القبيلتين أكثر من أربعين بطناً ، عدا من كان يعايشها من عشائر عربية أخرى اتصلت بها برابطة الولاء ، وقد سكنت بطون الأوس المنطقة الجنوبية والشرقية وهي منطقة العوالي ، بينما سكنت بطون الخزرج المنطقة الوسطى والشمالية وهي سافلة المدينة ، وليس ورائهم في الغرب إلا خلاء حرة الوبرة . وكانت مساكن الأوس في المناطق الزراعية الغنية وكان يجاورهم بها أهم قبائل اليهود ، أما مساكن الخزرج فكانت في مناطق أقل خصباً^(٢) .

والآن سوف نتعرف على أهم بطون الأوس والخزرج وأماكن سكنهم في المدينة أثناء العصر الأموي :

أ- بطون الأوس: "وهم خمسة بطون: عوف بن مالك ، وعمرو بن مالك ، ومرة بن مالك ، وجشم، وامرؤ القيس ابن مالك"^(٣) .

فقد نزل بنو عمرو بن مالك من الأوس الحرة الشرقية،^(٤) ونزل بنو ظفر بن عمرو بن مالك شرقي البقيع^(٥) ونزل بنو عوف بن مالك من الأوس قباء،^(٦) والعصبة، وهي غربي مسجد قباء^(٧) .

(١) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨١ .

(٢) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٠-٢٠٤ . احمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٣١٣ .

(٣) بن السائب نسب معد ، ج ١ ص ٣٦٤ ، ابن قتيبة : للمعارف ، ص ١١١ ، وانظر عبد ربه : العقد ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .

(٤) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠١ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٧) ابن عبد البر : القصد والامم ، ص ١٠٩ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٤ .



وخرجت بنو معاوية بن مالك فسكنوا دارهم التي وراء بقيع الغرقد المعروفة بهم،^(١) وخرجت بنو السمعية وهم بنو لودان بن عمرو بن عوف فسكنوا عند زقاق ركيح ، ونزل بنو واقف والسلم أبناء إمري القيس عند مسجد الفضيخ،^(٢) بينما نزل بنو وائل بن زيد وبن أمية بن زيد في دارهم المعروفة بهم في النواجم^(٣) . ونزل بنو عطية بصفنة فوق بني الحبلى^(٤) بينما نزل بنو خطمة دارهم المعروفة بهم^(٥) . هذه منازل قبائل الأوس في العصر الأموي. ونلاحظ أن منازلهم كانت في المنطقة الجنوبية والشرقية وهي منطقة العوالي .

ب - بطون الخزرج:

بطون الخزرج الكبرى خمسة أبطن هي " عمرو بن الخزرج ، وعوف بن الخزرج ، وجشم بن الخزرج ، وكعب بن الخزرج ، والحارث بن الخزرج ، وقد انقسمت هذه البطون الكبرى بدورها إلى بطون متعددة اصغر منها وإلى عشائر"،^(٦) فقد نزل بنو الحارث دارهم المعروفة بهم بالعوالي : أي شرقي وادي بطحان ، بينما سكن ، أبناء الحارث جشم وزيد السنج^(٧) وخرجت بنو خدره بن عوف بن الحارث حتى سكنوا الدار التي يقال لها " جرار سعد " مما يلي سوق المدينة ، ونزل سالم وغنم أبناء عوف بن عمرو الدار التي يقال لها " دار بني سالم " على طرف الحرة الغربية^(٨)

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٥ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٧٠ - ١٠٧١ .

(٣) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٦ . صالح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٧١ .

(٤) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٦) ابن السائب الكلبي : نسب معد واليمن ، ج ١ ، ص ١٩٣ . ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٣٤٦ .

(٧) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٨) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٩٩ .



ونزل بنو غصينة وهم من بني حلفاء لبني سالم عند مسجد غصينة، بينما نزل بنو الحبلي دارهم المعروفة بهم بين قباء وبين دار بني الحارث التي شرقي وادي بطحان^(١) . ونزل بنو بياضة وزريق وحبيب وعذارة واللين واجدع، دار بني بياضة، وهي فيما يقول المطري فيما بين دار بني سالم بن عوف بن الخزرج التي عند مسجد الجمعة إلى وادي بطحان قبل دار بني مازن،^(٢) بينما نزل بنو ساعدة بين السوق - اي سوق المدينة - وبين بني ضمرة^(٣) ونزل بنو مازن بن النجار دارهم المعروفة بهم وكذلك الامر بنو دينار بن النجار وبنو عدي بن النجار^(٤) .

هذه قبائل الأوس والخزرج (الأنصار) التي سكنت المدينة وأماكن سكنهم أثناء العهد الأموي وقد كان لهذه القبائل دور هام في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدينة .

ب-المهاجرون: وهم الذين فروا بدينهم من مكة إلى المدينة ، من قبيلة قريش وما تبعهم منها . ولقد كانت لهذه القبيلة مكانة سامية في نظر القبائل الأخرى ، نظراً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منها . فكانت الرياسة والدولة فيهم،^(٥) .

ومن أهم البطون التي تنتمي إلى قبيلة قريش ، بنو سامة بن لؤي ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو سهم، وبنو جمح ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو مخزوم ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو زهرة ، وبنو عبد الدار ، وبنو أسد ، وبنو نوفل بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف، وبنو أمية ، وبنو هاشم^(٦) .

(١) صلاح العلي : خطط المدينة ، ص ١٠٧٤ .

(٢) السهوي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٠٨ .

(٤) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢١٣ . (١) بن هشام : السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٦ . بن قتيبة : المعارف ، ص ١٠٩ .

(٥) احمد شلبي : المجتمع الاسلامي ، ص ٤٧ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ١ ، ص ١٠١ .

ولنظر : محمود شاكر : التاريخ الاسلامي ، ص ١٥٩ . عبدالله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٢٣ .

(٦) السهوي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥-٢٧٦ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٤٠٥-٤١٤ .



وقد سكنت بطون من قبيلة قريش المدينة المنورة وقراها كالفرع،^(١) وودان، والحفيرة، وملل، والسيالة،^(٢) وهذه القرى قرى نخيل وزروع،^(٣) كما سكنوا أيضاً قرى سوقة وساية،^(٤) وهي ذات عيون كثيرة^(٥).

أن اتخاذ المدينة مقراً للدولة الإسلامية، ثم جعل الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول منها عاصمة الخلافة الإسلامية أدى إلى جلب عدد كبير من الناس إليها، لا من أهل مكة فحسب، بل من القبائل الحجازية المجاورة، هذا فضلاً عن عدد من غير العرب الذين جاءوا إجباراً كأسرى حرب مسترقين، أو طوعاً كموالي وأجانب للقيام بالتجارة،^(٦) غير أن هؤلاء المهاجرين الجدد سرعان ما تكتلوا كمجموعات قائمة على أساس وحدة النسب^(٧).

ج- القبائل العربية :

وهي القبائل التي هاجرت من مواطنها في الجزيرة العربية بعد انتشار الإسلام إلى أماكن متعددة في منطقة المدينة المنورة . ونزلت كثير من القبائل العربية في منطقة المدينة المنورة وقراها، وقد كان لهذه القبائل مساهمة في مجالات الحياة المختلفة أثناء العصر الأموي كما سابين فيما بعد ومن هذه القبائل :

أ- بنو سليم : من قبائل قيس ، وهم اكبر قبائل قيس قاطبة،^(٨) ومنازلهم واسعة، تمتد من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة ، إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي

(١) عرام السلمي : أسماء جبال تهامة ، ص ١٩ . عبدالله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٢٣ .

(٢) عرام السلمي : أسماء جبال تهامة ، ص ٢١ . اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٣ .

(٣) عرام السلمي : أسماء جبال تهامة ، ص ٢٠ .

(٤) الفيروز آبادي : المعجم ، ص ١٧٥ ، ص ١٩١ .

(٥) المصدر نفسه : ص ١٧٥

(٦) صلح العلي : خطط لمدينة، ص ١٠٥٧ .

(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٥٧-١٠٥٨ .

(٨) القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ١، ص ٣٩٩ .



إلى الحرة لا يخالطهم فيها أحد^(١) وبلاد بني سليم غنية حيث يكثر فيها المعادن ، ولعل معدنهم عرف في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام ، وكان أكثر من يمارس صناعة التعدين عندهم من غير العرب ، كالفرس وغيرهم^(٢) وقد سكن بنو سليم عدداً كبيراً من القرى في المدينة منها : السوارقيه ، وهي قرية قناء كبيرة ، ولهم فيها سوق تأتيتها التجار من الأقطار لبني سليم ، ولهم فيها مزارع ، ونخيل كثيرة من موز وتين وعنب وسفرجل وخوخ^(٣) كما سكنوا قرية برمة، وهي من أعراس المدينة وفيها عيون ونخيل^(٤) كما سكن بنو سليم قرية الرحضية وهي قرية كثيرة النخيل والزروع^(٥) بالإضافة إلى منطقة العيص^(٦) وحرة النار^(٧) وأبلى، وأحباب^(٨) والدثينة^(٩) .

لقد تميزت قرى بني سليم بوضع اقتصادي هام، حيث توافرت فيها مقومات الزراعة من التربة والعيون ، بالإضافة لتوافر المعادن في بلادهم. وقد كان لهذه القبائل أثر واضح في المدينة^(١٠) .

(١) الهمداني: صفة جزيرة لعرب ،ص ٢٧٤ . الاثصري: قافلة الزيت ، ص ٧.

(٢) حمد الجاسر: القطائع النبوية، مجلة العرب ، ص ٥.

(٣) عرام السلمي: أسماء جبال تهامة، ص ٦٤-٦٥ . ياقوت : معجم البلدان : ج ٣، ص ٢٧٦.

(٤) لغيروز: المغانم، ص ٥٤.

(٥) عرام السلمي : أسماء جبال تهامة ، ص ٥٧

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٣

(٧) اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٢ . فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص ٥٨.

(٨) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ص ١٠٨.

(٩) الحربي : المناسك ، ص ٦٠٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٤٨.

(١٠) حمد الجاسر : القطائع النبوية ، ص ٦ .



ب- قبيلة جهينة :

بطن من قضاة،^(١) وهي من القبائل العظيمة التي سكنت المدينة المنورة وقراها ، وهي من أعرق القبائل وأكثرها ثبوتاً في مواطنها القديمة ، ولما ظهر الإسلام كانت جهينة من أولى القبائل التي دخلت فيه ، وهاجر أناس منها وسكنوا المدينة المنورة،^(٢) فقد نزل جهينة بن زيد وبلي بن عمر بن قضاة ، ما بين خط اسلم الذي بين اسلم وجهينة ، إلى دار حرام بن عثمان السلمي الأنصاري^(٣) كما أن منازل جهينة تمتد على الساحل من جنوبي ديرة بلي حتى جنوب ينبع^(٤)، والقبيلتان بلي وجهينة من بقايا قضاة اليمانية،^(٥) أما القرى التي سكنتها قبيلة جهينة في المدينة فهي رضوى وينبع والصفراء، وهذه القرى غنية بالماء والنخيل،^(٦) كما سكنت جهينة العيص وخيبر وفدك^(٧) وكلاً من جبل الأجرد والأشعر،^(٨) كما كان لهم مسجد في قباء عُرف باسمهم^(٩) ويضيف الهمداني إلى هذه القرى الروحاء والعرج^(١٠) .

وقد تميزت قرى جهينة بكثرة الغلال من النخيل، خاصة خيبر وفدك والعيص^(١١)

(١) النويري : نهلية العرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢) عبدالله سيف : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٢٩ .

(٣) لين شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٦١ . السموهدي : وفاء لوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ .

(٤) لين شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٥) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص ١٤٥ .

(٦) عرام السلمي : أسماء جبال تهامة ، ص ٥ - ٨ . ياقوت معجم البلدان : ج ٥ ، ص ٤٥٠ .

(٧) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، ص ١٩٨ .

(٩) الحربي : المناسك ، ص ٣٩٨ .

(١٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

(١١) السموهدي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢١٠ ، ص ١٢٧٠ ، ص ١٢٨٠ .



ج- قبيلة مزينة :

كانت منازل هذه القبيلة بين المدينة ووادي القرى^(١) ويحدد اليعقوبي منازل قبيلة جهينة بقرى الروحاء والعرج،^(٢) ويضيف إليها ياقوت : الفرع وورقان^(٣) بالإضافة إلى هذه القبائل فقد سكن منطقة المدينة المنورة قبائل عربية أخرى نذكر منها قبيلة غطفان : وهي بطن متسع كثير الشعوب والبطون ، فمن بطونها عبس وأشجع وذبيان ، وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طيء : اجا وسلمى. وأشجع هم عرب المدينة النبوية^(٤) .

وكان لقبيلة أشجع دور في الدفاع عن المدينة في سنة ثلاث وستين هجرية عندما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال أهل المدينة حيث اشترك معقل بن سنان الأشجعي في القتال ضد الأمويين،^(٥) وكان على المهاجرين يوم الحرة ، وقتله مسلم بن عقبة المرّي وفي ذلك يقول القائل :

وأصبحت الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان^(٦)
و سكنت منطقة المدينة بنو كلاب، في حرة ليل^(٧) وحمى ضرية وحمى الربرة وفدك والعوالي،^(٨) ومن شعراء هذه القبيلة الرماح المرّي الذي مدح الوليد بن يزيد، وقد أمره بالمقام عنده ، فاشتاق إلى وطنه فقال :

آلا ليت شعري هل أبينّ ليلةً بحرة ليلى حيث ربّتي أهلي^(٩)

(١) لين شبة : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٦١ . الهمداني : جزيرة العرب ، ص ٢٤٤ . عبدالله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٢٧ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٣ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٩٨ ، نهاية الأرب : ص ٤ .

(٥) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ . وعبدالله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٣٢ .

(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٤٩ .

(٧) السهوي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١١٨٧ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

(٩) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٤٧-٢٤٨ . الفيروز آبادي : المغام ، ص ١٠٩ .



إضافة إلى هذه القبائل التي سكنت المدينة فقد سكنتها قبيلة بلي بن عمرو بن قضاة،^(١) التي نزلت منطقة حرة النار^(٢) .

تلك هي أهم القبائل العربية التي سكنت المدينة المنورة في العصر الأموي، فقد أشار إلى ذلك اليعقوبي ، في كتابه البلدان بقوله : " المدينة كما سماها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طيبة في مستواها من الأرض، عذبة، برية، جبلية، وذلك أن لها جبلين أحدهما أحد والآخر عير ، وأهلها المهاجرون والأنصار والتابعون، وبها قبائل العرب من قيس بن عيلان من مزينة وجهينة وكنانة وغيرهم "^(٣) ومن أخلط الناس من الموالي والرقيق^(٤) .

لقد كانت القبائل العربية الركيزة الأولى للمجتمع في المدينة في العصر الأموي، لأنهم كانوا يمثلون الغالبية العظمى من السكان، وكانت كل قبيلة تضم عدداً من العشائر، تشمل كل منها على عدد من الأسر^(٥) .

ويرى صالح العلي أن استقرار القبائل في المدن يخفّض من غلو العصبية القبلية، نظراً لاندماجهم في المجتمع وإسهامهم في نواحي الحياة المختلفة، السياسية والاقتصادية ، وتكوينهم علاقات مع أفراد ليسوا من عشائريهم^(٦) . ولهذا السبب فضل الكثير من الأمويين وعناصر أخرى من البلاد المفتوحة العيش في المدينة، إضافة إلى الحياة الهادئة فيها ، وبعدها عن الأحداث السياسية في عاصمة الخلافة الإسلامية دمشق^(٧) . وكان غايتهم الاستمتاع بالثروات العظيمة التي جلبوها من

(١) النويري : نهية الأرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) لفيروز : المغام ، ص ١١١ .

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٢ .

(٤) لبلازي : انساب ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٥) عبدالله سيف : الحياة الاقتصادية في نجد ، ص ٢١٩ .

(٦) صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص ٥٦ .

(٧) The Encyclopedia of Islam , vol: 3 . P:88



البلاد المفتوحة . فقد أصبحت المدينة في العصر الأموي مكاناً ملائماً للإقامة والعيش ، فانتشر فيها بناء القصور ، خاصة في وادي العقيق^(١) .

وهناك فئة أخرى من الناس فضلت الاستقرار في المدينة لأسباب أخرى ، غير المتعة المادية الدنيوية، وهي الفئة التي انصرفت للعلم الديني الذي دار حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف^(٢) . لقد أدى استقرار القبائل في المدينة إلى توثيق الروابط بينهم، فعاش الناس جنباً إلى جنب ، وارتبطوا بعلاقات اجتماعية ساعدت مع الظروف الحياتية اليومية في إيجاد الإحساس بالولاء للمدينة التي سكنوها ، ولذلك اشتهرت عبارة " أهل المدينة"^(٣) والتي فشلت في المصادر التاريخية خاصة.

وقبل التعرض للدور الذي قامت به الفئة الثانية من سكان المدينة من غير العرب وهم الموالي والرقائق. أود أن أبين طبيعة العلاقة التي سادت بين أهل المدينة (العرب) وبين الخلفاء الأمويين وأثار هذه العلاقة على الحياة الاجتماعية في المدينة.

(١) اليعقوبي بتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٢ . طه حسين : حديث الأربعاء ، ص ١٨ .

(٢) The Encyclopedia of Islam , vol: 3 . P:88

(٣) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨٧ .



أهل المدينة والخلفاء الأمويين

والآن سوف نعرض العلاقة التي كانت قائمة بين أهل المدينة من مهاجرين وأنصار (العرب) من جهة، وبين الخلفاء الأمويين من جهة أخرى خاصة وأن أهل المدينة كان لهم موقف من خلفاء بني أمية بعد نقل العاصمة إلى دمشق .

لقد اتبع أول الخلفاء الأمويين معاوية بن أبي سفيان سياسة خاصة مع أهل المدينة السالف ذكرهم ، من مهاجرين وأنصار. فيذكر البلاذري في هذا المقام أن معاوية اتبع سياسة الترهيب والترغيب معهم، فعندما قدم المدينة خطبهم فقال: "إني رُمْتُ سيرة أبي بكر وعمر، فلم أطقها، فسلكت طريقة لكم فيها حظ ونفع، على بعض الأثرة، فأرضوا بما آتاكم مني وأن قل، فأن الخير إذا تتابع وإن قل أغنى، وأن السخط يكدر المعيشة" (١) وقد حرص معاوية على تولية أقاربه الأمويين على المدينة (٢). وله في ذلك قصد وغرض ، فمن جهة أراد أن يظهر للناس بولايتهم أمرة البيت الأموي على سائر بيوت قريش، ليقر في أذهان الناس أن بني أمية معدن الملك وبيت الرئاسة، ومن جهة أراد معاوية أن يضبط بالولاية من بني أمية أمور الحجاز، ويأمن ثورته لاسترداد الخلافة (٣).

وكان معاوية يوقع الخلاف بين أقاربه أحياناً ممن تولوا المدينة، فيروى أن معاوية كان يُغري بين مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، فقد كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة بهدم دار مروان ، فلم يهدمها، فأعاد عليه الكتاب بهدمها، فلم يفعل فعزلهُ وولى مروان (٤) .

ولعل سياسة معاوية هذه قائمة على أساس تشنيت اللقاء بين أقاربه، وزرع الخلافات بينهم، وهذا ما صرح به سعيد بن العاص في كتابه إلى معاوية: "العجب

(١) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

(٢) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ . صالح العلي : دراسات في الإدارة ، ص ٢٨٣ .

(٣) محمد بطينة : دراسات وبحوث ، ص ١٣٤ .

(٤) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٩ . لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ .



مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا، أن يضغن بعضنا على بعض^(١). ولم يكتف معاوية بترك أمر أهل المدينة للولاة من أقاربه ، بل تابع أمورهم بنفسه متابعة حثيثة فقربهم إليه ، وعززهم واجزل لهم العطاء ، فقد كان معاوية كريماً باذلاً للمال، محباً للرياسة^(٢) فعندما قدم المدينة منصرفاً من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كسي وطيب وصالات من المال^(٣). من خلال هذا النص يتبين لنا أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان يحاول التقرب من أهل المدينة، خاصة من أبناء المهاجرين من قريش ، لأنه يعلم أن هؤلاء الفئة من سكان المدينة إذا ما عارضوه في أمرٍ ما فإن الناس يلتفون من حولهم ، ولذلك لجأ الخلفاء الأمويون طوال فترة حكمهم إلى كسب ود أهل المدينة بكل الوسائل والطرق، رغم ذلك ساءت العلاقة في بعض الفترات بين الطرفين. ونلاحظ ذلك في مسلك معاوية بن أبي سفيان الذي كان يستقبل أهل المدينة حينما يفدون إلى دمشق ، فيكرم مثناهم ويقضي حوائجهم ، ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ويجابهونه أقبح الجبه ، وهو يداعبهم تارة، ويتغافل عنهم تارة أخرى، ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنوية والصلات الجمّة^(٤) .

فقد ذكر أن الحسن بن علي وفد على معاوية فأمر له بمائة ألف^(٥) كما أن معاوية أهدى إلى عبيد الله بن عباس وهو عنده من هدايا النيروز حلاً كثيرة ومسكاً وأنية من ذهب وفضة^(٦) .

(١) لبلانري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٩ . الطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن لقططفا : الفخري ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

(٤) ابن لقططفا : الفخري ، ص ١٠٤ - ١٠٥ . علي الخربطلي : الدولة العربية ، ص ١٦٨ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٦٨ . صالح العلي : تطور الحركة الفكرية ، ص ١٤٥ .

(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .



لقد أتبع معاوية سياسة العطاء والتقرب من أهل المدينة، وكذلك كان حال ابنه يزيد بن معاوية فيذكر أن عبد الله بن جعفر وفد على يزيد بن معاوية فقال له يزيد : كم كان أمير المؤمنين يعطيك (يعني معاوية)، قال: كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم، قال يزيد قد امرنا لك بمثل ذلك وزودناك بترحمك عليه ألف ألف^(١) فقيل ليزيد: أتعطي رجلاً واحداً أربعة آلاف ألف. فقال : ويحكم ، إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين فما يده فيها إلا عارية^(٢) . يعني إنفاقها لانه جواد. وفي السنة الثانية قدم ابن جعفر فأمر له يزيد بألف ألف ، وقضى عنه ألف ، وأمر له بمائة ناقة^(٣) وفي هذا الصدد أيضاً ولما لأهل المدينة من مكانة لدى الأمويين ، فقد حرص معاوية بن أبي سفيان أن يستشير أهلها بولاية العهد. فكتب إلى مروان بن الحكم وهو والياً على المدينة "إني قد كبر سني ودق عظمي ، وخشيت الاختلاف على الأمة من بعدي ، وقد رأيت أن أتخيرهم من يقوم بعدي ، وكرهت أن أكره أمراً دون مشورة من عندك ، فأعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يريدون عليك"^(٤) وما أن أخبر مروان أهل المدينة بذلك ، وهم لا يعلمون قصد معاوية ، حتى عبروا عن رأيهم بقولهم "وفق الله أمير المؤمنين ، وسدد ليفعل" فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فجاء الجواب منه يذكر لهم فيه يزيد ، فقام مروان خطيباً بأهل المدينة ، فقال : "إن أمير المؤمنين قد اختار لكم ، واستخلف ابنه يزيد"^(٥) فقاطعه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: "كذبت والله يا مروان، وكذب معاوية ما الخيار أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل"^(٦) .

(١) التتوخي : المستجاد ، ص ٢٢٠ . ابن عبد ربة : العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦٩ .

(٢) ابن عبد ربة : العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦٩ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ .

(٥) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٥٠٦ .

(٦) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٥٠٦ .



وأنكر الحسين وابن عمر وابن الزبير ترشيح ابنه للخلافة^(١) . فأدرك مروان أنه عاجز عن إقناعهم ، فبعث إلى معاوية يخبره بذلك، فعزله وولى بدلاً منه سعيد بن العاص^(٢) .

وقد طلب إلى سعيد أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ، وأن يكتب إليه بمن امتنع عنها ، ورأى أن يأخذ الناس بالعزم والشدة ، ففعل ذلك ، غير أن أهل المدينة تتأقلوا عليه ، وخاصة بني هاشم، ولم يستجب لدعوته إلا قليل من الناس^(٣) .

لقد أدرك معاوية أن البيعة الآتية لن تتم في المدينة إلا بحضوره ، ولكن قبل حضوره استنفذ كل الأساليب ، فذكر ابن الأثير أن معاوية : "كان يعطي المقارب ويداري المبادئ، ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس " ^(٤) وقد حضر معاوية إلى المدينة وخطب في الناس، فحذر الامتناع عن البيعة ، فأقبل الناس عليه يبائعونه ، ولكن أبناء الصحابة لم يحدوا عن معارضتهم^(٥) .

وقد وقعت بعض الفئات السكانية في المدينة ضد البيعة ليزيد وعلى أسسها اشتعلت ثورة الحرة . التي أثرت في بنية المجتمع خاصة وقد استتبع ذلك إخراج كثير من الأمويين من المدينة، وقتل عدد منهم ليس بقليل.

وليس عرضنا هنا التعرض للجانب السياسي بين الجانبين ، لكننا نريد التوصل إلى طبيعة العلاقة بين السلطة وبين أهل المدينة . فمن المعروف أن وقعة الحرة وقعت أحداثها في سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م. أي بعد حوالي ثلاث سنوات من تولي يزيد إمرة المؤمنين ، وقد تعاقب على المدينة خلال هذه الفترة عدة ولاة من بني أمية، ولم يصدر عن أهل المدينة أي اعتراض، بل ظلوا ساكنين وموالين ليزيد لكنهم ما

(١) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٠٣ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١١٩ .

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ص ٢٤٤ .

(٣) لمصدر نفسه ص ٢٤٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٥٠٨ .

(٥) خليفة بن خياط : تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .



لبثوا أن تحركوا فجأة في سنة ٦٣هـ، وأعلنوا تمردهم على يزيد بن معاوية^(١).
أما سبب هذا التمرد من أهل المدينة فيعود إلى الوفد الذي أرسله والي المدينة
عثمان بن محمد إلى يزيد بدمشق ليبين للخليفة استتباب الأمن في المدينة ،
واستمرار الولاء والطاعة^(٢).

وكان الوفد الذي أرسل ليزيد يضم عدداً من زعماء المدينة، فلما وصلوا عند
يزيد، أكرمهم، وأجرى عليهم الأرزاق، والأعطيات فقد أعطى كل نفر منهم حوالي
مائة ألف درهم، ولعل يزيد أراد من ذلك التحبيب إلى الناس، وليدلل أنه يسير على
خطا والده في التعامل مع أهل المدينة^(٣) ولكن الوفد عندما عاد إلى المدينة أظهروا
شتم يزيد ، وتكروا له، وقالوا للناس "قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب
الخمير، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان ، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده
الحراب، وإننا نشهدكم إنا قد خلعناه"^(٤) وقام عبدالله بن حنظلة الغسيل وهو أحد
رجال المدينة الذين قصدوا دمشق وقابلوا الخليفة فقال: جئتم من عند رجل لو لم
أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم ، قالوا: إنه قد أكرمك وأعطاك ، قال: نعم وما قبلت
ذلك منه إلا لأتقوى به عليه ، ثم حض الناس فبايعوه^(٥).

وبعد هذا الإجراء من قبل أهل المدينة، ساءت الأمور بين الطرفين وقد عبر
عن هذا الأمر الكتاب الذي بعث به يزيد بن معاوية إليهم فقال: "إذا أراد الله ب قوم
سوءاً فلا مرد له إني والله قد لبستم فخلقتكم، ورفعت بكم فاخترتكم ثم وضعتكم على
رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي ثم على بطني . وأيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي
لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأذل عابركم، وأترككم أحاديث تتسخ بها أخباركم"^(٦)

(١) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨٢.

(٢) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٣٧.

(٣) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٣٨. لطبري : تاريخ ، ج ٥ ن ص ٤٨٠.

(٤) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨٠. ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧.

(٥) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٩٥. لذهبي : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٤٤. محمد جمال الدين : الحياة السياسية ، ص ١٠٦-١٠٧.

(٦) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٣٥. الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ، ص ١٩٧-١٩٨.



يتبين لنا من هذا الكتاب أن يزيد فشل في سياسته مع أهل المدينة ورأى أن سياسة اللين والهبات لم تعد تنفع ، ولذلك سوف يتبع سياسة جديدة مع أهل المدينة سوف تكون عبرة للناس على مر الزمان ودليل ذلك بقوله :

لعل الحلم دلّ عليّ قومي وقد يُستضعف الرجلُ الحليمُ
ومارست الرجالَ ومارسوني فمعوجٌ عليّ ومستقيمٌ^(١)

لعل أهل المدينة قد وصلوا إلى أسباب كافية جعلتهم يتخذون منها مبرر لخلع يزيد، وهذا ما بينه المسعودي: إن الناس شملهم جور يزيد وعماله، وعمهم ظلمه ، وما ظهر من فسقه : من قتل ابن بنت رسول الله وأنصاره ، وما أظهر من شرب الخمر ، وسيرة فرعون^(٢) .

نتيجة لما سبق وثب أهل المدينة على عثمان بن محمد ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن عُرف بالميل إليهم من قریش ، وكانوا زُهاء ألف فأخرجوهم ، فخرجت بنو أمية حتى نزلوا بجماعاتهم دار مروان ، فحاصروهم الناس في دار مروان، وهو معهم وأبنة عبد الملك، حصاراً ضعيفاً، وهتفوا بخلع يزيد^(٣). وما كان من بني أمية إلا أن كتبوا إلى يزيد كتاباً يخبرونه بما حصل^(٤) .

ويعطينا البلاذري صورة تبين لنا فئات السكان في المدينة لمواجهة جيش يزيد الذي أرسله إليهم بقيادة مسلم بن عقبة. فيقول أن "أهل المدينة اتخذوا خندقاً، وكان عليهم عبد الرحمن بن أزهر بن عوف الزهري وكانوا ربعاً، وكان عبدالله بن مطيع على ربع آخر مما يلي المدينة، وكان معقل بن سنان الأشجعي على ربع مثل ذلك ، وكان ابن حنظلة الغسيل على ربع آخر مما يلي الحرة، وكان ابن الغسيل وابن مطيع في الأنصار، ومعقل في المهاجرين، وكان على الموالى يزيد بن هرمز"^(٥).

(١) بن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٣٥.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٨.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ج ٥، ص ٣٨. البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ . اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٠.

(٤) ابن سعد : الطبقات، ج ٥، ص ٣٨-٣٩. البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٣٩

(٥) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٢٩.



ودخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناس للبيعة على أنهم خولٌ ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء^(١).

إن خروج البيت الأموي من المدينة على يد أهلها غير قليلاً في تركيبة السكان في المدينة، فلم يعد هناك أمويون فيها بل رحلوا إلى الشام ، وهذا الأمر على خلاف ما ذهب إليه صالح العلي بأن لم يجر تغير على سكان المدينة بين فترة صدر الإسلام والدولة الأموية . ولم تهدأ الأمور بين الطرفين بعد هذه الثورة، بل زادت الأمور تعقيداً بعد وفاة يزيد فقد انقسم بنو أمية على أنفسهم، مما دفع ابن المدينة عبدالله بن الزبير أن يدعو الناس إلى بيعته . وكان أهل المدينة يرون في مبايعة ابن الزبير خلاصاً لهم من الحكم الأموي، وتمهيداً لعودة الخلافة إلى مقرها السابق في المدينة ، لذلك سارعوا إلى بيعته وكتب ابن الزبير إلى عامله على المدينة يطلب منه أن يعمل على إخراج بني أمية منها ، فأبعدهم بعيالهم ونسائهم إلى الشام^(٢) .

لم تتغير سياسة بني أمية في التعامل مع أهل المدينة كثيراً في عهد عبد الملك. فبعد مقتل ابن الزبير خطب الملك بالمدينة فقال: " فلست بالخليفة المأفون، ألا وإن كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وإنني لا أدوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، تكلفونا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم، فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم" ^(٣) .

وقد أستحسن أهل المدينة من الخلفاء الأمويين عمر بن عبد العزيز فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك: " إن أهل المدينة قد اتخذوا عمر كهفاً، وقد تحبب إلى أهل المدينة، فما يتقدمه عندهم أحد. فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة، وولى عليها عثمان بن حيان المرّي^(٤) .

(١) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ .

(٢) اليعقوبي: تاريخ ، ج ٢، ص ٢٥٤-٢٥٥ . الطبري: تاريخ ، ج ٥، ص ٥٣١-٥٣٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥، ص ٢٣١-٢٣٢ . لسيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٣ .

(٤) لبلاذري: أنساب ، ج ٨، ص ٧٧ .



ولم يبخل كل من الوليد وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في دفع الأعطيات إلى أهل المدينة^(١). فقد قسم الوليد بالمدينة أثناء موسم الحج رقيقاً عجباً بين الناس وأنية من ذهب وفضة^(٢) كما أن سليمان قدم المدينة فأعطى بها مالا عظيماً^(٣).

لقد تبين لنا من هذا العرض أن العلاقة التي سادت بين الطرفين كانت تقوم على دافع المصلحة من قبل الخلفاء الأمويين، ولذلك لم يبخل خلفاء بني أمية على تقريب وجوه أهل المدينة في منحهم الهدايا والأعطيات . ولكن الأمر لم يستقر بينهم تماماً، فقد وصلت الحال بين الطرفين إلى درجة الحرب، خاصة في عهد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان^(٤).

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ ، ج١، ص٣٢٣. اليعقوبي : تاريخ ، ج٢، ص٢٩٨.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص٢٠٥.

(٣) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص٤٦٦. جرجي زيدان: تاريخ التمدن ، ج٧، ص٢٦٠-٢٦١.

(٤) ابن عبد البر : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١١٢.



ثانياً: الموالي: (١)

إضافة إلى الفئات السابقة التي قطنت المدينة المنورة في الفترة الأموية ، استقرت فيها أيضاً فئة من الموالي .

وقد كان للفتوحات الإسلامية، سواء في بلاد الشام وشمال إفريقيا أو في العراق وبلاد فارس ، دور في كثرة هذا الصنف من السكان، حتى لم يعد بيت من بيوت العرب يخلو من مولى أو أمة، وهؤلاء إذا ما أسعدهم الحظ أصبحوا بعد إعتاقهم موالي لأسيادهم العرب^(٢) وقد آخى الرسول بين بعض الموالي وبعض الأحرار من سادة العرب فأخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمي ، وبين مولاة زيد وعمه حمزة، وبين خارجة بن زيد وأبي بكر، وكانت هذه المؤاخاة صلة حقيقية تعدل رابطة الدم وتصل إلى حد الاشتراك في الميراث^(٣) ويقول الدكتور الدوري : إن عدد الموالي كثر وتوسع نفوذهم بالتدريج، وقد اتخذ تيارهم اتجاهات مختلفة، فبعضهم أسلم مؤمناً برسالة الإسلام وبدعوته للعدل والمساواة، وقسم آخر تستر بالإسلام، واصطبغ بصبغته لا يريد بذلك إلا منفذاً لبث دعاياته وتحقيق أغراضه^(٤)

وكان العرب في القرن الأول الهجري هم قادة الإسلام ، فمعظم الجند والقادة منهم ، وانضم الموالي شأنهم شأن العرب إلى الجيش الإسلامي ، وكان كثير من العرب والموالي يقاتلون دون عطاء^(٥). ولعل سبب ذلك أن غاية الجندي كانت الجهاد في سبيل الله ، وهو اكبر الدوافع ، وعلى الرغم من ذلك ساوى الخلفاء الراشدون في

(١) هم المسلمون من غير العرب، وكانوا في الأصل من أسرى الحرب، ثم أسلموا وأعتقوا وأصبحوا موالي، وكانوا من الأحرار ومن غير العرب أسلموا وولوا أشخاصاً إن قبائل من العرب وصاروا لكثيرة الموالي .صالح درانكة وآخرون بتاريخ صدر اسلام، ٣٧٤. أنظر جميل المصري: الموالي، ص ٢٣، ومحمود المقداد: للموالي ، ص ١٣٥. وعمر فروخ: لعرب، ص ١٧٣.

(٢) Nicholson :-A Literary History of The Arab. Pag .21.

(٣) ابن هشلم: السيرة، ج ٢، ص ١٣٠-١٣٢. البخاري: صحيح، ج ٥، ص ١٠١. محمد قطب : شبهات ، ص ٤٩.

(٤) عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ص ٦٨.

(٥) لطبري تاريخ، ج ٣، ص ٦١٤. جميل المصري : للموالي ، ص ٨٤.



العطاء بين العرب والموالي^(١) واقتدى عمر بن عبد العزيز بالخلفاء الراشدين في معاملة الموالي^(٢).

وكان أكثر أهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبدالله بن عمر، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً، فرغب الناس في السراري^(٣) ولكن كيف حصل ذلك؟ فالصحابه رضي الله عنهم لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب كان منهم ثلاث بنات ليزدجر، اشتراهن علي بن أبي طالب، ودفع واحدة لعبدالله بن عمر، فولدت له سالماً، وأخرى لولده الحسين فولدت له زين العابدين، وثالثة لمحمد بن أبي فولدت له القاسم^(٤) وقد اشتهر هؤلاء، وفاقوا نظائرهم من أبناء الحرائر العربيات.

وكان لمعاوية موقف من زواج أبناء الصحابة في المدينة من الجواري، فقد ذكر أن معاوية عاب على الحسين بن علي الزواج من جاريته بعد أن أعتقها وكتب إليه: "بلغني أنك تزوجت جاريته، وتركت أكفأك من قریش، ممن تستنجه للولد، وتمجد به في الصهر، فلا نفسك نظرت، ولا لولدك إنتقيت"^(٥).

وقد حصل حوار بين هشام بن عبدالملك وزيد بن علي فقال هشام له: "بلغني أنك تريد الخلافة، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة فقال: قد كان أسماعيل ابن أمة، وأسحاق بن حرة، فأخرج الله من صلبه خير ولد آدم"^(٦).

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٣٦، ص ١٧٣، ص ١٨٣. الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٢٧٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٨٣.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٤، ص ٢٩٩-٣٠٠. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ١٢١.

(٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٥٩.

(٥) لخصري: زهر الادب، ج ١، ص ١٠١.

(٦) التتويحي: المستجاد، ص ٢٥١.



ولما تزوج علي بن الحسين أم ولد لبعض الأنصار لأمه عبد الملك في ذلك، فكتب إليه : إن الله قد رفع بالاسلام الخسيس، وأتم النقيصة ، واکرم به من اللؤم فلا عار على مسلم ، هذا رسول الله قد تزوج أمته وأمره عبده . فقال عبد الملك " أن علي بن الحسين يتشرف من حيث يتضع الناس" (١) . وهذا إبراهيم بن النعمان بن بشير يزوج ابنته مولى عثمان بن عفان على عشرين ألف درهم فعير (٢) .

لقد شارك الموالي في الحياة السياسية في المدينة، ففي سنة ٦٣ هـ ، اشترك الموالي مع أهل المدينة ضد الأمويين في وقعة الحرة بقيادة يزيد بن هرمز (٣) ويذكر أن يزيد بن هرمز كان معه الدهم من الموالي ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كراديس بعضها خلف بعض (٤) وقد قتل عدد كبير منهم فيذكر : أن عدد القتلى من أخلاط الناس نحو من ستة آلاف وخمسمائة (٥) وقد بلغ غلمان وموالي عمرو بن سعيد في المدينة ثلاثمائة رجل، فعندما عزل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد عن المدينة، وأبدله بالوليد بن عتبة، أخذ الوليد موالي سعيد وغلمانه، ووضعهم في السجن ، فما كان من عمرو إلا أن أرسل إلى غلمانه يأمرهم بكسر باب السجن واللاحق به ففعلوا ذلك (٦) . وكان المسور قد أعان ابن الزبير بمواليه وسلاح كثير، (٧) وقد تمتع الموالي بحسن الرأي في مجال السياسة فلما دعا ابن الزبير الناس إلى بيعته بعد موت يزيد بن معاوية قال ابو حرة مولى خزاعة لما دعى لنفسه : ألهذا نصرناك ، أما كنت تدعو إلى الرضى

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣٩٩ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ، ص ١٢١ .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ . البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ .

(٥) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٥١ . لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٦) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٠٠ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٦ .

(٧) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٥ .



والشورى ، أفلا صيرت وشاورت فنختارك ونبايعك^(١). وقد قدم طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان بأمر من عبدالملك بن مروان إلى المدينة المنورة سنة ٧٣ هـ واخرج منها عامل ابن الزبير ثم سار في خمسة آلاف من أصحابه إلى مكة حيث ألتقى بالحجاج^(٢) .

كما شارك الموالي في الحياة الاقتصادية، فقد كان المسؤول عن مزارع معاوية بن أبي سفيان في المدينة من الموالي ابن مينا،^(٣) كما زاول الموالي الصناعة، كصناعة المنسوجات والنجارة والخياطة. فهذا اسماعيل بن يسار مولى بني تيم، يبيع النجد والفرش التي تتخذ للفرش في المدينة^(٤) كما عمل بعض الموالي بالتجارة. فذكر أن احد موالي بني امية كان يبيع الحديد في المدينة عند خاتمة البلاط^(٥). وكان سائب خاثر مولى بني ليث، تاجراً يبيع الطعام في سوق المدينة^(٦) .

ويذكر أن ابا ايوب الأنصاري وفد على معاوية، ففضى حوائجه، ثم قال له ابو ايوب: يا أمير المؤمنين لي مال ولا غلمان فيه يقومون به ، فاعطني مالاً أشتري به غلمان ، وعندما رفض معاوية أن يعطيه أعطاه عبدالله بن عباس قيمة مائة مملوك وأعطاه جميع ما كان في داره^(٧) .

يتبين من هذا النص أهمية الموالي لدى أهل المدينة لما يوكل لهم من أعمال مختلفة ، قد يصعب على أهلها القيام بها .

(١) لبلاذري : أنساب ، ج ٦ ، ص ٣٤١.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٢٨. الطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ١٧٥

(٣) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٠.

(٤) الاصفهاني : الأغاني ، ج ٤ ، ص ٥٣٦

(٥) الأزدي : تاريخ لموصل ، ص ٤٩. عبدالله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٤٦.

(٦) الاصفهاني : الأغاني ، ج ٨ ، ص ٤٤٥.

(٧) لبلاذري : أنساب ، ج ٤ ، ص ٧٠ .



وقد تولى الموالي بعض المناصب الإدارية في المدينة زمن الأمويين ،منها وظيفة العامل على السوق ، فيذكر ابن سعد : "أن سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية كان عاملاً على سوق المدينة لعمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ والي المدينة للوليد بن عبد الملك" ^(١) كما كان عبد الرحمن بن هرمز "على ديوان المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك" ^(٢) وأسند هشام بن عبد الملك كتابة ديوان المدينة إلى ابن عطاء ^(٣) ومن الذين تولوا هذه المهمة من الموالي أيضاً يونس الكاتب مولى عمر بن الزبير ^(٤) كما استفادت الدولة من جهود الموالي ،فكانت تسند إليهم بعض الأعمال كما حدث في المدينة سنة ٨٨هـ عندما كلف عمر بن عبد العزيز صالح بن كيسان مولى معيقيب للإشراف على هدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) .

وانفتحت أبواب العلم أمام الموالي في المدينة . فتتلمذ منهم الكثير على العلماء العرب والمسلمين ، وبدون حواجز ، وتفوق كثير من الموالي ^(٦) فقد كان نافع بن عبد الله القرشي، وهو فارسي، مولى ابن عمر وراويته عالم المدينة وفقهها ،وهو من النقات ، ومن كبار الصالحين التابعين ^(٧) وقد أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر يعلم أهلها السنن،كما ولاه صدقات اليمن وتوفي عام ١١٧هـ ^(٨) .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج٥، ص١٧٥ .

(٢) البلاذري : نسل الأشراف ، ج٨ ، ص٢٤٣ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٧ ، ص١٢١ . الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٧ ، ص١٠٣ .

(٤) ابن خرداذبة : اللهو ولماهي ، ص٤١ .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص١٣ . ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ج١ ، ص٣١٦ .

(٦) جميل المصري : الموالي ، ص٦٠ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص١٨٣ . الذهبي : أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٥٦٣-٥٦٧ .

(٨) الذهبي : أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٥٦٦ .



ومن قراء المدينة السبعة نافع المقرئ ، مولى جعونة بن شعوب الشجعي " فقد كان إمام أهل المدينة، والذين صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى اختياره^(١) كما كان أشعب بن جبير من القراء للقرآن^(٢) وكان ذكوان مولى عائشة، قارئاً للقرآن^(٣) كما هو حال عطرده مولى الأنصار فقيهاً قارئاً للقرآن^(٤) وكان شيبه بن نصاح مولى أم سلمة إمام أهل المدينة في القراءة، كما هو حال مولاها أبو ميمونة قاري أهل المدينة في زمانه^(٥).

وممن أشتهر بالتفسير من الموالي عكرمة، مولى ابن عباس، وهو بربري الأصل، اسود اللون ، من سكان المدينة ، وكان كثير الأسفار ، لم يدع موضعاً إلا خرج إليه من أمصار الإسلام ، وكان يرى رأي الخوارج^(٦) وقد وصف بأنه أعلم الناس بالتفسير^(٧) وكان يقول: إن ابن عباس كان يجعل في رجلي الكبل يعلمني القرآن ويعلمني السنة. كما أشتهر من تلاميذه في التفسير أيضاً مجاهد بن جبر^(٨) . وكان سليمان بن يسار عالم المدينة وفقيهاً، وابوه فارسي ، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية ، وهو أخو عطاء بن يسار، وكان سليمان من أوعية العلم ، فقد فضله بعضهم على سعيد بن المسيب. وكان سعيد نفسه يجله وهو يجلس سعيداً ، فإذا جاء ذكر سعيد، قال عنه : "هذا بقية الناس" وإذا أتى السائل سعيداً قال : " اذهب إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلم من بقي اليوم ، وتوفي عام ١٠٧ هـ "^(٩).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٨٣

(٢) الاصفهاني: الأغاني، ج١٩، ص٩٥.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ج٥، ص٢٩٥.

(٤) الاصفهاني: الأغاني، ج١٩، ص٩٥.

(٥) ابن سعد : الطبقات، ج٥، ص٢٩٧.

(٦) ابن سعد : الطبقات، ج٥، ص٢٨٧-٢٩٢. الذهبي : أعلام النبلاء، ج٥، ص٥٠٤-٥١٢.

(٧) ابن الجوزي : صفة الصفوة، م١، ج٢، ص٧٣. الذهبي : أعلام النبلاء، ج٥، ص٥٠٧.

(٨) ابن سعد : الطبقات، ج٥، ص٢٨٧. ابن حبان : مشاهير، ص٨١. ابن الجوزي : صفة الصفوة، م١، ج٢، ص٧٣.

(٩) ابن سعد : الطبقات، ج٥، ص١٧٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٣٢٩.



وكان أخوه عطاء بن يسار إماماً فقيهاً ، واعظاً ، لزم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل عام (١٠٠هـ) بقليل^(١) أما سعيد بن سيار فقد كان ثقة كثير الحديث^(٢).

ومن علماء المدينة أيضاً الإمام الفقيه أبو الزناد - عبد الله بن ذكوان - وهو مولى . وكان فقيه المدينة ، وصاحب كتاب وحساب ، ولي أعمالاً كثيرة لبني أمية ، وولاتها ، فقد كان كاتباً لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بالمدينة ، وكان كاتباً لعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وفد على هشام بن عبد الملك بحساب ديوان المدينة . توفي عام ١٣٠هـ^(٣) أما ربيعه بن أبي عبد الرحمن الذي يقال له ربيعة الرأي فقد كان من فقهاء المدينة وحفاظهم ، وصاحب الفتوى بالمدينة^(٤) أما صالح بن كيسان ، فقد كان مولى ، ضمّه عمر بن عبد العزيز إلى نفسه ، وهو أمير بالمدينة ، فكان يأخذ عنه ، ثم بعث إليه الوليد بن عبد الملك فضمه إلى ابنه عبد العزيز بن الوليد ، وقام بتأديب أولاد عمر بن عبد العزيز ، وكان صالح حافظاً للحديث والفقه^(٥). ويعد عبد الله بن يزيد بن هرمز من فقهاء أهل المدينة المعدودين^(٦).

ولم تقتصر أعمال الموالى على ذلك فقد كان لهم مساهمة في مجال الطب فهذا بديح مولى عبدالله بن جعفر يحضر ليعالج عبدالملك بن مروان من عرق النساء^(٧).

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج٥ ، ص١٧٣-١٧٤ . الذهبي : أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٣٧٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج٥ ، ص٢٨٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٥ ، ص٤١٥-٤١٦ . الذهبي : أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٢٩ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ، ص٤٦٠ . ابن خلكان : وفيات ، ج١ ، ص٣٢٩ . الذهبي : أعلام ، ج٦ ، ص٣٢١ .

(٥) الذهبي : أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٢٣٤ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج٥ ، ص٢٨٤ .

(٧) الأصفهاني : الأغاني ، ج١٥ ، ص١١٩ .



وقد برز الموالي أيضاً في مجال الغناء والموسيقى في العصر الأموي دون جدال، وكان حظ المدينة وافرأ في هذا المجال . فقد أخذ الغناء بالانتعاش في عهد معاوية ، فقد كان معبد مولى معاوية بن أبي سفيان من أحسن الناس غناءً واجودهم صنعه وهو إمام أهل المدينة في الغناء^(١) وقد أجاد الدلال مولى بني فهر النقر بالدف في المدينة^(٢) كما أبدع يونس الكاتب في تعليم الجواري فن الغناء. ويذكر ابن خرداذبة أن يونس هو الذي دون الغناء وقد جمع ديوانه ثمانية وثلاثين مغني ومغنية^(٣)

وقد كان عهد يزيد بن معاوية بدايةً لتفتح هذا الفن وازدهاره . فيزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنين،^(٤) وقد صار الغناء شاغل الناس وألهيتهم الأولى تقريباً في المدينة مما جعل هذا الفن يتطور تطوراً سريعاً ، فقد باع رجل من الموالي بالمدينة جارية له للخليفة يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار^(٥) وهذه الجارية مشهورة بالغناء . وقد ساعد على هذا التطور تدفق الثروات على أهل المدينة من أولاد المهاجرين والأنصار والقبائل ، وأسرف الناس في إمتلاك الجواري والرقيق ، وبناء الدور والمساكن، والتمتع بخيرات الدنيا. وكانت لحركة الغناء والموسيقى هذه آثار عميقة في حياة الناس الاجتماعية في المدينة بفضل هؤلاء الموالي الذين اشتغلوا في هذه الصناعة ، حتى أصبح يطلق عليها مدرسة العرب في الموسيقى والغناء^(٦).

ويعلل أحمد أمين هذه الظاهرة بقوله: " أن الحجاز أرسقراطية العرب ، وهم العنصر الفاتح ، وقد نال هؤلاء الأرسقراطيون خير الجواري ، وأرفعهنّ نسباً^(٧)

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٢) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٣١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٤٢ .

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٩٢ .

(٥) لبلاذري : أنساب ، ج ٨ ، ص ٢٥٧ . الطبري : تاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٣ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ . جوزيف هل : الحضارة ، ص ٦٠ .

(٧) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٧٩ .



ومما يؤكد على كثرة الفئة هذه في المدينة حديث ابن الجوزي الذي يقول أن الخليفة سليمان بن عبد الملك سأل عن أهل الغناء ، وأكثر ما يكون ، قالوا : بالمدينة، فكتب إلى عامله على المدينة أبو بكر بن محمد " أن أحصي من قبلك من المخنثين والمغنين " (١) .

وأخيراً ما سبب نقمة هؤلاء الفئة من سكان المدينة على الدولة الأموية ومشاركتهم أهل المدينة في ثورتهم عام ٦٣هـ ؟ . لقد لعبت حياة الموالي الاجتماعية دوراً كبيراً في ثورتهم السياسية ، وقد خابت آمالهم بعد اعتناقهم الإسلام، فلم يصبح لهم من الحقوق ما للعرب ، كما ترفع العرب عليهم واعتبروا أنفسهم فوقهم (٢) ، إضافة إلى تعاطف الموالي مع أهل المدينة نتيجة الظلم الذي لحق بهم .

فهذا مولى عمر بن عكرمة من أهل المدينة يعبر عن نقمة الموالي لمقتل الحسين بن علي بقوله :

أيها القاتلون جهلاً حسينا ابشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي وملاك وقبيل (٣) .
وهناك فئة أخرى وجدت في المدينة لها مجال عمل وأصبحت من
ضروريات حياتهم وهي فئة الرقيق.

(١) ابن الجوزي : تلبيس أبلّيس ، ص ٢٦٩ .

(٢) صالح نرانكة وآخرون ، تاريخ صدر الإسلام ، ص ٣٧٤ .

(٣) الطبري: تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٦٧ . محمود المقداد : الموالي ، ص ٢٢٧ .



ثالثاً: الرقيق:

كان الرقيق جزءاً من عناصر السكان بالمدينة في صدر الإسلام ، ولم يأت الإسلام بالرق بل جاء الإسلام والرق موجود ، فبدأ بالقضاء عليه تدريجياً، بأن جعل لمن يعتق رقبة لوجه الله تعالى أجراً عظيماً . فقد جاء في الحديث الشريف "أيما أمرئ مسلم أعتق امرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار" (١) ولذلك تسابق المسلمون لتحرير أكبر عدد من الأرقاء . كل حسب قدرته المالية، فقد أعتق عبد الرحمن بن عوف ثلاثة آلاف نسمة، وأعتقت عائشة سبعاً وستين فرداً (٢). وعلى كل حال، فالرقيق في الإسلام سواء أولد في منزل صاحبه أو أشتري من سوق النخاسة أو أسر في إحدى الحروب ، يعتبر من الناحية الشرعية متاعاً يمكن أن يورث أو يعتق . ويكون ولاء الرقيق بعد إعتاقه لصاحبه ، فقد روي أن عائشة أرادت أن تشتري بربرة للعتق فاشتروطا ولاءها ، فذكرت ذلك للرسول فقال: اشتريها وأعتقها ، فان الولاء لمن أعتق (٣) والحق أن لمالك الرقيق حرية التصرف بشخص رقيقه وعمله ، فقد اشترط عمر بن الخطاب بعد أن أعتق رقيق الإمارة عليهم أن يخدموا الخليفة ثلاث سنين. ولكن يتعين عليه أن يحسن معاملته (٤) فقد عرف عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، انه كان رؤوفاً بعبيده، إذا وجد عند أحدهم إحساناً يعتقه ويجهزه بالمال ، فقد روي أنه أعتق ألف من عبده (٥). ومن طرائف التعامل مع الرقيق من قبل عبد الله بن عمر ، أن كانت له جارية فلما اشتد بحبه بها أعتقها وزوجها مولى له ، فولدت غلاماً فكان عبد الله يأخذ الغلام فيقبله ثم يقول : واه لريح فلانة يعني الجارية التي أعتق (٦)

(١) مسلم : صحيح ، ص ٥٨٣. لترمذي : سنن، ج ٢، ٤٧٧. الصنعاني : سبل السلام ، ج ٤، ص ١٣٨.

(٢) الصنعاني : سبل السلام ، ج ٤، ص ١٣٩. نورة آل الشيخ : الحياة الاجتماعية ، ٦٢.

(٣) مسلم : صحيح ، كتاب العتق ، ص ٥٨١. بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٨١.

(٤) الصنعاني : سبل السلام ، ج ٤، ص ١٤٣.

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤، ص ١٦٧. الصنعاني : سبل السلام ، ج ٤، ص ١٣٩.

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤، ص ١٦٧.



ونتيجة الفتوحات الإسلامية، فقد كثر مصادر الرقيق التي تم إرسالها إلى المدينة المنورة^(١) فقد ذكر البلاذري : " أن سبي قيسارية بلغ أربعة آلاف شخص ، بعث بهم معاوية بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب في المدينة، فاستخدم بعضهم في الأعمال التي تحتاجها الدولة ، وقسم الباقي على يتامى الأنصار "^(٢) لقد لعبت عوامل اقتصادية واجتماعية لدى سكان المدينة في العصر الأموي في كثرة امتلاك الرقيق، منها ارتفاع مستوى المعيشة ، ووفرة الأموال التي كانت تتدفق على المدينة، وحاجتهم إلى الرقيق للخدمة في البيوت، أو في النواحي الاقتصادية المختلفة كالزراعة والصناعة^(٣).

ووجد في المدينة سوق مشهورة لببيع الرقيق. فقد روي أن عبيد بن عبد الرحمن كان يبيع الرقيق في المدينة^(٤) وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يهادي بالجواري الحسان ، كما فعل الأمر نفسه عبد الله بن جعفر ففي رواية أن عبد الله قدم من المدينة بهدايا إلى عبد الملك بن مروان بقيمة ألف دينار من وصفاء ووصائف وكسوة وحرير ولطف من لطف الحجاز ، فعندما دخل يحيى بن الحكم على عبد الملك قال له: ماذا أهدى إليك ابن جعفر ؟ جمع لك وخش رقيق الحجاز وأبقاهم وحبس عنك فلانة . قال : ويلك وما فلانة هذه ؟ قال : مالم يسمع والله أحد بمثلها قط جمالاً وكمالاً وخلقاً وأدباً^(٥) وهذا الوليد بن عبد الملك أثناء موسم الحج ، يقسم " بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس وأنية من ذهب وفضة وأموالاً "^(٥) ويعلل ابن خلدون كثرة الرقيق بالمدينة بقوله: فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفة بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية^(٦).

(١) لبلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩٣.

(٢) لبلاذري : أنساب ، ج ٥، ص ٦٠. نجلة باشا : التجارة في المغرب ، ص ١٦٧.

(٣) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٢، ص ٢٠١. الكتاني : الترتيب الإدارية ، ج ٣ ، ص ٥٢.

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٥) الطبري : تاريخ ، ج ٦، ص ٤٦٦. جرجي زيدان : تاريخ لتمدن : ج ١٣، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٦) ابن خلدون : المقدمة : ص ٤٢٧.



وقد ارتفعت أسعار الرقيق في العصر الأموي نتيجة الطلب المتزايد عليه ، فقد اشترى يزيد بن عبد الملك جارية من المدينة بأربعة آلاف دينار تسمى الغالية، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ^(١) ويذكر النويري " أن يزيد بن عبد الملك اشترى الجارية سلامة ، وكانت لمصعب بن سهيل الزهري ، وكانت حباة متقدمة على سلامة ، ولما مات يزيد ، أحضرها أبنة الوليد وأمرها بالغناء ، فتنغصت من ذلك وبكت ، ثم غنته فقال: رحم الله أبي وأطال عمري ، وأمتعينا بحسن غنائك يا سلامة" ^(٢)

ولقد قام الرقيق بأعمال مختلفة في قصور الخلفاء ودور العامة . فقد كان لوجود الخدم في المنازل حاجة ملحة لا يمكن الاستغناء عنها . وكان رأي عمر بن عبد العزيز أن يكون لكل مسلم خادم يخدمه ويقوم بعمله ^(٣) كما أصبح لكل سيدة جارية تقوم على خدمتها. ^(٤)

وقد عمل الرقيق في التجارة في المدينة ، فقد كان لكثير عزة غلام يتاجر بالثياب ، وكان له حانوت بالمدينة يبيع فيه الخيط والعطور والثياب ، وكان يتولى البيع فيه غلام له ^(٥).

ونتيجة اهتمام أهل المدينة بالأرض واستغلالها وإقامة السدود فقد استخدم الرقيق في هذه الأراضي ، فقد استخدم سعيد بن عثمان رقيقاً في أراضي التي في المدينة، وكانت لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرض معاوية بن أبي سفيان، قد جعل فيها عبداً له من الزنوج يعمرونها فدخلوا على أرض عبدالله فكتب إلى معاوية: "أما بعد يا معاوية فأمنع عبدانك من الدخول في أرضي وإلا كان لي ولك شأن" ^(٦).

(١) لبلاذري: أنساب الأشراف، ج ٨، ص ٢٥٧. الطبري: تاريخ، ج ٧، ص ٢٣.

(٢) النويري: نهية الأرب، ج ٥، ص ٥٦-٥٧.

(٣) قدامة بن جعفر: الخراج، ص ٢٥٣. حسين محافظة: لرقيق، ص ١٣٩.

(٤) المعافري: الحقائق الغناء، ص ١٤٥. حسين محافظة: الرقيق، ص ١٤٤.

(٥). التتوخي: - المستجاد، ص ١٢٤.

(٦) البلاذري: أنساب، ج ٥، ص ٦٠-٦١. التتوخي: المستجاد، ص ٣٥.



وصار سعيد بن عثمان للمدينة ، ومعه أسرى من أولاد ملوك السغد فوثبوا عليه وقتلوه ، وقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم أحد^(١) .

كما عمل الرقيق في رعي الإبل ، فكان لعبد الله بن جعفر عبيد يرعون إبله ، قال معبد : " كنت غلاما مملوكا لآل قطن مولى مخزوم ، وكنت ألتقى الغنم بظهر الحرة ، وكانوا تجارا أعالج لهم التجارة في ذلك "^(٢) وقد أخذ عن معبد هذا الغناء في المدينة^(٣) لأنه كان من أشهر مغني المدينة.

وعلى ما يبدو إن أغلبية صناعات المنسوجات في المدينة ، في هذه الفترة كانوا من الرقيق والموالي ، فقد روي أن معن بن عيسى مولى الأشجع كان يعمل في صناعة المنسوجات في المدينة ، وكان له رقيق لهم خبرة في هذه الصناعة . فكان يشتري القز ويعطيهم إياه لنسجه^(٤).

وقد عمل الرقيق في جميع المهن ، فقد كان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيد من الحبشة يتصرفون في جميع المهن ، وكان عددهم كثيرا^(٥) .

كما نجد من الأرقاء من نبغ في مختلف العلوم ، فأصبحوا رواة ، ومحدثين وكتاب وشعراء في المدينة في العهد الأموي . فقد كان إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير ، وهو من رقيق عبد الله بن الزبير ، قارئ أهل المدينة^(٦) .

(١) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ . لطبري تاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٠٧ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٣٢٤ . عبد الله السيف ، الحياة الاقتصادية ص ٦٢ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٦) البغدادي تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٢٧ - ٤٣١ .



ومن الجوّاري راويّات للحديث، منهم عبادة المدنيّة، وكانت جارية سوداء ، من رقيق المدينة وكانت تروي عن مالك بن أنس حتّى قال بعض الحفاظ أنّها تروي عشرة آلاف حديث^(١).

وفي مجال السياسة شارك الرقيق أسيادهم من أهل المدينة حرب الأمويين، فعندما خرج الحسين بن عليّ على يزيد ورفض مبايعته، اشترك معه من الرقيق في قتال الجيش الأموي، وفي موقعة الحرة سنة ٦٣هـ اشترك الرقيق بجانب أسيادهم من أهل المدينة ضد جيش مسلم بن عقبة ، ولاقى بعضهم حتفه^(٢).

لقد ترك هؤلاء الرقيق في حياة أهل المدينة أثراً ليس إلى إنكاره من سبيل، سواء في الحياة الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، ورغم عناية الإسلام وحرصه على تحسين أحوال الرقيق إلا إنّهم كانوا في مكانة اجتماعيّة سيئة، وكانت الإماماء والعبيد يطبع على أعناقهم. هذا بجانب أنّهم كانوا يعملون في الأعمال التي أنف العرب في العمل فيها ، وكان هؤلاء يشعرون بسوء حالتهم الاجتماعيّة^(٣).

هذه هي الفئات التي سكنت المدينة في فترة الحكم الأموي، وقد لاحظنا أنّ كلّ فئة من هذه الفئات قد شكّل إرثاً حضارياً واجتماعياً وسياسياً بقيت آثاره .

(١) المعري :نفع لطيب ، ج ٤ ،ص ١٣٦ .

(٢) لبلاذري : أنساب ، ج ٥، ص ٣٤٢. عبد الله سيف : الحياة الاقتصاديّة ،ص ٢٥٥.

(٣) عطية أبو سرحان : لحجاز ، ص ٣٧٩.



المرأة في مجتمع المدينة :

اختلف حال المرأة في الجاهلية عن حالها في الإسلام بسبب تغيير الأحوال وتبدل الظروف . وقد كن في الإسلام يصحبن الرجال إلى القتال لإثارة همهم عند اشتداد المعارك، ولمداواة الجرحى وحمل الماء للعطشى من المقاتلين^(١) فهذه الربيع بنت معوذ تقول "كنا نغزو مع رسول الله، نسقي القوم، ونخدمهم ، ونردّ القتلى والجرحى إلى المدينة"^(٢) كما اشتركت أم عمارة في القتال فقد روي عن رسول الله أنه قال: ما ألفت يوم أحداً يميناً وشمالاً إلا وأراها تقاتل دوني^(٣) وكان لأم سليم بنت ملحان وأم حرام بنت ملحان وأم عطية الأنصارية مواقف مشابه لذلك^(٤) ومن نساء المدينة من برع في جمع القرآن. كأم ورقة بنت الحارث^(٥).

وقد شاركت المرأة في بعض شئون الإدارة في المدينة فقد عينت سمراء بنت نهيك الأسدية على سوق المدينة ، وكانت تمر بالأسواق ، وتأمّر بالمعروف ، وتنتهي عن المنكر ، وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها^(٦) كما أوكل هذه المهمة أيضاً إلى الشفاء بنت عبد الله العدوية^(٧)

وقد ورد في تراجم النساء ، لابن عساكر أن أبا ذر الغفاري كان يغلظ لمعاوية بن أبي سفيان، فلم يجد معاوية في البداية إلا الاستجداد ببعض الصحابة لإقناعه بالكف عن ذلك ، واستوى في استشارته الرجال والنساء ، فقد أرسل معاوية إلى عبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء، وعمر بن العاص، وإلى أم حرام فأجلسهم ، وقال : كلموه. وقد احتج أبو ذر على تدخل أم حرام وقال لها : وأما أنت

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٤١٢-٤١٣. مسلم : كُتُبُ الجهاد ، ص٧٢٥.

(٢) البخاري صحيح: ج٤، ص٤٣٧. ابن الجوزي :صفة الصفوة، م١، ج٢، ص٥٠. فيصل مبارك: بهستان الأخبار، ج٢، ص٤٤٢.

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفوة، م١، ج٢، ص٤٥.

(٤) لمصر نفسه، م١، ج٢، ص٤٦-٥٠.

(٥) السيوطي : الإتيان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٤٣.

(٦) ابن عبد البر : الاستيعاب، ج٤، ١٨٦٣. محمد خريسات: المرأة والمشاركة السياسية ، ص٣٧، ص٥٠.

(٧) ابن عبد البر : الاستيعاب، ج٤، ص١٨٦٩.



يا أم حرام فإنما أنت امرأة وعقلك عقل امرأة ، ورأيك رأي امرأة فما أنت وهذا^(١) لا ريب أن فيما أوردته دليلاً على ما أصبح للمرأة في المدينة من حضور في الجانب الإداري، في عصر صدر الإسلام، والعصر الأموي. وربما كان للمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحزبية دورها في مشاركة المرأة في الأحداث التي مرت فيها تلك الفترة^(٢). وقد برز عدد من نساء المدينة في المجالات السابقة، وكان لهن حضور حيث أصبح نوات شهرة في هذه المجالات .

فقد تجمعت المعارضة السياسية ضد علي بن أبي طالب بزعامه عائشة، وأدت إلى مواجهة عسكرية في معركة الجمل سنة ٣٦ هـ^(٣) وهذه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب تقول لمعاوية عند بيعته " لقد أخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام "^(٤) وعلى الرغم من شدة حديثها في وجه معاوية، وقسوة كلامها، أجابها إلى طلبها عندما سألته قائلة: تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار، قال: ما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟ قالت : اشتري بها عيناً خرخارة ، في أرض خوار ، تكون لولدي الحارث بن عبدالمطلب ، قال: نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزوج بها فتیان عبدالمطلب من أكفائهم ، قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت: استعين بها على عسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ، قال نعم الموضع وضعتها ، هي لك نعم وكرامة^(٥) .

واعتقد هنا أن السبب الذي دفع أروى بنت الحارث إلى طلب المساعدة من معاوية عائداً إلى أمرين ندرة الأمطار في هذه السنين، وحجب المساعدة عن أهل المدينة. نظراً لموقفهم من البيت الأموي ، خاصة بعد تولي معاوية الحكم.

(١) ابن عساکر : تاریخ دمشق ، تراجم النساء ، ص ٢١٨. محمد خريسات ، المرأة والمشاركة السياسية ، ص ٣٨.

(٢) محمد خريسات : المرأة والمشاركة السياسية ، ص ٤٤.

(٣) لطبري : تاریخ ، ج ٤ ، ص ٥٠٦-٥٠٧ . إبراهيم حركات : السياسة والمجتمع ، ص ٢٧٩.

(٤) ابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٨٢ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٣٠٣.

(٥) ابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٨٥.



وقد دخلت أم سنان بن خيثمة وهي من شيعة علي بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان لتشكو مروان بن الحكم والي المدينة بسبب سجن حفيدها، فعجب معاوية بفصاحتها وأمر لها براحلة وخمسة آلاف دينار^(١).

وروي أن بكارة الهلالية استأذنت على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها، وهو يومئذ بالمدينة، فدخلت عليه وكانت امرأة قد أسنت، فسلمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام، وقال: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير، قال: غيرك الدهر، قالت: كذلك هو، قال عمرو بن العاص: هي والله القائلة بأمر المؤمنين:

يا زيد دونك فاستد من دارنا سيفاً حساماً في التراب دفينا.

فقال مروان بن الحكم: وهي القائلة يا أمير المؤمنين.

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيد.

وقال سعيد بن العاص: وهي القائلة يا أمير المؤمنين.

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا^(٢).

وهذا يدل على أن المرأة كان لها موقف سياسي، إزاء الأحداث التي تحدث في المجتمع وقد تعبر عنه إما بالشعر المنظوم أو القول المنثور.

وقد أبدعت نساء المدينة في الشعر والأدب كما في السياسة، فمنهن السيدة عائشة أم المؤمنين، فقد جمعت الفقه ورواية الحديث والأدب والفصاحة والبيان، مما جعل أهل العلم يقدمونها على سواها من النساء والرجال على السواء، فقد شهد بفصاحتها كبار الصحابة والتابعين. وفي هذا الصدد يقول معاوية: والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة^(٣).

ويذكر ابن سعد عن محمد بن عمر قوله "مارأيت أحداً اعلم بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه، ولا اعلم بآية فيما نزلت

(١) ابن طيفور: بلاغات النساء، ص ١٣٩-١٤١. ابن عبد ربه: العقد، ج ١، ص ٢٩٦. المعفري: الحقائق الغناء، ص ٨١-٨٢.

(٢) ابن طيفور: بلاغات النساء، ص ٩٣. ابن عبد ربه: العقد، ج ١، ص ٢٩٣. المعفري: الحقائق الغناء، ص ٧٥.

(٣) ابن طيفور: بلاغات النساء، ص ١١، ص ٣٩.



ولأقربيه من عائشة^(١) وقد أخذت عنها الحديث عمرة بنت عبد الرحمن التي وصفها عمر بن عبد العزيز قائلاً: "ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة منها"^(٢).

إضافة إلى علمها كانت عائشة كريمة زاهدة في الدنيا، أنفقت كل أموالها ، فقد روي أن ابن الزبير بعث إليها بمال في غاراتين (كيس كبير) ثمانين ومئة ألف ، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس حتى فرغ^(٣) .

وممن أبدعن في هذا المجال من نساء المدينة عمرة بنت عبد الرحمن بن زرارة الأنصارية ، فقد كانت فقيهة ، عالمة ، حجة كثيرة العلم ، وهي تربية عائشة وتلميذتها . وقد وصفها القاسم بن محمد بأنها وعاء العلم ، بل البحر الذي لا ينزف ، كما كان هذا حال أم كلثوم بنت أبي بكر ، فقد روت عن أختها عائشة ، وهي ثقة^(٤) .

أما زينب بنت أبي سلمة المخزومية فكانت من أفقه نساء زمانها ، وكانت إذا ذكرت امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب،^(٥) وهي راوية فقد روت عن أمها أم سلمة وعائشة وأم حبيبة ، من أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، ومحمد بن عطاء وعراك بن مالك وغيرهم^(٦) .

أما عائشة بنت طلحة فقد اشتهرت بمعرفتها في الأدب وأيام العرب والنجوم ، ووفدت مرة على هشام بن عبد الملك ، فقال لها : "ما أوفدك؟ قالت : " حبست السماء مطرها ومنع السلطان الحق" ، قال : فأنا أصل رحمك ، وأعرف حقك . ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال : إن عائشة عندي فاسهروا عندي الليلة فحضروا ، فما تذكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه ، وما

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ . عطية أبو سرحان : الحجاز ، ص ٣٧٨ .

(٣) التتوخي : المستجد ، ص ١٣ . ابن الجوزي : م ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٤) ابن حزم : أصحاب الفتا ، ص ١٤١ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ١٢ ، ص ٤٥ .

(٦) ابن حجر : الإصابة ، ج ١٤ ، ص ٣١٥ .



طلع نجم ولا غار إلا أسمته .فقال لها هشام : " أما الأول فلا أنكره ، أما النجوم فمن أين لك ؟ قالت : أخذته عن خالتي عائشة رضي الله عنها ، فأمر لها بمائة ألف درهم، وردها إلى المدينة"^(١). ودخلت عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك، وهو بمكة فقالت : يا أمير المؤمنين مرّ لي بأعوان، فضمّ إليها قوماً يكونون معها فحجت ومعهما ستون بغلاً عليها الهودج^(٢) . وكانت عائشة بنت طلحة أديبة، يجلس إليها الشعراء وينشدون أشعارهم^(٣)

وقد أعلنت بعض النساء في المدينة عن معارضتها الزواج من الخلفاء والأمراء، فعندما حاول عبد الملك بن مروان أن يتزوج امرأة من ذوي الرأي في زمنه، وهي رملة بنت الزبير بن العوام ، ردتّه ، وقالت : إنني لا آمن نفسي على من قتل أخي^(٤) وكانت أخت مصعب لأمه ، وقد خطب عبد الملك بن مروان سكينه بنت الحسين فقالت أمها لا والله لا يتزوجها أبداً من قتل ابن أخي ، تعني مصعباً^(٥) كما رفضت إبنة سعيد بن المسيب الزواج من الوليد بن عبد الملك^(٦) وعندما أراد والي المدينة عبد الرحمن بن النعمان الزواج من فاطمة بنت علي بن الحسين أبت وقالت : ما النكاح من حاجتي^(٧) .

ويبدو أن نقل اسرار الدولة ومداولات المعارضين السرية كثيراً ما كانت تنقل عن طريق النساء ، فهذه رملة بنت معاوية بن أبي سفيان زوجة عمرو بن عثمان

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١١ ص ١٢٨ . النويري: نهضة الأرب ، ج ٤ ص ٢٧٩ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١١ ص ١٢٧ . المعقري : الحدائق الغناء ، ص ٥٥ .

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج ٥ ص ١٥٠ .

(٤) ابن طيفور : بلاغات النساء ، ص ٢٣١ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٦ ص ٣٦٧ .

(٦) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٢ ص ١٩٢ .

(٧) لبلائري: أنساب ، ج ٨ ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .



أرسلت لوالدها كل ما جرى بين عمرو ومروان بن الحكم ، فقد مرض عمرو فكان مروان يكثر من زيارته ويطيل في الجلوس فأنكرت رملة ذلك ، فخرقت كوى، فاستمعت إلى مروان ، فإذا هو يقول لعمرو، ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا بأسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك فنحن أكثر رجالاً من فلان ومنهم فلان حتى عدد رجالاً فلما خرج عمرو إلى الحج ، خرجت رملة إلى أبيها فقدمت عليه الشام ^(١) .

وكان يسكن المدينة في مطلع عهد بني أمية ألمع نساء ذلك العصر السيدة الحسنة سكينة بنت الحسين المتوفاة (١٢٥) هـ حفيدة الإمام علي، وكانت لها مكانتها الاجتماعية وعلمها وحبها للأدب والشعر والغناء ^(٢) من الأمور المشهورة الذائعة الصيت ، فكان الشعراء يغدون إليها ويتشادون في حضرتها الشعر ، فتستمع إليهم وتتقد ما ينظمون ^(٣) ويذكر الأصفهاني في ذلك فيقول: "اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص ، فافتخر كل واحد بصاحبه ، وقال : صاحبي أشعر، فحكموا سكينة لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر" ^(٤) وتقول بنت الشاطئ عنها : "إنها نجم المجتمع في المدينة آنذاك، انفردت بمكانة في المجتمع لم ترق إليها سيدة سواها" ^(٥) ويروى أن "سكينة بنت الحسين كانت من أجلد النساء ، دخلت على هشام بن عبد الملك في قواعد نساء قریش ، فسألته منطقته وعمامته ومطرفه، فقال لها ، لم طلبت ذلك منه "فقالت : ما أريد غيره ، وكان هشام يعم (يضع على رأسه) فأعطاها ذلك ، ودعا لها بثياب . وكانت إذا لعن مروان عليا لعنته و أباه" ^(٦)

(١) ابن عساکر: تراجم النساء ، ص ١٥٥. محمد خريست : المرأة والمشاركة لسياسية ، ص ٥٥-٥٦.

(٢) المعافري: الحدائق لغناء ، ص ١٤٤-١٥٥. فليب حتي : تاريخ العرب ، ج ١، ص ٣٠٦.

(٣) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٢، ص ٥٧٧. ج ١٦، ص ٣٦٣. المعافري: الحدائق الغناء ، ص ١٥٠-١٥١.

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٦، ص ٣٧٤.

(٥) عائشة عبد الرحمن : سكينة بنت الحسين ، ص ١٢١. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٤٤٧.

(٦) ابن عساکر : تراجم النساء ، ص ٢٠٦. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٧، ص ٣٧١.



وقد أطلق على سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بعقيلتي قریش، إذ لم يكن لهما نظير في زمانهما^(١) وكانت عائشة وسكينه تتنافسان الجمال في المدينة وقد اختصمتا يوماً عند عمر بن أبي ربيعة ليقتضي بينهما^(٢) وكان مصعب بن الزبير يطرب لسماع جزل شعرها ورصين بيانها ، وكلاهما زوج لمصعب ، وقد ضربت سكينه المثل الأعلى في الشجاعة والبطولة والوفاء ، يوم أن بدأ الخطيب بمسجد دمشق يدعو لخلافة بني أمية ، فقد وقفت سكينه في ذلك اليوم مستخفية ، حتى إذا بدأ الخطيب يلعن آل بيت النبي ، صاحت سكينه وزميلاتها ورددت اللعنة على الخطيب، مما أحدث اضطراباً في صفوف الموجودين في المسجد . واختلط الحابل بالنابل ، ولم يتمكن الخطيب من إتمام خطبته ، مما رفع من شأن سكينه في نظر قومها ، وقد فعلت ذلك إنتقاماً من أولئك الذين قتلوا أهلها^(٣).

يتبن لنا مما سبق أن المرأة في مجتمع المدينة كان لها مكانة ودور كبير في عدد من المجالات ، وهذا ليس بغريب على نساء وبنات الصحابة ، وأود أن أشير هنا إلى أن الإمام والجواري اشتركن بفعالية في الحياة الاجتماعية ، وساهمن بدور واضح في اختلاط الدماء والعادات في مجتمع المدينة، ويبدو أن نتائج ذلك الاختلاط لم تكن إيجابية دائماً . فقد احدث في البيئة المدنية لهواً ومجوناً انغمس فيه البعض ، ولم تسلم منه المرأة في المدينة^(٤) .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١٤٥ . المعافري : الحقائق الغناء ص ٦١ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٣٦٧ .

(٣) علي إبراهيم حسن : نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب ، ص ٦٠ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٢٩٩-٣٠٠ عطية أبو سرحان ، : الحجاز ص ٣٨٢ .



المظاهر الاجتماعية في المدينة

ارتقت الحياة الاجتماعية في المدينة في القرن الأول الهجري ارتقاء كبيراً مقارنة فيما كان عليه الحال في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ، وأصبحت المدينة حاضرة الدولة ، ونشطت الفتوح وأصاب أهل المدينة من السلطان والأموال حظاً وافراً ، فازدادت ثروة وغنى ، وامتزج العرب بالأمم الأخرى عن طريق ما جلب إليهم من الرقيق ، ووفرة ما حازوا من الجواري^(١) .

وقد بدأ يزداد ثراء المدينة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، واتسعت معه أسباب الرفاهية ، ففي سنة ثلاثين فتحت بلاد كثيرة من أرض خراسان ونيسابور ، ولما فتحت هذه البلاد الوسعة كثر الخراج على عثمان ، وأتاه المال من كل وجه ، حتى أخذ الخزائن وأدر الأرزاق ، وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدره في كل بدره أربعة آلاف أوقية^(٢) ويذكر الطبري : أن أول منكر ظهر في المدينة حين فاضت الدنيا ، وأنهى وسع الناس طيران الحمام والرّمي على الجلاهقات (وهو الذي يرمي به الصبيان البندق)^(٣) وكلما تقدموا في الزمن تقدم بهم التأثير بمظاهر الحضارة الجديدة. وكان من مظاهر هذه الرفاهية وهذا الثراء اتخاذ الدور والقصور ، والإنفاق على بنائها ، والتفنن في ذلك. فقد ذكر أن عثمان بن عفان بنى داره في المدينة وشيدها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من الساج والعرعر ، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة^(٤). أن المدينة أصبحت في العصر الأموي أكثر تألقاً وإغلاً في الترف ، رغم أنها كانت مركز التقاليد العربية والإسلامية ، وأكبر مدرسة للحديث والعلوم الدينية، ويعلل هذا الأمر بالطبيعي، لأن المدينة كانت مركز الأرسطراطية العربية من قريش والأنصار، والتي ألقت حياة الترف قبل الإسلام^(٥).

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٠ . شوقي ضيف : لتطور ولتجديد ، ص ٢٧ . محمود كحيل : شعر لحجاز ، ص ١٤ .

(٢) لسيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٣) لطيبري : تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ . لسيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٥ . ابن منظور : تهذيب لسان العرب ، ج ١ ص ٨٠ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤١ . كلود كاهن : تاريخ العرب ، ص ٣٢ .

(٥) عبدالعزيز الدوري : مقنمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٨ .



ومن أسباب هذا الترف أيضاً في هذا العصر ، أن المدينة لجأ إليها كثيرون من معتزلي السياسة وطالبي الراحة في الفترة الأموية ليكونوا بعيدين عن الضوضاء والاضطراب وليتعمموا بما أغدقته عليهم الفتوحات من فيء وما حظوا فيه من ثروة وجاه . ولقد سلك نفر كبير من الأغنياء سبيل الإسراف ، فتوافدوا على المدينة فازدهرت بهم، وشيدت فيها الدور الجديدة ، وبنيت في ضواحيها القصور الفخمة^(١).
لقد صور لنا عروة بن الزبير الوضع الاجتماعي في المدينة في العصر الأموي بأنه وضع لا يحسد عليه إنسان فقد أورد الأصفهاني في حليته ، وأبن النجار في الدرة : " أن عروة بن الزبير لما بنى قصره بالعقيق ونزله قيل له : جفوت عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: إني رأيتُ مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة في فجاجهم عالية ، فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية^(٢).
لعل هذا الوصف سبباً كافياً لعروة بن الزبير أن يترك المدينة ومسجدها العظيم ويقوم في وادي العقيق. ولقد أصبح لزيادة نسبة دخل المدينة مردود إيجابي على المستوى الاقتصادي والمعيشي، مما انعكس أثره على الحياة الاجتماعية^(٣) .
وكان لازدياد الثروة في المدينة أثر في ازدياد الترف، فانصرف الناس فيها إلى اللهو والغناء وامتلاك الجواري من الرقيق والموالي^(٤).
وكان مركز المتعة والاستجمام في أيام الربيع والشتاء لأهل المدينة وادي العقيق، حيث يحضر إليه الأمراء والشعراء والمغنون ، فقد روي أن العقيق سأل مرة فخرج الناس للتنزه حيث الماء والبساتين ، واجتمعوا ومما زاد من بهجة الخروج للتنزه كثرة المغنين ، فشارك أبن عائشة المغني الناس وغناهم ، فما رئي يوم أحسن منه^(٥) .

(١) لفيروز : المغنم ، ص ٤٥٤ . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ . طه حسين : حديث الأربعاء ، ص ١٨ .

(٢) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ . ابن النجار : الدرة ، ص ٩٦ .

(٣) لبلازري : أنساب الأسراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ . عبدالله دريس : مجتمع المدينة ، ص ١٩٠ .

(٤) ابن القيسراني : لسماع ، ص ١٤ . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ . فيليب حتي : تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ . الأبهني : المستطرف ، ج ٣ ، ص ٨٠٧ .



وكان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذلك المكان فطلب من ابن عائشة أن يغني مائة صوت ، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله^(١) ويذكر أن نصيباً وكثيراً والأحوص خرجوا في يوم أمطرت فيه السماء فقالوا : هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا : نعم^(٢).

كما غنى طويس لعبد الله بن جعفر في وادي العقيق^(٣) وممن ذكر أنه حضر إلى العقيق للتمتع بمناظره عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز ، وعبدالله بن حسن بن حسن ، ومحمد بن جعفر بن محمد^(٤) وذكر أن سعيد بن المسيب أشتكى عينه فقالوا له : لو خرجت يا أبا محمد إلى العقيق فنظرة إلى الخضرة لوجدت لذلك خفة^(٥) .

وكان الغناء من مظاهر الترف والمتعة عند أهل المدينة ومظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية فيها فقد روي أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان نزل المدينة ، فمر بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار، وكان معاوية يعيب على عبد الله سماع الغناء، فوقف ساعة يستمع ، ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله ! فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضاً ، فإذا عبد الله قائم يصلي ، فوقف ليستمع قراءته . فقال : الحمد لله ! فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاماً ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن صياد المغني ثم تقدم إليه يقول : إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرك أوتارك وغن ، فلما وضع معاوية يده في الطعام غنى ابن صياد بشعر عدي بن زيد وكان معاوية يعجب به:

يا لبيني أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا
فأعجب معاوية غناؤه، حتى قبض يده عن الطعام، وجعل يضرب برجله طرباً^(٦).

(١) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٤ .

(٤) لفيروز: المغانم ، ص .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٣٢ .

(٦) ابن عبد ربه : لعقد لفيروز، ج ٦ ، ص ٢٦ .



وقد أخذت الحياة الاجتماعية في المدينة تزدد لهواً في زمن يزيد بن معاوية، لدرجة أن المسعودي وصف أهلها بأنهم أستعملوا الملاهي ، وشربوا الشراب في هذه الفترة^(١) كما أن يزيد نفسه كان يشرب الشراب ، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسمر عنده الحُرَّاب (يعني اللصوص)^(٢).

لقد تغيرت الحياة الاجتماعية في المدينة فارتفع مستوى الحضارة والتمدن، وكان للموالي والرقيق من الفرس والروم وغيرهم من الأجناس التي خضعت لنفوذ العرب دور في الانتقال على مستوى الحياة في البيت من خشونة البداوة إلى ترف الحضارة ، فاستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم^(٣) وقد ساعد على هذا التطور تدفق الثروات على أهل المدينة من أولاد المهاجرين والأنصار والقبائل ، فانتشرت حياة الترف واللهو والتسلية ، وأسرف الناس في امتلاك الرقيق والجواري، وبناء الدور والمساكن^(٤).

وما القصور الكثيرة التي وجدت في المدينة، وعلى وجه التحديد، في وادي العقيق، كقصر سعيد بن العاص، وقصر عاصم بن عمرو بن عثمان، إلا ترجمة لهذا الواقع^(٥) ومن الدلائل على ترف حياة أهل المدينة في هذا العصر أيضاً اقتناء المغنيات من الجواري ، إلى درجة بيعهنَّ بأسعار عالية^(٦) وقد كان كل من يزيد بن عبد الملك وأبنة الوليد ممن وصفوا بالإسراف بالملبس والزينة ، والشراب ، واقتناء الجواري المغنيات خاصة من المدينة^(٧).

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ص٧٧. ابن الطقطقا : الفخري ، ص١١٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج٥، ص٦٦. الطبري بتاريخ: ج٥، ص٤٨٠.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص٤٢٧. عطية أبو سرحان : لحجاز ، ص٣٩٥.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص٤٢٧. محمود المقداد : الموالي ونظام الولاء ، ص٢١٨.

(٥) السهوي : وفاء الوفاء ، ج ، ص . عبدالقدوس الأنصاري : أثر المدينة ، ص٤٣-٥٧.

(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٥، ص٣٠٧. لزركلي : الاعلام ، ج٢ ، ص١٤.

(٧) التويري: نهاية الارب ، ج٥ ، ص٥٨. مصطفى هداره : تاريخ الشعر العربي ، ص٥٧.



ولم تقتصر مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة على بناء القصور ، وامتلاك الجواري والرقيق فقط ، إنما تجاوز ذلك إلى التألق في ضروب الملبس ، واتخاذ الرقيق الناعم من الثياب ، وتسعوا في المطعم ، والمشرب والزينة^(١) وأكل الكثير منهم في أواني الذهب والفضة وفرشوا الديباج والإستبرق^(٢) ونعموا بالحياة الراعدة، فقد ذكر أن عائشة بنت سعيد بن أبي وقاص كانت تلبس الحلي من الذهب ، كما كانت تلبس المعصفرات من الثياب مراراً^(٣) وهذه "سكينة بنت الحسين تلبس ابنتها درأً كثيراً وتقول : والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه"^(٤) كما كانت أم كلثوم زوجة سالم بن عبد الله تلبس ثياب معصفرة^(٥) كما لبست النساء في المدينة البرقع والقفازات^(٦) .

ويروى أن عائشة بنت طلحة دعت يوماً نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب والمجمر ، وخلعت على كل امرأة خلعة تامة من الوشي والخز ونحوهما ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ، ثم قالت لعزة : يا عزة غني^(٧).

وكانت النساء في المدينة تتباهى بالجمال ، وحسن الخلق .فقد روي أن مصعب بن الزبير طلب من زوجته عائشة بنت طلحة أن تستر وجهها ، فقالت له: إن الله وسمني بميسم جمال ، فأحببت أن يراه الناس، والله ما بي وصمة أستتر لها^(٨)

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١١ ، ص ١٢٤ . محمود الحلولي : بناء القصيدة ، ص ٢٤ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١١ ، ص ١٢٤ . عبد السلام هاشم : لمدينة ، ص ١٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ ، ج ٨ ، ص ٤٦٧ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣١٥ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٦) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٧) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١١ ، ص ١٢٤ .

(٨) الحصري : زهرة الأدب ، ج ١ ، ص ٣٠١ .



ولم يقتصر أثر الترف والرغد على النساء دون الرجال في مجتمع المدينة ، فقد ذكر أن ابن عباس كان يشتري الثوب بألف درهم ويلبسه ^(١) كما لبس الرجال الحرير فهذا أبو هريرة يقول : الحمد لله الذي ألبسني الحرير ^(٢) كما لبس الساج المزور بالديباج (ضرب من الثياب) ، ولبس الخز والثياب الممشوقة ^(٣) .

وروي أن زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ومعه داود بن سليم مولى التميميين أنهما دخلا المسجد وعليهما ثياب ملونة يجرانها ^(٤) . وقد أمر عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة تاجراً من أهل البصرة أن يشتري له جبة خز منصوب ، قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ثم أتيتها بها فمسها فقال : إني لأستخشنها ^(٥) وفي رواية أن القاسم بن محمد بن أبي بكر كان عليه قلنسوة من خز أخضر ورداء سابرياً ملون مصبوغ بشي من زعفران ^(٦) كما لبس القاسم الخز ، وسالم بن عبد الله الصوف ، وكان مقعدهما واحد في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا ينكر بعضهما على بعض شيئاً ^(٧) .

كما استعملت أنواع مختلفة من العطور والمسك في المدينة ^(٨) فقد كان عمر بن عبد العزيز يذبل ثيابه ويسرف في عطره ، وكان يدخل طيبه حمل القرنفل ، وكان العنبر على لحيته كالملح ^(٩) فقد أورد الأصفهاني عن الزبير عن هارون عن أبيه قال : كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر

(١) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٣٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ . ابن منظور : تهذيب لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٦ ، ص ١٣ .

(٥) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٦ . الزمخشري : ربيع الأبرار ، ج ٤ ، ص ٤٢٩ .

(٦) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٢٤١ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ١٦١ .

(٩) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٦ .



ثياب عمر بن العزيز من كثرة الطيب فيها^(١). وكانت المناسبات كالأعراس مكاناً ملائماً للمجالس الاجتماعية ، حيث يجتمع الناس يتحدثون ويسمعون المغنيين ، فقد تغنى طويس في عرس رجل من الأنصار ، وكان في القوم النعمان بن بشير الأنصاري^(٢) وكانت جميلة السلمية تنزل بالسفح في عوالي المدينة ، ووضعت ألحاناً تهافت الناس على سماعها^(٣). ووجد في المدينة قوم أصحاب نوادر وفكاهة، يشيعون المرح والسرور في مجالس أهل المدينة فكان أشعب يضحك أهل المدينة ويملاً بيوتهم ظرفاً^(٤) وبلغت مهور النساء في المدينة أموالاً كثيرة، فروي أن ابن جعفر زوج ابنته أم كلثوم من الحجاج على ألفي ألفي في السر وخمسمائة ألف في العلانية^(٥).

لقد أصبحت المدينة في العصر الأموي صفحة رقيقة من صفحات الحياة السعيدة الآمنة الذاخرة بين الموسيقى والغناء والنوادر والفكاهة والقصص ، وأخبار الماضي القريب ، مع تداخل هذه الحياة بحياة العلوم الإسلامية التي اتخذت من المسجد النبوي مقراً لها، بعيداً عن عبث السياسة والعصبيات وقد غدت المدينة مدرسة العرب في الموسيقى والغناء^(٦) . والدليل على ذلك كثرة عدد المغنيين في المدينة في هذا العهد ، أمثال: معبد، وابن عائشة، وطويس، ومالك بن أبي السمح، وسلامة القس، وحبابة ، وعزة الميلاء^(٧) .

قد وصف الحصري أهل المدينة بقوله " هم أكثر الناس ظرفاً، وأكثرهم طيباً، وأحلامهم مزاجاً ، وأشدهم اهتزازاً للسمع ، وحسن أدب عند الاستماع^(٨) .

(١) الأصفهاني : الأغني ، ج٩ ص٢٦٢ .

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٧٦ .

(٣) النويري: نهاية الأرب ، ج٥ ص٤٠ .

(٤) المصدر نفسه، ج٤ ص٢٥ .

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١٠، ص٢٧٠ .

(٦) جوزيف هل: الحضارة العربية ، ص٦٠ . محمود المقداد: لموالي ، ص٢١٩ .

(٧) الأصفهاني: الأغني، ج٤ ص٢٦٢ . ج٨ ص٤٥٤ . ج١٤ ص٣٣٠ . ج١٥ ص٨٥ . النويري: نهاية، ج٤ ص٢٨٨ .

(٨) الحصري : زهرة الأدب، ج١ ص٢١٤ .



الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في المدينة في العصر الأموي

أولاً: التنظيمات الاقتصادية في
المدينة قبل العصر الأموي

أ- ملكية الفرد

ب- الزراعة

ج- التجارة

د- الصناعة

ثانياً: التنظيمات الاقتصادية في
المدينة في العصر الأموي

أ- ملكية الفرد

ب- الزراعة

المزروعات في المدينة

ج- الرعي

د- التجارة

الأسواق التجارية

هـ- الحرف والصناعات

العملة المتداولة

العمران في المدينة

أولاً: المساجد

ثانياً: القصور



الحياة الاقتصادية :

أولاً: التنظيمات الاقتصادية في المدينة قبل العصر الأموي.

أ- ملكية الفرد:

الملكية قضية معرفة عند العرب قبل الإسلام ، فكان الفرد من أهل الحضر يملك داره وأرضه وبستانه ملكاً خاصاً، وكان الفرد من أهل البادية يملك سلاحه وخباءه وأنعامه ملكاً خاصاً^(١).

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم"^(٢) يعني أنها تقطع للناس .وبناءً على ذلك أقطع رسول الله جماعة من المهاجرين والأنصار من أموال بني النضير ، وكانت صفياً لرسول الله خالصة فقد أقطع أبو بكر وعبد الرحمن بن عوف وأبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي وغيرهم^(٣) وأورد الصولي أن الرسول أقطع أيضاً عمر بن الخطاب بنر جرم ، وأقطع صهيبياً الصراطة، وأقطع الزبير وأبا سلمة بن عبد الأسد البريلة^(٤) .

ويذكر البلاذري أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعط أحداً من الأنصار منها شيئاً إلا رجلين كانا فقيرين ، سماك بن خرشة أبا دجانة ، وسهل بن حنيف . وكان الرسول قد استشار الأنصار بذلك فقال لهم : ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتكم أموالكم وقسمت هذه فيه خاصة ، فقالوا : بل قسم هذه فيهم^(٥).

واستمرت الملكية والأقطاع في عهد الخلفاء الراشدين . فقد أقطع أبو بكر الزبير (الجرف) أرضاً مواتاً ، وأقطع طلحة أرضاً وكتب له كتاباً وأشهد له ناساً

(١) محمد بطيئة: الحياة الاقتصادية ، ص ٢٢-٢٣.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٦١. يحيى بن آدم: الخراج، ص ١١١-١١٢.

(٣) البلاذري: فتوح، ص ٢٧.

(٤) الصولي: لب، ج ٣، ص ٢١٠.

(٥) البلاذري: فتوح، ص ٣٠.



فيهم عمر فأتى طلحة عمر بالكتاب ليختمه فقال هذا كله لك دون الناس لا أختم هذا فرجع طلحة مغضباً إلى أبي بكر فقال : أنت الخليفة أم عمر فقال له: عمر ولكنه أبى وأبطل الإقطاع^(١) وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع العقيق أجمع للناس حتى جازت قطيعة أرض عروة بن الزبير . فقال: أين المستقطعون منذ اليوم فإن يكن فيهم خير فتحت قدمي . قال خوات بن جبير: أقطعنيه، فأقطعه إياه^(٢) . وأقطع عثمان بن عفان الأرض للناس وسمح ببيعها^(٣) .

وزاد تملك الأراضي الزراعية بين الناس في عهد عثمان^(٤) منها ما أقطعه للزبير ، وكانت أملاك الزبير في الفرع واسعة^(٥) .

بالإضافة إلى تملك الأفراد الأرض عن طريق الأقطاع ، فقد تملكوا أيضاً أرض عن طريق إحياء الموات . وقد عرفها أبو يوسف بقوله : هي الأرضين التي لم يكن فيها أثر بناء ولا زرع ولا تكن فياً لأهل القرية ولا مسرحاً ولا موضع مقبرة ولا موضع محتطبهم ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم ، وليست بملك لأحد ولا في يد أحد فهي موات فمن أحيّاها أو أحيّا منها شيئاً فهي له^(٦) وهذا الأمر ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحيّا مواتاً من الأرض فهي له ، وليس لعرق ضالم حق^(٧) .

وقد شرع الخليفة عمر بن الخطاب قانوناً خاصاً بالأرض مفاده : من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنوات لا يعمرها ، فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها^(٨) .

(١) لبلانري: فتوح ، ص ٣١ . لصولي : أنب لكتاب ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

(٢) أبو يوسف: الخراج ، ص ٦١ .

(٣) يحيى بن آدم : الخراج ، ص ١١٣ .

(٤) لطبري : تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ .

(٥) فلاح حسين : طرق استثمار الأرض ، ص ٥٣ .

(٦) أبو يوسف: الخراج ، ص ٦٣-٦٤ . الترمذي: سنن ، ج ٢ ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٧) يحيى بن آدم: الخراج ، ص ١١٧ .

(٨) أبو يوسف : الخراج ، ص ٦١ .



نلاحظ مما سبق أن الناس في المدينة كانت لديهم رغبة أكيدة في تملك الأراضي سواء عن طريق الإقطاع أو عن طريق الإحياء . إلا أن حق الفرد في التملك لم يترك بلا قيود ولا حدود ، وإنما دلت الشواهد حقه في التملك في حال ، وعدم التملك في حال آخر ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الوسائل والأساليب التي اتبعت في إنتاج المال وتكثيره ، وهي الزراعة والتجارة والصناعة^(١).

ب- الزراعة

تعتبر الزراعة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان، ومن أقدمها، وذلك لأنها تسد حاجة طبيعية لدى الإنسان، فهي أهم المصادر الأساسية التي يتم عن طريقها تأمين الغذاء للإنسان ، كما أنه عن طريق الزراعة يتم تأمين بعض الحاجات اللازمة للإنسان في صناعات أخرى ضرورية تعتمد في خاماتها الأولية على الزراعة^(٢) .

إن طبيعة المدينة جعلت من الزراعة مورداً رئيسياً لسكانها كما أسلفت ، وقد كانت كذلك في الجاهلية واستمر عليها في الإسلام، إن الطبيعة البركانية لتربة المدينة التي تكثر فيها الحرار، جعل تربتها جيدة الخصوبة، صالحة للزراعة^(٣) وقد ساعدت تربة المدينة البركانية على توافر مياه الأودية والآبار والعيون فيها^(٤) وقد أورد السمهودي "في وفاء الوفاء" "أكثر من عشرين بئر وعين ماء في المدينة"^(٥) إضافة إلى الأودية التي تتجمع فيها المياه، وتتفرع حول المدينة ووسطها ، كوادي بطحان ، ورائونا ، وقناة، ومذنيب ، ومهزور والعقيق^(٦) وفي مجامع هذه الأودية اثنا عشر عيناً ، عين أبي زياد ، والصوران ، وعين أبي فليح، وبركة السوق،

(١) محمد البطاينة : الحياة الاقتصادية ، ص ٢٤.

(٢) عبدالعزيز لعمرى : الحرف والصناعات في الحجاز ، ص ٨٥.

(٣) Brita, Fncy . vol . 15 . p. 206.

(٤) يقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٨٢.

(٥) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٤٢-٩٨٨.

(٦) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٧١-١٠٨٢.



والثريات ، وثنية حوران ، والرعية ، والحارمان ، والبعث ، والغابة السفلى ، وسرور ، وعين ابن عمران^(١) بالإضافة إلى كثرة الجبال الغنية بالمياه ومنها : جبل آره ، وجبل أبلى ، وجبل أعظم^(٢).

ونظراً لهذا المناخ الملائم للزراعة في المدينة ، فقد اعتنى الخلفاء الراشدون بتتمية الزراعة فشقوا وحفروا القنوات ، وأحدثوا المزارع والبساتين ، وحفروا لها العيون^(٣).

لقد كان آل علي بن أبي طالب من اكبر الأسر التي أهتم أفرادها بامتلاك الاراضي الزراعية وأحيائها . فقد أقطع عمر بن الخطاب علي أرضاً بينبع ، وأشترى علي إلى قطيعة عمر اشياء ، منها أرض اشترها من عبد الرحمن بن سعد الانصاري بثلاثين ألف درهم ، وحفر فيها عيناً فانفجرت عليهم مثل عنق الجزور من الماء وهي المعروفة بالغبغبة وهي عدة عيون : خيف الأرك ، وخيف ليلي ، وخيف نسطاس ، وكان لعللي عيون أخرى بينبع متفرقة منها عين البحير ، وعين أبي نيزر ، وعين نولا ، وعين الحدث ، وعين العصيبة ، وله بالمدينة الفقيرين بالعالية ، وبئر الملك بقناة ، والأدبية بالأظم ، وله بوادي القرى : عين ناقة يقال لها عين حسن ، وله بحرة الرجاء : واد يدعى البيضاء وفيه مزارع ، والقصيبة ، وله فيها أربع آبار منها ذات كمات ، وذوات العشاء ، وقعين ، ومعيد ، ورعوان ، وله بفدك : واد يدعى رعية فيه نخل^(٤).

وقد كان للخليفة عثمان بن عفان دوراً في تطوير زراعة المدينة ، فقد عمل على حفر الخلجان وبناء السدود والجسور ، فقد حفر خليجاً إلى أسفل العرصه^(٥)

(١) لحربي : المناسك ص ٤١٢

(٢) لفروز آبادي : المغام لمطبة ص ٢٥-٥١.

(٣) لمصعب الزبيري: نسب قریش ، ص ١٧٦. محمد البطاينة : الحياة الاقتصادية ، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) عمر بن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٣٦-١٣٩. صالح العلي : ملكيات الاراضي ، ص ٩٦٥ ، ص ٩٧٣.

محمد البطاينة : الحياة الاقتصادية ، ص ١٠٧-١٠٨.

(٥) ابن شبة : تاريخ لمدينة ، ج ١ ، ص ١٠٧



استفاد منه أهل المدينة طوال الفترة الأموية . ويقال لهذا الخليج خليج نائلة، لساقية أرض اعتملها عثمان بالعرصة^(١) وقد جعل عثمان ثلاثة آلاف رجل من الأعاجم يعملون فيه^(٢) وكان لعثمان دور عندما سال سيل مهزور سيلاً عظيماً على المدينة ، خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذي عند بئر مدرى يرد به السيل عن المسجد وعن المدينة^(٣) وقد حفر عثمان لأهل المدينة أيضاً بئر أريس^(٤). ومن الصحابة الذين اهتموا في الزراعة عبدالرحمن بن عوف فقد كان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً ، فكان يدخل قوت أهله من ذلك لسنة^(٥).

كما يذكر المصعب الزبيري " ان لسعيد بن العاص اهتماماً بالزراعة ، فقد عمل على أحياء مساحات من الاراضي في المدينة عن طريق استصلاحها ، فكان له بستان حفر به بئراً وغرسه بالنخيل ، وبني فيه قصراً ، وكان نخل بستانه ابرر نخل في المدينة ، وكانت أرضه تسمى بالعرصة^(٦) .

هذه الأمثلة دليل هام على اقبال الصحابة رضوان الله عليهم على امتلاك الاراضي الزراعية في المدينة اما عن طريق الاقطاع او عن طريق احياء الارض الموات او عن طريق الشراء ، مما ادى الى ارتفاع اسعار الاراضي الزراعية في المدينة الى مبالغ هائلة^(٧).

وقد شكلت الزراعة الدعامية الاساسية في الحياة الاقتصادية لمجتمع المدينة نظراً لطبيعة ارض المدينة الزراعية^(٨) .

(١) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٢) الفيروز بلادي : المغام المطبة ، ص ٨٨-٨٩ .

(٣) لبلاذري : فوح ، ص ١٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٧٤ .

(٥) لبلاذري : أنساب ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٦) المصعب الزبيري : نسب قريش ، ص ١٧٦ . لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٥ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٦ . صالح العلي : ملكيات الاراضي في الحجاز ، ص ٩٧٠ .

(٨) شكران خربوطلي : الحياة الاقتصادية في المدينة ، ص ٣٦ .



أما الطريق التي يتم فيها استغلال الأراضي الزراعية في المدينة في هذه الفترة، ففي صحيح مسلم قول لجابر بن عبد الله قال: كنا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نأخذ الأرض بالثلث أو الربع بالمأذونات فقام رسول الله في ذلك فقال من كانت له أرض فليزرعها فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه فإن لم يمنحها أخاه فليمسكها^(١) ويمكن التأكيد على ذلك من خلال معاملة الرسول لأهل خيبر من اليهود على شطر من الأرض ما يخرج منها من تمر أوزرع^(٢) ولم تزل المعاملة على ذلك حتى أجلاهم عمر بن الخطاب عن خيبر^(٣).

وقد وضع لنا البخاري في كتاب المزارعة قال: "ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع، وزارع علي وسعد بن مالك وعبد الله بن مسعود، وعمر بن عبد العزيز، والقاسم، وعروة بن الزبير، وآل أبي بكر، وآل علي، وابن سرين"^(٤) وقال عبد الرحمن بن الأسود كنت أشارك عبد الرحمن بن يزيد في الزرع، وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جاؤا بالبذر فلهم كذا^(٥) وقال الحسن لا بأس أن تكون الأرض لأحدهما فينفقان جميعاً فما خرج فهو بينهما^(٦).

ج- التجارة:

مارس أهل المدينة أنواعاً مختلفة من النشاط التجاري، بحكم وضعهم الزراعي، ولوقوع المدينة على طريق التجارة بين الشمال والجنوب^(٧) وكان للأوس

(١) مسلم : صحيح ، كتاب البيوع ، ص ٥٩٨ . لترمذي : سنن ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .

(٢) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

(٣) ابن تيمية : الحسبة ، ص ٢٩ .

(٤) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٧) السهوي : وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٦٦ . عبد الله أنريس : مجتمع المدينة ، ص ٢٠٨ .



والخزرج دور في تجارة المدينة إلا أن دورهم الزراعي كان أقوى من ذلك ، إذ أن أشهر أسواق المدينة وهو سوق بني قنيقاع يسيطر عليه اليهود ، ويتحكمون فيه مما جعل الصفة الغالبة على العرب في المدينة أنهم أهل زراعة أكثر منهم أهل تجارة^(١) وعندما تمت الهجرة إلى المدينة كان معظم المهاجرين من قريش وفيهم نزعة قريش التجارية ، فكان الكثير منهم ما إن يصل إلى المدينة حتى يسأل عن السوق فيشتري ويبيع بحثاً عن الرزق، فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما قدم المدينة آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، فقال له سعد : إني أكثر الأنصار مالاً ، وسوف أقسم مالي بيني وبينك وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها فقال له عبد الرحمن : لا حاجة لي بذلك ، ولكن هل من سوق فيه تجارة ؟ قال: سوق بني قنيقاع ، قال فغدا إليه عبد الرحمن ، فأتى بأقطٍ وسمن ثم تابع الغدو^(٢) وندل على ذلك بقول لأبي هريرة في إحتجاج له على من يقول عنه أنه يكثر الحديث عن رسول الله : إن إختي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق^(٣) كما أن عمر بن الخطاب كان يقول ألهاني الصفق بالأسواق^(٤) يعني الخروج إلى التجارة. وكان كل من البراء بن عازب وزيد بن أرقم تاجرين في المدينة^(٥) وقد ذكر التتوخي : أن الصحابة أصابهم الثراء من التجارة ، وذكر منهم عبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله^(٦) وكان الصحابي كثير المتاجر في المدينة الزبير بن العوام^(٧).

(١) عبد العزيز العمري : الحرف والصناعات ، ص ١٢٧.

(٢) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١١٦ . البلاذري : أنساب ، ج ١٠ ، ص ٣١ - ٣٢.

(٣) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١١٥.

(٤) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١٢١ ، ص ١٤٠ . الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٤.

(٥) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١٢٠.

(٦) التتوخي : لمستجد ، ١٥ . البلاذري : أنساب ، ج ١ ، ص ٣٥.

(٧) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة ، ج ١ ، ص ١٥٥ - ١٥٨.



يتبين لنا مما سبق أن الحركة التجارية في أسواق المدينة كانت نشطة ، وكانت منظمة بحيث لا يسمح فيها بالغش أو التدليس ، فق جعل لها موظف يراعي أمر المثاقيل والموازين ، وكان له كل يوم درهما^(١).

وهذا الإجراء اتخذ نظراً لما كان التجار يخفون الفاسد من بضاعتهم وقيمون ببيعها ، فقد أدخل رسول الله يده في صبرة طعام في السوق فنالت أصابعه بللاً فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال أصابته السماء يارسول الله قال: أفلا تجعله فوق الطعام كي يراه الناس ، من غشنا فليس منا^(٢) ومر عمر بن الخطاب بحاطب بن أبي بلتعة وهو يبيع زببياً له بالسوق فقال له : إما تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا^(٣) كما أمر عمر وعلي بتحريق المكان الذي يباع فيه الخمر^(٤) فقد قام عمر بتحريق حانوت كان يباع فيه الخمر لرويشد الثقفي ، وقال له إنما أنت فويسق لا رويشد^(٥) وكان عمر يطوف في السوق ، ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول : لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه^(٦) كما إنه رأى كير حداد في السوق فضربه برجله حتى هدمه، وقال: انتقص سوق رسول الله ، هذا وقد أسند عمر الحسبة في السوق إلى امرأة تسمى الشفاء ، وكانت تمر بالأسواق وتتهي عن المنكر^(٧) كما عمل هذا الإجراء أيضاً عثمان حيث أوكل هذه المهمة إلى الحارث بن الحكم^(٨) .

أما الأشياء التي كان يتاجر فيها الصحابة والناس فهي كثيرة ومتنوعة ، فقد ذكر أن أبا بكر عندما استخلف ، أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبتة

(١) ابن تيمية : الحسبة ، ص١٦، ص١٨. الكتاني الترتيب الإدارية ، ج ١ ، ص٢٨٧ ، ج٢ ، ص ٣٦-٤٠.

(٢) ابن تيمية : الحسبة ، ص١٩.

(٣) ملك بن أنس : المدونة ، ج٢ ، ص١٨٤. ابن تيمية : الحسبة ، ص٣٧.

(٤) ابن تيمية : الحسبة ، ص٥٧.

(٥) المصدر نفسه ، ص٥٩-٦٠.

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص١٤٥. محمد الخطيب: دراسات ، ص١٤٩.

(٧) السهويدي : وفاء الوفاء ، ج٢ ، ص٧٤٩. الكتاني : الترتيب الإدارية ، ج ١ ، ص ٢٨٦.

(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦.



أثواب يتجر بها فلقية عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ، فقالا له : أين تريد يا خليفة رسوا الله فقال إلى السوق^(١) وكانت أسماء بنت مخرمة تباع العطر في سوق المدينة^(٢) وبيع أيضاً القرظ وهو ورق يدبغ به كقشر البلوط^(٣) ومن الذين تاجروا فيه سعد القرظ فخرج إلى السوق فاشترى شيئاً من قرظ فباع وربح فيه^(٤) كما بيع في سوق المدينة الزعفران والعنبر والمسك والعود وكذلك السكر والعقاقير^(٥) وتاجر الناس في الثياب والخز والساج والديباج^(٦) بالإضافة إلى التمر والتي أشتهرت به المدينة، فقد روي أن علي بن أبي طالب خرج إلى السوق ليبيع سيفه، وقد شوهد وهو يحمل في ملحفة تمرأً اشتراه بدرهم^(٧).

كما عرضت في سوق المدينة الجمال والأغنام^(٨) فقد باع علي بن أبي طالب جملاً له يدعى عصيفيراً ، بعشرين بغيراً إلى أجل^(٩).

أما علاقات المدينة التجارية مع الأمصار فقد كانت موجودة ، فأول من حمل الطعام من مصر في بحر إيلة إلى المدينة عمر بن الخطاب^(١٠) كما أحضر القمح والسمن والعسل من الشام^(١١) والثياب والخمر من العراق إلى سوق المدينة^(١٢).

(١) لبلاذري: أنساب ، ج ١٠ ، ص ٦٩ . ابن سعد: الطبقات ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٨٠ . ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٨٣٧ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٤) محمد شراب : المدينة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٥) الكتاني : الترتيب الإدارية ، ج ٢ ، ص ٣٦ ص ٣٩ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٨) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

(٩) ملك بن أنس : الموطأ ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(١٠) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٣٧ .

(١١) الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٥٢-٥٣ .

(١٢) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٤٦ . الأصفهاني : الأغاني ، ج ٣ ، ص ٣٣-٣٤ .



كما أن عمر بن الخطاب اتخذ داراً للدقيق فجعل فيها الدقيق ، والسويق ، والتمر ، والزبيب ، وما يحتاج إليه يعين به المنقطع (١) .

من الملاحظ أن تجارة المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين كانت رائجة ومزدهرة .

د - الصناعة:

كانت الصناعة في هذه الفترة محدودة يعمل فيها اليهود والموالي وقليل من المسلمين ، ولم يكن الأوسيون والخزرجيون يمتنونها (٢) وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون الناس على المهن فهذا عمر بن الخطاب يقول : إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله صنعة (حرفة) ؟ فإن قالوا : لا سقط من عيني (٣) .

وسوفأذكر بعض الأمثلة على وجود الحرف بالمدينة في هذه الفترة بالذات ، ففي صحيح البخاري إن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ، ألا تجعل لك شيئاً تقعد عليه ، فإن لي غلاماً نجاراً ، قال : إن شئت فعلت له المنبر ، وبالفعل عمل الغلام النجار لرسول الله أعواداً ليجلس عليها إذا كلم الناس (٤) . وفي رواية أن عمر بن الخطاب لا يأذن لسبي قد أحتمل في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع ، ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول : إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد ، نقاش (٥) .

وقد ارتبطت الحدادة بالأعمال الزراعية فكان الحدادون يصنعون ما يحتاج إليه الفلاحون والمزارعون من محاريث ومساح وفؤوس لحراثة الأرض ومناجل الحصاد ، وكان يقوم بصنع الأدوات الزراعية أناس من عرب ويهود

(١) لسيوطي : تاريخ لخلفاء ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٩ . عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٣) الألبيني : المستطرف ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٤) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

(٥) لسيوطي : تاريخ لخلفاء ، ص ١٣٣ .



وعبيد^(١) كما وجدت صناعة الأسلحة^(٢) والتي كان لها أهمية كبيرة ، نظراً لقلة مناجم الحديد في الجزيرة العربية ، فقد أضطر العرب إلى إستيراد الحديد من الهند وفارس عن طريق البصرة^(٣) .

كما عرفت المدينة أيضاً صناعة النسيج ، إلا أنها كانت تمارس على نطاق ضيق ، وكان يقوم بها بعض النساء في البيوت ، ولم يكن في المدينة حائك ، بل كان يقدم عليهم بالأقمشة من الثياب من اليمن والشام والعراق منسوجة ، فيشترونها ويلبسونها^(٤) .

وعلى أي حال ، فإن هذه الصناعات كانت بسيطة ، ولاتكاد تفي بحاجات أهل المدينة ، وبقيت الأرض هي مصدر الثروة ، وظلت الزراعة عماد الإقتصاد الإسلامي في هذه الفترة^(٥) .

(١) حاتم عز الدين : الحياة الإقتصادية ص ١١٨ .

(٢) لبلازي : فتوح البلدان ، ص ١١٧ .

(٣) صلح العلي : التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٤) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ٥٣ . الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

(٥) محمد البطاينة : الحياة الإقتصادية ص ١١٢ .



ثانياً: التنظيمات الاقتصادية في المدينة في العصر الأموي.

أ- ملكية الفرد:

استمر الإهتمام بامتلاك الأراضي الزراعية في المدينة أكثر في أيام العهد الأموي. فقد أبدى الخليفة معاوية بن أبي سفيان اهتماماً بالغاً بحيازة الضياع في المدينة ، ولذلك عمل على أحياء بعض الأراضي المولت فيها وحيازتها لنفسه، فقد نقل الواقدي في كتاب الحرة " أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صواقي كثيرة "(١) ويذكر ابن قتيبة " أن ابن مينا أقبل بسراح (الماشية) له من الحرة ، يريد الأموال التي كانت لمعاوية ، فمنع منها ، وأزاحه أهل المدينة عنها ، وكانت أموالاً أكتسبها معاوية ، ونخيلاً يجد منها ألف وسق وستين ألف . ودخل نفرٌ من قریش والأنصار على عثمان بن حيان (والي المدينة) فكلموه فيها فقالوا: قد علمت أن هذه الأموال كلها لنا، وأن معاوية أثر علينا في عطائنا ، ولم يعطنا قط درهماً فما فوقه، حتى مضنا الزمن، ونالتنا المجاعة ، فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها. فأغلظ لهم عثمان في القول ، وأغلظوا له . فقال لهم : لأكتبن لأمير المؤمنين بسوء رأيكم "(٢) يبدو لي أن أفراد الأسرة الأموية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان أستغلوا أموالهم ومكانتهم في شراء الأراضي الزراعية في المدينة ، نتيجة للظروف والأحوال السيئة التي مرَّ بها أهل المدينة ، نظراً لشح العطاء وجور السنين . وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الأوضاع الاقتصادية لأهل المدينة في زمن الأمويين، كانت سبباً في تكوين نواة للمعارضة ترجمت على أرض الواقع إلى ثورة عام ٦٣هـ (٣).

ومن الأملاك أيضاً التي كانت لمعاوية في المدينة ثنية الشريط ، وهي لرجل من بني سليم، وكانت أعناباً ونخللاً لم يُرَ مثلاً ، فقدّم معاوية المدينة فطلبها منه (٤)

(١) السموهدي : وفاء الوفاء ج٣، ص ٩٨٨. يوسف طاهر : أراضي الصواقي ص ٢٦٢.

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ص ٢٨٩-٢٩٠. السموهدي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ص ٩٨٨.

(٣) محمد زبود : دراسة تحليلية لموقف الحجاز من خلافة يزيد ص ١٢٢.

(٤) السموهدي : وفاء الوفاء ج٣ ، ص ١٠٦٦.



فأبى ، ثم ركب يوماً فوجد عماله في الشمس فقال: مالكم؟ فقالوا : نسجم (سد) البئار ، فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل في نفسي منعي إياك ما طلبت مني ، فهو لك بما أردت ، فكتب إلى ابن أبي أحمد أن يدفع إليه الثمن^(١) ويصف السهمودي ذلك فيقول : " أن سيل العقيق يفضي إلى ثنية الشريد ، وبها منازل وبئار كثيرة، وهي ذات عضاة وآكام ، تنبت ضروباً من الكلا ، صالحة للمال"^(٢) وكون المدينة منطقة زراعية أهتم أبناء الأسرة الأموية التملك فيها.

فلاحظ أن مروان بن الحكم أملاك أرضاً في المدينة، وأخرج فيها عين ماء وزرعها . وكان له أرض بذى خشب ، وكان له بإظم عين حملت أسم مروان^(٣) هذا، وقد أقطع معاوية بن أبي سفيان فدك لمروان ، فوهبها مروان لأبنه عبدالعزيز، فورثها عمر منه ، فردها على ولد فاطمة ، فلم تزل في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك فقبضها،^(٤) غير أن عمر بن عبدالعزيز " أقر القطائع التي أقطعها أهل بيته ، والعطاء في الشرف لم ينقصه"^(٥) .

وكان لعمر بن عبدالعزيز أيضاً أرض في المدينة أبتاعها من بني بلال ، فظهر فيها معدن ، فقالوا: " إنما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن "^(٦) وذكر ابن عبدالحكم أن لعمر بن عبد العزيز مزرعة في خيبر^(٧) .
وخير ضياع بني أمية في المدينة كانت لعبد الملك بن مروان في مطلوب^(٨) .

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٦٦-١٠٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٦٧ .

(٣) الفيروز آبادي : المعجم المطبوع ، ص ١٣٠ . فلح حسين : طرق استثمار الأرض ، ص ٥٣ .

(٤) لبلاذري : فتوح ، ص ٤٣ . اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٦) لبلاذري : فتوح ، ص ٢٢ .

(٧) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٢ .

(٨) الفيروز : المعجم المطبوع ، ص ٣٨٥ . السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٣٠٩ .



لقد كان لافراد الأسرة الأموية ولع في إمتلاك أراضٍ في المدينة، يشير المسعودي إلى ذلك فيقول : " أن عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال : أريضة لك إلى جانب أرضٍ لي ، ولي بها سعة ، فأقطعنيها فقال : يا عبد الملك ، أنه لا يتعاضمني كبير ، ولا أجزع من صغير ، فأخبرني عنها وإلا سألت غيرك . فقال : ما بالحجاز أعظم منها قدراً ، قال : قد أقطعها لك فشكره عبد الملك" (١) .

كما تم إمتلاك أراضٍ في المدينة عن طريق إحياء الأرض الموات، ويلاحظ أن الذين قاموا بامتلاكها هم من الخلفاء والأمراء وكبار الصحابة، وتفسير ذلك كون إحياء الموات يحتاج إلى كثيرٍ من الأموال والأيدي العاملة ، وهذا لا يتوفر إلا لكبار الصحابة أو الأسر الحاكمة ، كما يبدو أن هذا الإقبال على الإحياء وإمتلاك الموات قد تم أغلبه بعد موجة الفتوحات الأولى ، والتي عادت على الناس بالأموال الكثيرة ، والأيدي العاملة الخبيرة للقيام بإحياء الموات عبر عمليات السبي التي رافقت الفتوحات (٢) .

وفي هذا المجال يذكر لنا المصعب الزبيري: أن عبد الله بن الزبير أحيا الموات في أرض الفرع، كما إتخذ عيون ماء كعيون الشام والفراعة ، وعين المهد ، وعسكر ، والربض والنجفة ، كما ملك أيضاً الجثجثة مواتاً وهي من نواحي المدينة وقام باستصلاحها (٣) وحفر عروه عين المهد وعسكر وحفر حمزة بن عبد الله عين الربض والنجفة، وكانتا تسقيان أكثر من عشرين ألف نخلة (٤). ومن الموات المشهورة أم العيال وهي عين عليها قرية هناك وهي لجعفر بن عبيد الله التميمي ، أنفق عليها مائتي ألف دينار (٥) .

لقد أصبح إمتلاك أراضٍ في المدينة في العصر الأموي مطلب مهم لكل الفئات

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٧٦-٧٧ .

(٢) يوسف زيتون : أراضي الصوافي والموات ، ص ١٧٥ .

(٣) ابن بكّر : جمهرة نسب قريش ، ص ٥٤ ، ص ٦٨ . لسمهودي : وفاء ، ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٤) لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١١٧ . فالح حسين : طرق استثمار الأرض ، ص ٥٣ .

(٥) لسمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١١٣ . يوسف زيتون : أراضي الصوافي والموات ، ص ١٧٧ .



فقد امتلك المنذر بن الزبير ، وعبدالله بن عباس بن علقمة القرشي ، وخارجه بن حمزة بن الزبير بن العوام ، ومن العلماء الزهري ، ومن الشعراء الغريص ، وكثير عزة . ويذكر في هذا المقام : أن عبدالمك بن مروان أقطع كثير عزة ضيعة قرب المدينة بعد أن مدحه^(١) .

لقد عمرت أرض المدينة واستصلحت في العهد الأموي ، وكان هناك شبه تنافس على إمتلاك الأراضي الزراعية. وهذا ما أكد عليه صالح العلي بقوله: إن إحياء الاراضي في المدينة واستثمارها أدى الى زيادة إقبال الناس على شرائها والمضاربة فيها ، وهذا أدى بالتالي الى ارتفاع اسعارها فقد بلغ أسعار بعض البيوت في المدينة في الفترة الاموية آلاف الدنانير ، خاصة تلك التي كانت قرب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يسكن الاغنياء، وقد امتد هذا الارتفاع الى الاراضي الزراعية التي وصلت أسعار بعضها الى مبالغ هائلة،^(٢) .

فقد عرض معاوية بن ابي سفيان على الحسين بن علي رضي الله عنه ، أن يشتري منه عين أبي نيزر بمائتي ألف دينار، لكن الحسين أبى أن يبيع^(٣) .

لقد جمع الأمويون في سياستهم الإقطاعية بين سيادة الملكية الصغيرة من جهة، وسيادة الملكية الكبيرة من جهة أخرى . كما وفقوا في منحهم القطاعات بين ارض الموات والأرض الزراعية والصالحة للزراعة^(٤) .

إن الحياة الاقتصادية لأي مجتمع ، هي الدعامية الأساسية في وجود واستمرار بقائه وارتقائه . وقد فسرت هذه الدعامية على أنها الفعاليات الزراعية والصناعية والتجارية فيه وترتبط الفعالية الرعوية وتربية المواشي بتلك الفعاليات في بعض الأحيان^(٥) .

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٨ . محمد موسى : الحياة الزراعية ص ٧٩ .

(٢) صالح العلي : ملكيات الأراضي في الحجاز ص ٩٧٠ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٦ . الفيروز : المغام ، ص ٢٩١ .

(٤) عواد الأعظمي : الزراعة والإصلاح الزراعي ص ٨٦ .

(٥) شكران خربوطلي : الحياة الاقتصادية في المدينة ص ٣٦ .



ب-الزراعة:

في هذا العهد أتخذت خطوات هامة على طريق تنمية الزراعة في المدينة ، فقد استصلحت أراضٍ جديدة ، وأقيمت السدود ، وأعيد حفر الأقنية ، وذلك بواسطة العبيد ، واتجه أشراف القبائل إلى إمتلاك الأراضي ، وتوسعوا في ذلك عن طريق الحصول على الإقطاع من الخلفاء أو الأمراء ، أو بالشراء وبإحياء الأرض الموات كما أسلفنا من قبل (١) .

ففي زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان أجرى مروان بن الحكم والي المدينة العين الزرقاء، او عين الأزرق ، واصلها في قباء ، غربي مسجد قباء في حديقة نخل، (٢) وقد عمل مروان بن الحكم على توفير المياه للمناطق البعيدة في المدينة حيث عمل على مد أقنية المياه من العالية جنوبي المدينة إلى قرب جبل أحد شمالي المدينة، حتى دخلت المياه قبور بعض الشهداء وكشفتها ، فخرج أبناؤهم وأعادوا دفنها (٣) .

ويعد معاوية بن أبي سفيان من كبار المزارعين في المدينة . وكان معاوية يحرق بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق وخمسين ألف وسق ، ويحصد مائة ألف وسق حنطة (٤) ، وقد كثرت الغلال بأراضي المدينة وكانت الصوافي كثيرة، ويذكر أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافية، ويقبض فذك منه ، وكان وهبها له ، ولما عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة فولأها مروان بن الحكم كتب معاوية إلى مروان يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالمدينة (٥) .

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص٧٦-٧٧ . الفيروز : لمغانم ، ص١٣٠ . الدوري : التكوين لتاريخي ، ص٤١ .

(٢) السهوي : وفاء الوفاء : ج٣ ، ص٩٨٥ . محمد : كبريت : الجواهر الثمينة ، ص١٢٢ .

(٣) السهوي : وفاء الوفاء ، ج٣ ، ص٩٣٨ .

(٤) الحربي : المناسك ، ص٤٧ . الكتاني : الترتيب ، ج٢ ، ص٥٠ .

(٥) لطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٩٣-٢٩٤ . الكتاني : لترتيب ، ج٢ ، ص٥٠ .



وقد كان لكل من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص أراضي وغللال بالمدينة، كما كان لمعاوية وكيل يشرف على أمواله الزراعية في المدينة ^(١) وقد عمل معاوية على إستخراج أكثر من ثمانين عيناً من الماء في وادي القرى وزرع عليها النخيل ^(٢) ويذكر البلاذري أنه حصل تقاتل بين غلمان لمعاوية بن أبي سفيان ، وغلمان لعبد الله بن الزبير في أرضٍ لهما متجاورة في المدينة ^(٣) .

كما كان لأبناء أبي هريرة مناطق زراعية في العقيق المشهورة بخصوبتها، وقد ورثوها عن أبيهم الذي أقطعه إياها مروان بن الحكم ^(٤) وقد اعطى يزيد بن معاوية أرضاً لعبد الملك بن مروان أيضاً في المدينة لزراعتها، ^(٥) وقد أبتاع الوليد بن عقبة بن أبي سفيان عين تُحَس من علي بن الحسين بسبعين ألف دينار ، وأقضى بها دين أبيه ^(٦) وتذكر كتب المصادر التاريخية عدداً كبيراً من المزارع في المدينة في العهد الأموي ، منها مزارع عروة بن الزبير ، ومزارع سعيد بن العاص ، ومزارع مروان بن الحكم ، وكان لمروان حوض بعقيق المدينة وكانت بنو أمية تجري في الديوان رزقاً على من يقوم على حوض مروان ^(٧) كما أهتم بالزراعة أيضاً عبد الله بن عباس بن علقمة ^(٨) وسعيد بن العاص، فقد كان نخل بستانه أبكر نخل في المدينة ^(٩) وكان لزيد بن عمرو بن عثمان ضيعة يقال لها العرج، وهي بالقرب

(١) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ . فالج حسين : طرق استثمار الأرض ص ٥٣ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ . فالج حسين : طرق استثمار الأرض ص ٥٣ .

(٣) لبلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

(٤) الكتاني : التراثيب ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٦-٧٧ .

(٦) لفيروز : المغام ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٧) لمصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ .

(٩) المصعب الزبيري : نسب قريش ، ص ١٧٦ . لسمهودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٥ .



من المدينة^(١) كما كان لسعيد بن عثمان أراضٍ زراعية كثيرة في المدينة . وقد استعمل الرقيق لزراعتها والعمل فيها^(٢) .

أما الطريقة التي يتم فيها استغلال الأراضي الزراعية فتكون بالمزارعة . فقد كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامله : "انظر ما قبلكم من أرض فأعطوها بالمزارعة على النصف، وإلا فعلى الثلث حتى تبلغ العشر"^(٣) وقال قيس بن مسلم: "ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والرابع"^(٤) .

وبناءً على ذلك "فقد أوجد الأمويون مجموعة من الوظائف في المدينة للاهتمام بالأراضي والزراعة حيث أوجد مروان بن الحكم وظيفة "ولاية الصوافي"، والصوافي برأي البعض تشمل بيوت تمتلكها الدولة بطريقة من الطرق بالإضافة إلى الأراضي الزراعية"^(٥) . ووظيفة "جباية الخراج" . ويقوم عمالها بجباية الضرائب على المزروعات^(٦) . وهذه الوظائف وجدت منذ عهد عمر بن الخطاب.

يتبين لنا مما سبق أن الأمويين أسهموا بشكل كبير في تنشيط الزراعة في المدينة، فقد امتلكوا أراضي كثيرة. وحفروا الآبار وأجروا القنوات فتحولت أراضي المدينة إلى ضياع وبساتين بدخلها البيوت الفخمة .

ولكن هذا الوضع لا ينطبق على جميع أهل المدينة، وإنما على بعض البيوتات التي ذكرت بعضها سابقاً ، إضافة إلى البيت الأموي الحاكم.

ويؤكد على هذا الرأي إبراهيم بيضون فيقول : "أن أموال الأمويين التي جنوها من التجارة ومن الاستئثار بالسلطة في عهد عثمان مقابل فقر أهل المدينة وحرمانهم، قد أسهمت في خلق الظروف المواتية أمام الأسرة الحاكمة لاستثمار

(١) ابن حجر : فتح الباري، ج ٥، ص ١١ .

(٢) لبلانري : أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١١٩ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري، ج ٥، ص ١١ .

(٤) البخاري : صحيح، ج ٣، ص ٢٢٣ .

(٥) أبو يوسف : الخراج، ص ٥٧-٥٨ . صالح العلي : إدارة الحجاز، ص ٣٣ .

(٦) أبو يوسف : الخراج، ص ٥٩ . صالح العلي : إدارة الحجاز، ص ٣٤ .



أموالهم في الزراعة ومن ثم وضع أهل المدينة في دائرة التبعية السياسية والاقتصادية للدولة. مما نتج عن ذلك قيام الثورات في المدينة ضد الحكم الأموي^(١) ولا أذهب إلى هذا الرأي، لأن أهل المدينة عملوا بالتجارة وربحوا ، وأمتلكوا الأراضي الزراعية ، كما أن الأمويين أغدقوا الأموال على أشرف أهل المدينة.

المزروعات في المدينة :

لقد اهتم أهل المدينة بكثير من المزروعات ، ومن أهمها زراعة:

النخيل :

أهم المزروعات وعليها اعتمد أهل المدينة بالدرجة الأولى . يأكلون ويبتاعون منه، ويدفعون الأجور ويسددون الديون^(٢) ولقي النخل في الإسلام عناية وتكريماً يزيد عما كان عليه في الجاهلية، فعندما وفد المهاجرون إلى المدينة عمل بعضهم في بساتين النخل، وزادوا غراسها ثم تملكوا بعضها ، ولما آلت بساتين بني النضير وبني قريظة للمسلمين استثمروها^(٣) .

واشتهرت المدينة بتصدير التمور إلى أنحاء كثيرة من بلاد العرب ، فقد كانت قبائل نجد وغطفان وغيرهم تقدم لشراء التمور من المدينة ، مما يدل على عظم الرقعة الزراعية في المدينة وكثرة أوديتها المزروعة^(٤) .

كما اهتمام الخلفاء والأمراء والصحابة بزراعة النخيل . فهذا علي بن أبي طالب أوصى إلى الحسن وقف عين أبي نيرز والبغيفية ، وهي عين كثيرة النخل غزيرة الماء^(٥) وقد أعطى حمزة بن عبدالله ابنه عبداً عيني بواد الفرع، تسقيان أكثر من عشرين ألف نخلة^(٦) .

(١) إبراهيم بيضون : لحجاز والدولة الإسلامية ، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) شكران خربوطلي : الحياة الاقتصادية في المدينة ، ص ٣٨.

(٣) عبدالباسط بذر : التاريخ لشامل ، ج ١ ، ص ٢٣٢.

(٤) عبدالعزيز العمري : لحرف والصناعات في الحجاز ، ص ٩١.

(٥) لفيروز : المغنم ، ص ٢٩ . صالح العلي : ملكيات الأراضي في الحجاز ، ص ٩٧.

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ . لفيروز : المغنم ، ص ٣١٦.



وكان لجعفر بن طلحة عين بالفرع كثيرة الغلة من النخيل ، وكانت تسقي هذه العين اكثر من عشرين ألف نخلة^(١) . وقد اشترى معاوية ثنية الشريد وكانت أعناباً ونخلاً لم يُرَ مثله^(٢) وكان نخل سعيد بن العاص أبكر نخل بالمدينة^(٣) وقد اشترى معاوية العرصة بألف ألف ، والنخلة بألف ألف ، والمزارع بألف ألف ، من ولد سعيد بن العاص بعد موته^(٤) وكان أبو طلحة أكثر انصاري مالاً من نخل^(٥) .

وعندما أراد مروان بن الحكم توسيع داره في المدينة قام بشراء نخل آل اللحام بثلاثمائة ألف درهم وأدخلها في داره. ثم بنى مكانها داراً لابنه عبدالعزيز^(٦) ، وفي رواية أخرى ان مروان ابتاع كل نخلة وموضعها بألف درهم^(٧) وابتنى مروان بعريصة البقل ، واحتفر وغرس ، وضرب لها عيناً وازدرع^(٨) .

وكان الوليد بن عثمان ذا غلة في المدينة، يخرج إليها في زمان التمر بنفر من قومه يجنون له ويعاونونه ، فكان إذا أحضر خروجهم دفع إليهم نفقات لأهلهم إلى رجعتهم^(٩) وعندما بدأت حركة اعمار منطقة العقيق واكبها إنشاء مزارع وبساتين على أطرافه ، أو في امتدادات القصور بينه وبين المدينة ، فكان لكل قصر بستان كبير تغرس فيه أنواع شتى من أشجار النخيل^(١٠) .

(١) صالح العلي : ملكيات الاراضي في الحجاز ، ص ٩٩١ .

(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٦٦ . صالح العلي : ملكيات الاراضي في الحجاز ، ص ٩٩٣ .

(٣) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٧ .

(٤) الفيروز : المغنم ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٦ .

(٥) ابن شبه : تاريخ لمدينة ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٦) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢١ .

(٧) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢١ .

(٨) الفيروز : المغنم ، ص ٢٥٦ .

(٩) الاصفهاني : الاغني ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .

(١٠) الفيروز ابادي : المغنم ، ص ٢٥٣ . عبدالباسط بدر : التاريخ لشامل ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .



فقد روي أن عروة بن الزبير اذا كان ايام الرطب يتلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون ، وكان ينزل حوله الناس من اهل البدو فيدخلون ويأكلون ، وكان موضع بستانه هذا في العقيق^(١).

ومن المناطق التي يزرع فيها النخيل في المدينة (الفرع)، وهي قرية نخل ومياه، فقد كان فيها عينان تسقيان عشرين ألف نخلة^(٢) والتي شهدت توسعاً في غراسته ريا في العهد الأموي كما في ضياع أم العيال ، والمضيق ، والمحضة ، والوبرة ، والغفوة، وفي كل هذه القرى نخيل،^(٣) كما وجد في قرى الربض والنجفة، والفارعة، والسنام^(٤). ومن المناطق المهمة لزراعة النخيل أيضاً في المدينة منطقة العوالي، وهي ضيعة عامرة بالحدائق ذات النخيل والآبار العذبة الكثيرة المياه ، ترف بساكنيها غفارة ونضارة^(٥) . كما وجد النخيل في مناطق خلص وخيبر والرحضية^(٦) . وزرع النخيل في منطقة ينبع والصفراء، التي كان يجلب منها التمر إلى المدينة^(٧) .

وينتشر النخل في شعبان وأودية حرة بني سليم ، وفي بعض القرى والمنازل، مثل الكبوانه ، والافيعية ، والسوارقية^(٨) وقيا وقلهى، وفي أودية تيدد وقوران وذو ورلان^(٩) ، وحول مياه الرفدة^(١٠) .

(١) الاصفهاني : حلية الاولياء ، ج ٢ ، ص ٢٠٥.

(٢) البكري : معجم ، ج ٣ ، ص ١٠٢٠. ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢.

(٤) ابن بكير : نسب قريش ، ص ٥٤. الفيروز : المغام ، ص ١٣٤.

(٥) لفيروز : المغام ، ص ٢٨٦.

(٦) لمصدر نفسه ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ ، ص ١٥٤.

(٧) الاصطخري : لمسالك ، ص ٢٥. الفيروز : المغام ، ص ٢١٩.

(٨) ياقوت : معجم ، ج ٣ ، ص ٢٧٦. لفيروز : المغام ، ص ١٨٩.

(٩) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٧.

(١٠) الحربي : المناسك ، ص ٣٤١. ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١١.



ويقل النخل إلى الشرق من المدينة وحرّة بني سليم، إذ لم يرد إلا في منازل: بطن نخل والمحدثّة . ولم يذكر النخل في المنطقة الشماليّة إلا في تبوك وتيماء^(١) وقد غرس في قباء ، وقاع خضير، وعلى أودية قناة وبطحان ومذنيب ومهزور وفي حرّة زهرة^(٢) وكثر على وادي العقيق^(٣) وعين أبي نيزر^(٤) .

وقد كانت أكثر أموال أهل المدينة منه ، وعليه معاشهم وقوتهم ، وخراجها من أعشار النخل والصدقات^(٥) . وكان التعامل به ، فتدفع منه الديون وتسدّد ، ويقوم على النخيل صناعة محلية تسدّ كثيراً من أغراض السكان في بيوتهم وأعمالهم^(٦) .

أما النوع الثاني من المزروعات التي ازدهرت زراعتها في المدينة بعد النخيل.

الشعير :

وكان الشعير يأتي بعد التمر كمصدر لسكان المدينة المنورة، وكان طعام الناس فيها الشعير والتمر وبينما كان محصول التمر^(٧) يكفي حاجة السكان ويسمح ببيع الفائض، كان أهل المدينة يستوردون بعض الحنطة لسد حاجتهم وكانوا يزرعون في حقول، ولكنهم، عادة، كانوا يزرعون تحت النخيل. وكان عليه اعتمادهم بعد التمر. وليس لدينا إحصاء عن مقدار غلة المدينة من التمر ومن الشعير، ولكن الراجح أن محصول الشعير كان يسوي ربع محصول التمر،^(٨) ويروى أن طلحة بن عبيد الله التيمي كان أول من زرعه في المدينة^(٩) وما لبثت

(١) محمود سعيد : الحياة الزراعية ، ص ١٥١ .

(٢) ابن رسته : الأعلام ، ص ٦١-٦٢ .

(٣) ياقوت : معجم ، ج ٢ ، ص ٨٢ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٧-٤٦٨ . الفيروز : المغام ، ص ٥٩ .

(٥) اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٣ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١١٣ . اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٣ .

(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٨) جواد علي : المفصل ، ج ٧ ، ص ٤٢ . أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٣٥٨ .

(٩) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .



زراعته أن انتشرت في بساتين شمالي المدينة على أطراف وادي قناة، ثم بمجمع السيول، ومن الأماكن التي انتشرت فيها زراعة الحنطة والشعير صحن^(١). ولم تكن زراعة القمح تكفي حاجة أهل المدينة، ولذلك ذكر أن القمح كان يحمل من البلقاء إلى المدينة^(٢).

العنب ، كانت كروم العنب منتشرة حول وادي العقيق وساية والسوارقية وفي العالية^(٣) وهو أنواع مختلفة. منها المراودي، وهو أجودها، لرقته وحلاوته، وأحسنه ما كان في حدائق قباء، ثم العالية، ثم جفاف، وباقي بساتين المدينة، وذكر أن لسعيد بن أبي وقاص ، بالعقيق ، كرم تباع ثمرته بألف دينار^(٤).

ومن الدلائل على أن العنب كان يباع في سوق المدينة أن عبدالله بن عمر قال لأهله : أشترؤا لي عنباً ، فاشترؤوا له عنقوداً من عنباً فأتي به عند فطره^(٥) .

وكان يزرع أيضاً في المدينة المنورة الرمان والموز والخضراوات والبقول^(٦) في مناطق السوارقية الصفراء وساية^(٧) .

ومن المزروعات التي وجدت في المدينة أيضاً القيثا (الكوسا) والبطيخ^(٨) وفضلاً عن الزراعة كانت في المدينة أنشطة اقتصادية أخرى منها:

الرعي:

فقد تنامت الثروة الحيوانية في المدينة نتيجة الغنائم المتوالية ، وظهرت ثروة جديدة هي أموال الصدقة من الإبل والغنم والخيول المعدة للجهاد . وقد شجع الاسلام

(١) لغبروز : المغام ، ص ٢١٦

(٢) الكتاني : التراتيب ، ج ٢ ، ص ٥٢-٥٣.

(٣) لغبروز : المغام ، ص ١٧٥ ، ص ١٨٩ . عبد الباسط بدر : التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٣.

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ . محمد كبريت : الجواهر الثمينة ، ص ١٩٠.

(٥) ابن سعد : طبقات ، ج ٤ ، ص ١٦.

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٧ . احمد لشريف : نور الحجاز ، ص ٦١.

(٧) لغبروز : المغام ، ص ١٧٥ ، ص ١٨٩ ، ص ٢١٩.

(٨) ابن سعد : طبقات ، ج ٤ ، ص ١٦٣.



على اقتناء المواشي المنتجة وركاب الحرب . وكان لهذه المواشي رعاة يأخذون الأجر على رعيها^(١) لسد حاجاتهم ، أو لحساب غيرهم ، مثل رعي عير الصدقة ، أو العير المعدة للجهاد . وكان يعرف من يقوم بهذه المهنة ، باسم "راعي العير"^(٢) كما اعتنى أهل المدينة بالانعام فقد كان معبد غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم ، وكان يتلقى الغنم بظهر الحرة^(٣) وكتب معاوية بن ابي سفيان الى الوليد بن عتبة والي المدينة بأن يعطي عبد الرحمن بن سليمان الشاعر أربعمئة شاة^(٤) وروي أن سليمان بن عبد الملك لما حج قال لقيم طعامه: أطعمني من خرفان المدينة ، أو قال جداء المدينة^(٥)، وذكر أن عمر بن عبدالعزيز في قصره في بطحان غنم كثيرة^(٦) وذكر أن أحد الصحابة لما توفي في المدينة ترك ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة بالبقيع، ومائة فرس^(٧) كما وجد لبيع الماشية اسواق خاصة بها في المدينة^(٨). وكان أهل المدينة يملكون عدداً من البقر لحرث الأرض ، كما يستخدمون الإبل في ري الأراضي يحملون عليها الماء من الآبار، ويسمونهم الإبل النواضح ، وكان بعضهم يملك منها عدداً قد يصل إلى المائة يستخدمها لهذا الغرض . كما أن البدو كانوا يجلبون إلى المدينة أغنامهم وابلهم يبيعونها لأهلها^(٩).

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ص٢٥٤. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل ص٢٣٣.

(٢) ابن حجر : الإصابة ، ج١ ص١٤٨.

(٣) الأصفهاني : الأغاني ، ج١ ص٦٤.

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ص٤٩٥.

(٥) لبلاذري : أنساب ، ج ، ص

(٦) السهوي : وفاء الوفاء ، ج٣ ، ص١٠٦٣.

(٧) لبلاذري : أنساب ، ج١٠ ص٣٨. لمسعودي : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٤١-٣٤٢.

(٨) ابن سعد : الطبقات ، ج٤ ، ص١٦٠.

(٩) ملك بن انس : المدونة ، ج٣ ، ص٩٤.



وقد ازدادت الإبل والدواب والخيول في المدينة لحاجة المسلمين إليها في حروبهم ، وقد صارت لها سوق خاصة بالمدينة^(١) ويذكر انه كان لعلي بن الحسين إبل تحمل الفاكهة من الشام الى المدينة ، فلما أتى برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ، ففرقت في أهل المدينة^(٢).

التجارة في المدينة :

لقد أورث الصحابة في العصر الراشدي الكثير من الأموال والتجارة الى أبنائهم في المدينة أثناء العصر الأموي مما انعكس أثر هذا الغنى على حياتهم المعيشية، ومن الصحابة الذين عملوا في التجارة وتضاعفت أموالهم في العصر الأموي ، عبد الله بن عمر بن الخطاب فقد روي أنه اشترى بضائع من العراق بأربعين ألف، وباعها في المدينة بأربعمائة ألف^(٣).

وهذا النشاط الهائل في تجارة المدينة في العصر الأموي لم يتراجع كما قال أحد الباحثين ، نتيجة النقص في الأموال التي خلفها الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار، بل نلاحظ أن الخلفاء الأمويين أغدقوا الأموال على أشرف أهل المدينة، وأعظموا جوائزهم^(٤) بالإضافة الى أملاكهم الزراعية التي أشرنا إليها سابقاً، والانتاج الهائل منها خاصة التمور. ولكن السبب الحقيقي الذي أثر في تجارة المدينة في العصر الأموي، يكمن في الثورات والمعارضات التي قامت فيها ضد الحكم الأموي ، مما سبب بعض التراجع في النشاط التجاري في المدينة. لأن التجارة تقوم وتزدهر على توافر الأمن والاستقرار. وقد وجه أول الخلفاء الأمويين أموالاً كثيرة إلى المدينة ، وطلب من أميرها مروان بن الحكم أن يستثمرها له فيها، فيشتري له بعض الأبنية فأشترى له بعض البساتين شمالي المدينة^(٥).

(١) البسوي: لمعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٢ . احمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٣٦٢.

(٢) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٩.

(٣) الكتاني : الترتيب، ج ٢ ، ص ٢٨.

(٤) لطبري: تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨٠.

(٥) لبلانري : الأنساب ، ج ٥ ، ص ٦٧ . السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٥٠.



ولكن كيف مارس أهل المدينة نشاطهم التجاري ،لقد حرص العرب المسلمون عند تخطيطهم المدن الجديدة على إنشاء الأسواق ، وكانت هذه الأسواق واحدة من ثلاث مراكز كبيرة كانت تؤخذ في الاعتبار عند التخطيط . أما المركزان الآخران فهما المسجد الجامع ودار الإمارة. مما يؤكد اهتمامهم في التجارة^(١) .

الأسواق التجارية في المدينة :

كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى "ليس عليكم جناح في مواسم الحج أن تبغوا فضلاً من ربكم"^(٢) وذكر المرزوقي " أن أسواق العرب كانت أثنيتي عشرة سوق يجتمعون فيها بتجارتهن ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم . أي للسوق حرمة على الدم والمال"^(٣) ويعد سوق عكاظ في الجاهلية والمربد في الإسلام، أعظم سوقين قامتا للعرب^(٤) .

ونجد أن هذه الأسواق استمرت قائمة في الإسلام وكان زوالها بصورة تدريجية^(٥) بينما كانت الأسواق التجارية في المدينة بيد اليهود ، وكان أضخم أسواقها وأكثرها أهمية سوق بني قينقاع ، وقد رغب رسول الله أن يجعل للمسلمين سوقاً خاصة بهم ، وكره أن يجعل سوق المسلمين في موقع سوق بني قينقاع^(٦) . وكانت سوق المدينة الجديدة واسعة لا بناء فيها ولا ظلة فيها ، والسوق أقرب إلى الطول منها إلى العرض ، وكان الراكب ينزل سوق المدينة فيضع رحله، ثم يطوف بالسوق ورحله بعينه يبصره ، لا يغيبه عنه شيء^(٧) .

(١) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٨١.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٨، ص ٣٩. الكنتاني: التراتيب، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣). المرزوقي: الأئمة، ج ٢، ص ١٦١، ص ١٧٠. ابن حبيب: المحبر، ٢٦٣-٢٦٨.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٦٨. سعيد الافغاني : أسواق العرب ، ص ٢٠٩.

(٥) نجلة قاسم : الأحوال الاقتصادية ، ص ١٢٧ .

(٦) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤٩.



إن اختيار السوق غربي المدينة فيه مميزات كثيرة لأهل المدينة وللتجار الذين يجلبون بضاعتهم إليه ، فالموقع يمكنهم من حط رحالهم ، وتنزيل بضاعتهم بمجرد وصولهم دون الحاجة إلى السير بها بين شوارع المدينة . لأن غربي المدينة هو أول ما يطالع القادمين إليها، سواء من الشام أو من داخل الجزيرة العربية،^(١) وكان السوق مشاعاً بين المسلمين، ليس لاحد حق في أن يحوز منه موضعاً ويحرم منه غيره . وفي هذا التصرف فتح باب المنافسة بين التجار .

وقد صارت المدينة سوق العرب تقصد بالبضائع من الأطراف البعيدة في العصر الأموي، فقد حمل سيما البلقاوي القمح من البلقاء إلى المدينة، وجلب السمن والعسل والفاكهة من الشام إليها ، فيروى: أنه كان لعلي إبل تحمل الفاكهة من الشام إلى المدينة^(٢) كما قدم التجار من العراق بالثياب والخز والطيايس والخمر^(٣) فتذكر الروايات أن تاجراً عراقياً من أهل الكوفة، قدم إلى المدينة بأنواع من خمر العراق ، فباعها كلها ماعدا السود منها وكان ذلك التاجر صديقاً للشاعر الدارمي فشكا ذلك إليه ، فقال له : فأني سأحتال لك ، فقال شعراً وسأل سنان أن يغني فيه ومما قال :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت براهب متعبد

قد كان شمر للصلاة أزاره حتى عرضت له بباب المسجد

فلم تبقى بالمدينة ظريفة إلا طلبت خماراً اسوداً فباع التاجر الخمر وأنصرف^(٤) ويروي الأصفهاني : أن هلال بن الأسعر الشاعر الأموي كان يأخذ أحمالاً للتجار من الشام إلى المدينة^(٥) .

وهذا معاوية بن أبي سفيان يطلب من واليه على المدينة مروان بن الحكم أن

(١) السهودي : وفاء ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ ، محمد السيد : المدينة ، ص ٢٠٨ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ . الكتاني : الترتيب الإدارية ، ج ٢ ، ص ٥٢-٥٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ١٦٥ ، الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٤) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٤٦ . الأصفهاني : الأغاني ، ج ٣ ، ص ٣٣-٣٤ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٣ ، ص ٤١ .



يبني له عمارة تجارية كبيرة في سوق المدينة ، وأجر دكاكينها للتجار^(١) وبالفعل بنى له دارين يقال لإحدهما دار القطران والأخرى دار النقصان وضرب عليهما الخراج^(٢) وكانت سوق المدينة قد ازدهرت لوفرة المال والذي تكس عند الصحابة وأبنائهم بعد الفتوحات الإسلامية، وتدلل على ذلك بالقول : أن سعيد بن المسيب ذكر أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار^(٣) بالإضافة إلى سخاء من تصلهم العطاءات من أهل المدينة^(٤) كل ذلك ساهم بتنشيط التجارة في سوق المدينة ، فهذا الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك يكرى الجمال وينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة^(٥) وذكر أن سائب خاثر مولى بني ليث كان تاجراً يبيع الطعام بالمدينة^(٦).

وقد عرض في أسواقها السلع المختلفة، سواء منها المنتجة محلياً مثل : التمر والحبوب أو المستوردة كالجلود والسلاح ومختلف أنواع الطعام. كما عرضت في سوق المدينة الإبل والغنم والخيل للبيع، ولها أماكن مخصصة من السوق فقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنه ممن يبيعون الإبل في البقيع^(٧) وبيع في أسواقها أيضاً الزعفران والعنبر والمسك والعود وكذلك السكر والعقاقير^(٨) ومن الدلائل على بيع السكر في سوق المدينة، أن رجلاً جلب سكرأ إلى المدينة فكسد ، فبلغ عبد الله

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٥٠ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٥) الأصفهاني الأغني ، ج ٦ ، ص ٤٨٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ .

(٧) الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٢٧٢ . العمري : الحرف والصناعات ، ص ١٣٠ .

(٨) الأصفهاني : الأغني ، ج ١٢ ، ص ٤٢٥ . الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٣٩ .



بن جعفر ، فأمر قهرمانه أن يشتريه^(١) كما حضر التجار من البحرين لبيع العطور فقد ذكر البلاذري : أن أكثر من أربعمئة رجل من أهل البحرين من أهل دارين كانوا عطارين في سوق المدينة، وقد اشترك هؤلاء التجار في معركة الحرة مرغمين في جيش مسلم بن عقبة تحت لواء خاص بهم، فكانوا أول من انهزم بالناس، وقالوا مالنا وهذا انما نحن تجار^(٢).

وروي أن هشام بن إسماعيل أحدث " في سلطان هشام بن عبد الملك ، وهو يومئذ وال له على المدينة، داراً أخذ بها سوق المدينة، وسد بها وجوه الدور القائمة في السوق، وكتب إلى هشام بن عبد الملك يذكر له عظيم قدرها، فكتب إليه هشام يأمره بإمضائها وإمضاء عين السوق، وكان أحدثها في سكك أهل المدينة، ودخلت في بعض منازلهم، فكتب إليه أن أمضها وإن كانت في بطونهم"^(٣).

وقد شجع هشاماً على ذلك ما قام به مروان بن الحكم في السابق لمعلوية^(٤) ونقل السهمودي عن ابن زباله يصف الدار : " وجعل لدار السوق حوائيت في أسفلها ، وعاللي تُكرى للسكن ، وحملت أبوابها من البلقاء"^(٥) ، وقد عارض أهل المدينة هذا العمل لما يلحق بهم من الضرر إلا أن الخليفة لم يستجب لذلك . فما كان من أهالي المدينة إلا أن هاجموا الدار بعد وفاة الخليفة هشام ، فهدموها ، وهاجموا عين السوق فقطعوها وانتهبت أبوابها وخشبها وجريدها ، ولم تمضي ثلاثة أيام حتى وضعت إلى الأرض^(٦) .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٥٢٩ .

(٢) البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣٥١-٣٥٢ .

(٣) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٤٩-٧٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤٩-٧٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٥٣ .



وإذا نظرنا إلى المعاملات التجارية اليومية نجد أن البيع ينقد في سوق المدينة بواسطة الوزن، أو المرافلة والكيل والعد . والمبادلة بالذهب والورق (الفضة) ، أو بالدينار والدرهم، واستخدم الناس في التعامل الصكوك زمن مروان بن الحكم^(١) . أما مقدار هذه المكاييل فقد ورد أن المكاييل هي الوسق : ومقداره ستون صاعاً، والصاع مقداره أربعة أمداد ، والمد مقداره ملء كفي الرجل المعتدل إذ ملأهما^(٢) أما الوزن الذي يتعامل به أهل المدينة والجاري بينهم ستة دوانق^(٣) وفي الفتوح أن المئقال كان معروف ، وزنه أثنان وعشرون قيراطاً، وكانت الفضة تزن بوزن يسمى درهماً ، ويزن الذهب بوزن يسمى ديناراً، فلكل عشرة من أوزان الدراهم ، سبعة أوزان الدنانير^(٤) .

أما الصكوك فكانت تعطى للناس في البداية ثم يقومون بأستيفاء ما فيها من بيت مال المدينة بدل العطاء ، وقد يبتاع الناس بهذه الصكوك قبل أن يستوفوها^(٥) وبذلك كثرة المتاجرة في هذه الصكوك بين المواطنين ، وكان مروان قد كتب صكوكاً لأهل المدينة من طعام الجار ، فتبايع الناس تلك الصكوك ، فلما علم مروان بذلك بعث الحرس ينتزعونها من أيدي المشتريين ويردونها إلى أصحابها البائعين لأن بيع الطعام قبل أن يستوفى لا يجوز^(٦) .

(١) ملك بن أنس : الموطأ ، ج٢ ، ص١٧٥ . محمد الرزقي : قراءات في مجتمع المدينة ، ص١٠٣ .

(٢) أبو يوسف : الخراج ، ص٥٣ . محمد الوكيل : لمدينة ، ص١٩١ .

(٣) مسلم : صحيح ، كتاب العتق ، ص٥٨١-٥٨٣ .

(٤) لبلانري : فتوح البلدان ، ص٦٥٢-٦٥٣ .

(٥) لمصدر نفسه ، ص٦٥٣-٦٥٤ .

(٦) ملك بن أنس : الموطأ ، ج٢ ، ص١٧٥ .



الحرف والصناعات :

من أهم الصناعات التي كانت موجودة في المدينة في العصر الأموي صناعة التعدين^(١) وخير المناطق التي أنتشر فيها ، بلاد بني سليم ، وكان معدن بني سليم له شأن كبير في العصر الأموي^(٢) ومن المعادن المشهورة أيضاً معادن القبيلة ، وهي أرض لبني بلال بن الحارث ، كان عمر بن عبد العزيز قد أبتاعها فلما ظهر فيها المعدن فقالوا : إنما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن^(٣) .

أما الصياغة فكانت من الصناعات التي خلفها اليهود ، بعد إجلائهم ، وكان الاهتمام فيها كثيراً فقد روي أن : عدد الصائغة في قرية زهره في المدينة بلغ ثلاثمائة صائغ^(٤) وقد كثر الصائغون في المدينة في العصر الأموي وكانوا يعملون في حوائثهم^(٥) وأهم الصناعات التي يزاولها الصاغة هي صناعة الحلبي من الذهب والفضة ، كالأساور والخلخيل والخواتم والأقراط ، فكانت النساء تتزين بهذه الحلبي ، خاصة بعد تدفق الأموال ، وارتفاع مستوى المعيشة وازدياد الطلب على الحاجات الكمالية^(٦) فقد ذكر ابن قتيبة أن سكينه بنت الحسين ألبست ابنيتها دراً كثيراً ، وقالت : والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه^(٧) كما لبست عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الحلبي من الذهب^(٨) ويذكر الطبري : أن فاطمة بنت علي وأختها زينب قدمن السواري والدملج إلى الرجل الشامي الذي قام بمرافقتهم من الشام إلى المدينة^(٩) .

(١) عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٣ .

(٢) الحربي : المناسك ، ص ٣٣٣ . حمد الجاسر : القطائع النبوية ، مجلة العرب ، ص ٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٢ .

(٤) لفيروز : المغائم ، ص ١٧٣ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٣٠ .

(٥) ملك بن أنس : المدونة ، ج ١١ ، ص ٣٩١ ، ص ٤٩١ .

(٦) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، ج ٢ ، ص ٤٣-٤٤ . أحمد لشریف : نمكة والمدينة ، ص ٣٧٧ .

(٧) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣١٥ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ ، ج ٨ ، ص ٤٦٧ .

(٩) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٦٣ .



كما وجدت صناعة النسيج في المدينة ، ويبدو أن معظم الذين يزاولون صناعة المنسوجات من الرقيق والموالي^(١) فيروى أن معن بن عيسى ، مولى الأشجع ، كان يمارس صناعة المنسوجات في المدينة المنورة ، وكان له بعض الرقيق ، الذين كانت لهم خبرة بهذه الصناعة ، فكان يشتري القز ويعطيهم إياه لنسجه^(٢) كما أن صناعة المنسوجات تحتاج بشكل أكيد حرفة الصباغة والتي أختص بها بعض الناس وازدهرت بعد تطور الأحوال الاجتماعية في المدينة في العصر الأموي ، وتتافس الناس في اقتناء الألبسة الملونة ، فعروة بن الزبير كان يعصفر له الثوب بدينار^(٣) وفي رواية أن القاسم بن محمد كان عليه رداء سابراً مصبوغ بشيء من زعفران^(٤) كما لبست النساء في المدينة الثياب المصبوغة والمعصفرة ، فيذكر ابن سعد أن عائشة بنت سعد لبست المعصفرات مراراً^(٥) كما هو حال أم كلثوم زوجة سالم بن عبد الله حيث لبست الثياب المعصفرة^(٦) ووجد في المدينة أيضاً النجارون وكانوا يصنعون الكراسي من الخشب وقوائمها من الحديد^(٧) فقد روي أن عبد الله بن عمر كان يتوضأ بأقداح من الخشب^(٨) كما وجدت صناعات يدوية بسيطة كصناعة السلال والحصر^(٩) .

لقد ظلت الصناعة في المدينة تعتمد على الموالي والعبيد، فكان الرجل يقتني عدداً من العبيد المهرة في النجارة أو الحدادة أو البناء أو صنع الأثاث أو أي حرفة.

(١) البخاري : صحيح ، ج ٣ ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٣٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٨٠ .

(٤) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٧) ابن حجر : الإصابة ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٧١ .

(٩) الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٦٣ .



العملة المتداولة :

كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بنقود كسرى وقيصر ، وهي الدراهم والدنانير ، فكانت الدراهم فضية، والدنانير ذهبية ، وكانوا يتعاملون أيضاً بالنقود النحاسية .

وكان الدينار قطعة من الذهب تزن مثقالاً ، نقش عليه الملك أو الإمبراطور الذي ضربه ، أما الدرهم فيزن درهماً من الفضة ، وكانوا يسمونه "الوافي" . كذلك لم تكن قيمة الدينار ثابتة ، فكانت تتراوح وزناً بين عشرة دراهم، وثلاثة عشر إلى خمسة عشر درهماً^(١) . وفي هذا الباب يذكر البلاذري : " أن الدراهم كانت من ضرب الأعاجم مختلفة كباراً وصغاراً ، فكانوا يضربون منها مثقالاً ، وهو وزن عشرين قيراطاً ، ويضربون منها وزن عشر قيراطاً ، ويضربون عشرة قيراطاً وهي أنصاف المثاقيل"^(٢).

ولما جاء الإسلام لم يتغير التعامل بهذه النقود بل سار على تلك الحال مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي، ولما جاء معاوية أقرها على حالها، ثم ضرب مصعب بن الزبير في أيام عبدالله بن الزبير دراهم قليلة كسرت بعد^(٣) . فلما ولي " عبدالملك بن مروان، سأل وفحص عن أمر الدراهم والدنانير، فكتب إلى الحجاج أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطاً من قيراط الدنانير وضرب هو الدنانير الدمشقية"^(٤) .

(١) أنستاس الكرملي : النقود وعلم النميات ، ص ٨٩ . ونظر : جرجي زيدان : تاريخ التمدن ، ج ١١ ص ١٧٠ . عبدالوهاب

النجار : تاريخ الاسلام ، ٤٩٧ . ومحمد الخضري بك : تاريخ الامم ، ج ١ ص ٣٢٢ .

(٢) لبلاذري : فتوح ، ص ٦٥١ . ونظر جواد علي : لمفصل ، ج ٧ ، ص ٤٩٧-٤٩٩ . محمد لريس : الخراج والنظم

الملية ، ص ٣٤٥ .

(٣) لبلاذري : فتوح ، ص ٦٥٣ . لمقرئزي : كتاب النقود القديمة ، ص ٣٢ . نجدة خملاش : الإدارة في العصور

الأموي ، ص ٢٣٨ .

(٤) لبلاذري : فتوح ، ص ٦٥٣ .



وعلى هذا الأساس تداول الناس في تعاملهم التجاري في المدينة ، الدراهم والدنانير أو بأوزانها من الفضة والذهب ، كعملة أساسية في البيع والشراء^(١) وكان الوزن الجاري بينهم في الدرهم ستة دوانق، وكانوا يتعاملون بها، وهو درهم الإسلام في جميع البلدان^(٢) .

وقد اتفق المؤرخون على أن أول من ضرب السكة في الإسلام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان^(٣) وفي الفتوح أن : " عبدالملك بن مروان ضرب شيئاً من الدنانير سنة ٧٢هـ ثم ضربها سنة ٧٥هـ "^(٤) وقيل أن عبدالملك بن مروان أخذ رجلاً يضرب على غير سكة المسلمين فأراد قطع يده ثم ترك ذلك وعاقبه، قال المطلب فرأيت من بالمدينة من شيوخنا حسنوا ذلك من فعله وحمدوه^(٥)، وقد عاقب أبان بن عثمان وهو وال على المدينة من يقطع الدراهم ضربه ثلاثين، وطاف به^(٦) وقال سعيد بن المسيب : فأنا بُعثتُ بئبر إلى دمشق، فضرب لي على وزن المنقال في الجاهلية^(٧).

يتبن لنا من هذه النصوص أن أهل المدينة تعاملوا بالعملة التي تعاملت بها الدولة الأموية ، وقد بقي الحال على ذلك ، إلى أن ضربت سكة المسلمين على يد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فاصبحت العملة الإسلامية هي العملة الوحيدة السائدة في العالم الإسلامي بما فيها طبعاً المدينة المنورة.

(١) الكتاني : التراثيب ج ١ ، ص ٤١٤-٤١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٤١٥ .

(٣) العسكري : الأوائل ، ق ١ ص ٣٦٨ . محمد اطللس : تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٢٢٩ . البلاذري : فتوح ، ص ٦٥٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٥٤ .



العمران في المدينة :

تطور العمران في المدينة خلال السنوات العشر بعد الهجرة ليستوعب الزيادة السكانية الكبيرة. وقد ساعد على هذا التطور طبيعة البنية المعمارية ليثرب المدينة. فقد كانت متناثرة على شكل مجموعات سكنية، وقد بدأ التغير في البنية المعمارية للمدينة عندما خط رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد النبوي. وبناء مع الصحابة رضوان الله عليهم، وكان المسجد في منطقة تتوسط المجموعات السكانية المتناثرة وكأنه قلبها. فمن الجنوب العوالي وقباء. ومن الغرب حرة الوبرة. ومن الشمال أحد والجرف، ومن الشرق حرة واقم^(١). وانتشرت حول البناء مساكن الصحابة من المهاجرين والأنصار^(٢). وقد كانت هذه المساكن بسيطة للغاية تفي حاجة المسلمين، دون تفخيم أو تزين، حيث كان المسلمون مشغولين بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، ولم تشغلهم إقامة المساكن أو تزيينها^(٣) على أن الخليفة الثالث بدأ بإخراج البلاد من خشونة البداوة إلى حضيرة الحضارة، وبنى سبع دور فخمة لأبنائه وزوجاته في المدينة. ولعل السبب في ذلك يعود إلى كثرة الخراج على عهد عثمان ومجيء المال من النواحي، فاتخذ له الخزائن العظيمة في المدينة، وكان يقسم بين الناس فيأمر للرجل بمائة ألف درهم^(٤) وسوف أتناول في هذا الباب تطور المساجد في المدينة، إضافة إلى القصور. إذ تجلى فيهما فن البناء والهندسة المعمارية.

أولاً : المساجد (المسجد النبوي) :

حين تمت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب التي سماها طيبة تيمناً واستبشاراً وكان أول عمل قام به فيها أن اختط مسجده الشريف وسط دور الأنصار

(١) السهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧١٨ . عبدالباسط بدر : لتاريخ الشامل، ج ١ ص ٢٤٨.

(٢) عمر بن شبة : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٦-١٥٩ . صالح لمعي : المدينة ص ١١.

(٣) عبدالعزيز العمري : لحرف والصناعات ، ص ١٧٠.

(٤) المسعودي : مروج ، ج ٢ ص ٣٤١ . محمد كرد علي : الاسلام والحضارة ، ج ١ ص ١٦٠.



وقد بنى حوله حجرات أزواجه رضي الله عنه^(١)، أما مواد بنائه من اللبن واستخدم في سقفه واسطواناته النخيل فجعل سقفه من الجريد المغطى باللبن. واسطواناته من خشبه الأسطواني^(٢).

ثم زاد صلى الله عليه وسلم في مسجده الشريف ثلاثة عواميد من جهة الغرب في السنة السابعة من الهجرة، فكانه بعمله هذا قد سن لمن بعده الزيادة في المسجد الشريف^(٣)

وفي عهد عمر بن الخطاب لم يعد المسجد النبوي يتسع الأعداد المتزايدة من المصلين. ويشتد الضيق في موسم الحج. لذا قرر عمر أن يعيد بناءه ويوسعه، في يمين القبلة فصار طوله أربعين ومائة ذراع، وسقفه جريد ذراعان، وبنى فوق ظهر المسجد سترة ثلاثة اذرع، وبنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامه ، وجعل له ستة أبواب^(٤) .

ثم زاد فيه سيدنا عثمان بن عفان في العام التاسع والعشرين للهجرة عاموداً واحداً من جهة الغرب وأكثر من عامود من جهة القبلة، وأنشأ فيه محرابه المشهور باسمه الآن ، وكانت زيادته من القبلة إلى موضع الجدار اليوم، وزاد فيه من الغرب اسطوانا بعد المربعة، وزاد فيه من ناحية الشام خمسين ذراعاً، ولم يزد فيه من الشرق شيئاً. وبناء بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد، وبيضه بالقصة . وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة الحديد وفيها الرصاص، وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع^(٥) .

(١) ابن النجار : الدرّة ، ص ٥٥ . السمهودي : وفاء ، ج ٢ ، ص ٧١٨ .

(٢) لمقريري : إمتاع الاسماع ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٥٦٢ . احمد الخيلري : معالم المدينة ، ص ٥٦ .

(٤) ابن النجار: الدرّة ص ١٧١. الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٤٨. تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ١٦٥. السمهودي :

وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٤٨١ - ٩٦ . احمد الخيلري : معالم المدينة ، ص ٥٦ ..

(٥) لبلانري : فتوح ، ص ١٣. ابن الاثير: الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ . ابن النجار : الدرّة ص ١٧٤ . السمهودي : وفاء الوفاء ،

ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠١ . ص ٥١٠ - ٥١٠ . سليمان عبدالغني: بلاد الحجاز ، ص ١٦٧ .



ويذكر: "أن أول من أتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم بن أبي العاص وبناها بحجارة منقوشة ثم لم يحدث فيه شي" (١) وقد عمل مروان المنبر بأمر من معاوية فقد رفعه ست دراجات من أسفله ورفعها عليها (٢).

وحين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد ويجعله مائتي ذراع، (٣) على أن يكون التوسيع من قبلته وسائر نواحيه، فكتب إليه، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم أهدهم، وأدفع إليهم أثمان بيوتهم (٤) فإن لك في عمر وعثمان رضي الله عنهما أسوة، فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب فأجابوا إلى اخذ الثمن (٥) وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ويقول الطبري نقلاً عن محمد بن عمر عن عمه قال "رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن عمر ، فيرونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه فأسسوا أساسه" (٦) وقدم عليهم الفعلة من الشام أرسلهم الوليد، وبعث الوليد إلى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليعمره ، فبعث إليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل (٧) وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خرجت ، فبعث بها إلى الوليد فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز (٨).

(١) لبلانري : فتوح ، ص ١٣ . ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

(٣) لبلانري : فتوح ، ص ١٣ .

(٤) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٨٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٨٠ . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٠٩ .

(٥) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٨٥ . النويري : نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٣١٤ .

(٦) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٣٥ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ .

(٧) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ . النويري : نهاية ، ج ٢١ ، ص ٣١٥ .

(٨) ليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .



ويذكر ابن النجار تفاصيل بنائه : " وعمل الأساس من الحجارة، والجدار بالحجارة المنقوشة المطابقة ، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، وجعل طوله مائتي ذراع ، وعرضه في مقدمة مائتي ذراع وفي مؤخره مائة وثمانين، وعمله بالفسيفساء والمرمر ، وعمل سقفه بالساج وموهه بالذهب" (١) وكان هذا سنة ٨٨ للهجرة (٢) وكتب الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم ، فعملها عمر وأجرى ماءها ، فلما حج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة فأعجبته ، وأمر لها بقوام يقومون عليها ، وأن يسقى أهل المسجد منها ، ففعل ذلك " (٣) . كما عمل عمر البطيحاء ، وهي رحبة مرتفعة نحو الذراع بناها خارج المسجد (٤) .

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان ، أمر بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمل إلى الشام، فحرك، فكسفت الشمس حتى رُئيت النجوم بادية يومئذ فأعظم الناس ذلك ، فقال: لم أرد حمله إنما خفت أن يكون قد أرض ، فنظرت إليه، ثم كساه يومئذ (٥) وقد حاول أن يفعل ذلك عبد الملك بن مروان وكذلك الوليد إلا أن سعيد بن المسيب أرسل إلى عمر بن عبد العزيز ألا يتعرض الوليد لذلك ، فكلمه عمر ، فأقصر وكف عن ذكره (٦) وكره سليمان بن عبد الملك أن يذكر هذا عن والده وأخيه، وقال: مالنا ولهذا ! أخذنا الدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نعد إلى علم من أعلام الإسلام يوفد إليه فنحمله إلى ما قبلنا! هذا مالا يصلح (٧).

(١) ابن النجار : الدرة ، ص ١٧٥

(٢) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ص ٤٣٥ . ابن الاثير : لكامل ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

(٣) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ص ٤٣٧ . احمد صفوت : عمر بن عبدالعزيز ، ٢٩ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٥٠

(٥) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ص ٢٣٩ . السهمودي : وفاء ، ج ٣ ص ٣٩٨-٩٩ .

(٦) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ص ٢٣٩-٤٠ . السهمودي ، وفاء ، ج ٣ ص ٣٩٨-٩٩ .

(٧) لطبري : تاريخ ، ج ٥ ص ٢٣٨ . السهمودي : وفاء لوفاء ، ج ٣ ص ٣٩٨-٣٩٩ .



وقد كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز وهو واليه على المدينة: مهما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم فابن عليه مسجداً ، وهذه المساجد هي :

مسجد قباء : وهو المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه الرسول عليه السلام، ولما بني عمر بن عبد العزيز مسجد النبي بنى مسجد قباء، ووسعه وبناه بالحجارة والجص وأقام فيه الأساطين،^(١) وطول منارة مسجد قباء خمسون ذراعاً، وعرضها تسع أذرع وشبر ، في تسع أذرع^(٢) .

مسجد الفتح : وهذا المسجد على رأس جبل يصعد إليه بدرج وقد عمره عمارة جديدة عمر بن عبد العزيز^(٣) .

مسجد القبلتين : يقع على هضبة مرتفعة في طرف حرة الوبرة الواقعة في الشمال الغربي من المدينة^(٤) ، وسمي بذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم ، صلى فيه ركعتين ثم أمر أن يتوجه إلى الكعبة^(٥) .

مسجد بني قريظة : وهو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة . وهو مسجد كبير عرضه عشرون ذراعاً وطوله نحو ذلك^(٦) .

مسجد المائدة : يقع شرقي المدينة وأقيم على شكل مائدة الطعام . وكان يسمى باسم مسجد الجمعة لان النبي صلى الله عليه وسلم فيه أول جمعة بالمدينة ، وحين جدد بناءه شيد على شكل مائدة^(٧) .

(١) ابن النجار : الدرة ، ص ١٨٧-٨٨ . السهمودي ، وفاء ، ج ٣ ، ص ٣٩٨-٩٩ .

(٢) الحربي : المناسك ، ص ٣٩٨ .

(٣) ابن النجار : الدرة ، ص ١٨٩ . السهمودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ٨٣٠ .

(٤) لفيروز : المغام ، ص ٤٥٨ .

(٥) ابن النجار : الدرة ، ص ١٩٠ . السهمودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ٨٤٠-٤٢ .

(٦) ابن النجار : الدرة ، ص ١٩٠ . السهمودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ٨٢٣-٢٤ .

(٧) المراغي : تحقيق النصرة ، ص ٦٣ .



ثانياً : القصور :

عندما كثر المال في أيدي بعض أهل المدينة ، نشطت حركة البناء ، وظهرت بيوت جديدة واسعة^(١) وكانت المدينة قد أصبحت مزدهمة بسكانها . فأراد أهل المال أن ينعموا بالسكن في القصور الواسعة التي تحيط بها البساتين ، على غرار ما رأوا في البلاد المفتوحة^(٢) فقد ذكر المسعودي أن: سعد بن أبي وقاص ابتنى داره بالعقيق، فرفع سمكها، ووسع فضاءها، وجعل أعلاها شرفات، كما ابتنى المقداد داراً بالمدينة في الجرف ، وجعل أعلاها شرفات، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن^(٣) . وكان وادي العقيق هو المناخ المناسب لمطلب هؤلاء الأثرياء لوجود الأراضي المتسعة للبناء والزراعة ، مع وفرة المياه في جوف الأرض ، وإمكان الاستفادة من مياه الوادي عندما يفيض ، إضافة إلى عذوبة مائه وجودة هوائه ، وقربه من المدينة^(٤).

وقد حفلت منطقة العقيق منذ القرن الأول للهجرة بسكن كبار رجالات المدينة وأقطاب الدولة الإسلامية، فشيدت القصور وأنشئت المزارع والبساتين ، وحفرت الآبار واستغلت الوديان، وكثر النخل ، وأصبحت هذه المنطقة عامرة بالحياة مزدهرة بخيرات الأرض . وقد نضم الشعراء الشعر في وصف العقيق وقصوره وخيراته . فيقول إبراهيم الزبيري :

فقصور الحجاز فالعرستان

ليت شعري هل العقيق فسلع

(١) عبد الباسط بدر : التاريخ لشلل ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٢) السهوي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٣-١٠٥٢ . محمد شراب : لمدينة ، ص ٣٤٩ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤٢-٣٤٣ . ابن لنگار : الدرة ، ص ٩٦ .

(٤) الفيروز : المغنم ، ص ٤٥٤ . السهوي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٠-١٠٤١ .

وانشد عبد السلام بن يوسف :



على ساكن بطن العقيق سلامٌ وإن أسهروني بالفراق وناموا
حظرتم علي النوم وهو محلل وحللتكم التعذيب وهو حرام^(١)
ويقول الوليد بن يزيد في العقيق :

لم أنس بالعرصتين مجلسنا بالسفح بين العقيق والسند^(٢)
ونورد الآن أهم قصور المدينة في العصر الأموي والذي تم بناء أكثرها في وادي
العقيق السالف ذكره.

قصر عروة بن الزبير :

منسوب إلى عروة بن الزبير بن العوام وهو بالعقيق^(٣) وأشترى عروة موضع
قصره وأرضه وبئاره من عبدالله بن العياش والذي أقطعها له مروان بن الحكم سنة
إحدى وأربعين، وشهد على هذه القطيعة عبدالملك وأبان أبناء مروان بن الحكم،^(٤)
وقد هدم عمر بن عبدالعزيز بئار عروة التي وجدت عند قصره بسبب إدعاء عبدالله
بن عمر عليه ، فكتب الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز فقال : " ما عروة ممن يتهم ،
فدعه وما أنتقص السلطان ، أنه في سعة منه " ^(٥) ، وقال عروة: جزع من جنابذ
نبنيتها ، والله لأبنيها بناء لا يبلغونه إلا بشق الأنفس، فبنى قصره، ونثّل بئاره،^(٦)
وذكر أن عروة تصدق على ولده بقصره وبئرهِ على المسلمين وأوصى إلى الوليد
بن عبدالملك بذلك،^(٧) ولما ولي إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك
أراد أن يدخل في حقوق بني عروة بالفرع، فحال عبد الله ويحيى بينه وبين ذلك

(١) السهودي : وفاء الوفاء، ج ٣، ص ١٠٦٠

(٢) السهودي : وفاء الوفاء، ج ٣، ص ١٠٥٩ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٠-٣٦١ . الفيروز : المغام ، ص ٣٤٢ .

(٤) الفيروز : المغام ، ص ٣٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ .

(٧) السهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٦ .



فهدم قصر عروة وشعثه ، وكتب عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بذلك ، فكتب إلى ابن أبي عطاء على ديوان المدينة أن يرد ذلك على ما كان عليه^(١) .

وقال عامر بن صالح في قصر عروة :

ولقصر عروة ذو الظلال وبئره بشقا العقيق البارد الأفياء
أشهى إليّ من العيون وأهلها والدور من مخلين والفرعاء^(٢)

قصر عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان :

قصر عظيم بالمدينة على مقربة من بئر عروة، وهو قبل الجماء وكان عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ، وعمر بن عبدالله بن عروة تعاونوا فقلا يهجون قصر عاصم :

ألا يا قصر عاصم لو تبينُ فتستعدي أمير المؤمنين
فتذكر ما لقيتُ من البلياء فقد لقيتُ حزناً بعد حين^(٣)

ويصف عبد القدوس الأنصاري القصر فيقول : طول بناء القصر ثلاثون متراً ، وعرضه نحو ثلاثين متراً . وطرّاز تقسيماته عربي عادي، غرف متجاورة بين صغيرة وكبيرة^(٤) .

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص :

هو قصر بالعقيق " ركب هشام بن عبدالمك ومعه عنبسة بن سعيد إلى العقيق فمر هشام بموضع قصر عنبسه فقال : نعم موضع القصر يا أبا خلف ! قد أقطعتك لك ! قال : يا أمير المؤمنين من يقوى على ذلك ؟ قال : فإنني أعينك عليه بعشرين ألف دينار^(٥) وقد بني بالحجارة المطابقة ، وبعث إليه هشام بأربعين بختياً (أي جملاً)

(١) لفيروز : المغنم ، ص ٣٤٥ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٦ .

(٢) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٧ .

(٣) لفيروز : المغنم ، ص ٣٤٠ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٩ .

(٤) الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٤٩ .

(٥) لفيروز : المغنم ، ص ٣٤٥ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥١ .



فكان ينضح عليها الماء في مزارعه قرب القصر^(١).

قصر خارجة بن حمزة بن العوام:

خرج خارجة إلى الوليد بن عبد الملك فسأله أن يقطعه موضع قصر في العرصة، فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أقطعه موضع قصر في العرصة وألحقه بالسواد، أي بالحرّة، فلم يزل بأيديهم حتى صار بعد ليحيى بن عبد الله بن حسين بن علي^(٢)

قصر سعيد بن العاص :

ابتنى سعيد بالعرصة قصراً في سرتها، واحتفر بها ، وغرس النخل والبساتين، وقد اشترى معاوية بن أبي سفيان قصر سعيد بن العاص بعد وفاته من ابنه عمرو لقضاء دينه . فأخذ معاوية القصر بألف ألف ، والنخل بألف ألف ، والمزارع بألف ألف^(٣) ومات سعيد بن العاص في قصره بالعقيق وحمل على رقاب الناس إلى المدينة^(٤) .

ولذلك القصر يقول أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما أشهى إلى القلبِ من أبوابِ حيرونِ
إلى البلاطِ مما حازتُ قرائنه دور نرحنُ عن الفحشاءِ والهونِ^(٥)

قصر مروان بن الحكم :

ابتنى مروان بن الحكم بعرصة البقل ، واحتفر وغرس، وضرب لها عيناً وأزدرع^(٦) .

(١) لفيروز : المغنم ، ص ٣٤٦ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥١ .

(٢) لفيروز : المغنم ، ص ٢٥٢ ، ص ٣٤٠ .

(٣) المصعب الزبيري : نسب قريش ، ص ١٧٦ . لفيروز : المغنم ، ص ٢٥٦ .

(٤) لحميري : الروض ، ص ٢١٦ . لفيروز : المغنم ، ص ٢٥٥ .

(٥) المصعب الزبيري : نسب قريش ، ص ١٧٧ . الاصفهاني : الاغاني ، ج ١ ، ص ٤٤-٤٥ .

(٦) لفيروز : المغنم ، ص ٢٥٦ . السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٤ .



إضافة إلى هذه القصور أيضاً قصر أبي بكر الزبيري ، وقصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن عثمان ، وقصر لإبراهيم بن هشام ، وقصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله ، وقصر سكينة بنت الحسين ، وقصر عبد الله بن سعيد بن العاص، وقصر أبي هشام المغيرة بن أبي العاص ، وعبد الله بن عامر^(١) .

وكانت أقطاعات العقيق^(٢) بيد الخليفة مباشرة ، لا يستطيع أحد ان يمتلك موقع قصر او مزرعة إلا باقطاع منه . وقد بدأت حركة البناء في العقيق منذ أواخر الخلافة الراشدة ، لكنها اشتدت في العصر الاموي وغطت ضفافه وعرصاته حتى لم يبق فيه موضع لبناء قصر .

وكانت القصور التي تبنى فيه تقام على أرض واسعة ، ولكل قصر حديقة أو بستان كبير يغرس فيه صاحبه أنواعاً مختلفة من اشجار النخيل، ويزرع فيه بعض البقول والخضار والفواكه^(٣).

(١) السهمودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٠-١٠٥٧ .

(٢) ليويوسف : الخراج ، ص ٦١ . الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

(٣) لفيروز : المغائم ، ص ٢٥٦ . السهمودي : وفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٤ .



الفصل الرابع

الحياة الثقافية في المدينة في العصر الأموي

أولاً: الناحية التعليمية

أ- القراءة والكتابة والأدوات

ب- المراكز والمجالس التعليمية

الكتاتيب

المسجد

ج- علماء المدينة في العصر الأموي

ثانياً: العلوم الإسلامية

أ- القرآن الكريم

ب- علم التفسير

ج - الحديث

د - علم الفقه

هـ- السيرة والتاريخ

ثالثاً: الجانب الأدبي في المدينة

الشعر والغناء في المدينة

أولاً: الشعر

ثانياً: الغناء



أولاً : الناحية التعليمية:

أ- القراءة والكتابة والأدوات

إن أول الآيات القرآنية التي نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت تدعو إلى القراءة . فقد قال تعالى : " اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم " ^(١) هذه الآيات دليل قاطع على أهمية القراءة ، لأن الدين الجديد الذي نزل على محمد عليه السلام يحتاج إلى تعلم القراءة والكتابة ، ولأن هذا الدين جاء مبدداً للجهل والظلام ، ورافعاً من شأن العلم ، والذي يعتمد كأساس له القراءة والكتابة . فقد ورد في قوله تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " ^(٢) ولأن الإنسان الذي يقرأ ويكتب يكسب خير الدنيا والآخرة ، أما الجاهل فيكسب شر الدنيا والآخرة ، كما انه يصبح أقل قيمة ^(٣) .

ولهذا بدأت القراءة والكتابة تنتشر في جزيرة العرب ، ولكن انتشارها كان بطيئاً، إذ أنه لما جاء الإسلام كان عدد القرشين الذين يستطيعون القراءة والكتابة سبعة عشر رجلاً فقط ^(٤) . وكون الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب ، فكان علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت سور القرآن ^(٥) كما كتب الصحابة الكتب التي خاطب بها الرسول الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وبعضهم يكتب له حوائجه، والبعض الآخر يكتبون بين الناس في المدينة حوائجهم ^(٦) .

(١) سورة العلق : آية ١-٣ ، ص ٥٩٧ .

(٢) سورة المائدة : آية ١١ ، ص ٥٤٣ .

(٣) الأبشيهي : المستطرف : ج ١ ، ص ٧٠ ، ص ٧٩ .

(٤) لبلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٦٦٠-٦٦١ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ١٧٩ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ١٤٦-١٤٧ . ابن عسكرو تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

(٦) لبلاذري : أنساب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ . الطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ١٧٩ . لشرف موسى : الكتابة العربية ، ص ٢٧ .



وقد شجع الرسول أصحابه على القراءة والكتابة فعن زيد بن ثابت يقول كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقام لحاجة ، فقال لي : " ضع القلم على إذنك ، فإنه أذكر للمملي ، وأقضى للحاجة " ^(١) وفي رواية لعبد الله بن عمر قال : استأذنت النبي في كتابة ما سمعت منه ، قال فأذن لي فكتبت ، فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة ^(٢) .

ولما للقراءة والكتابة من شأن فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتابة في المدينة ^(٣) كما جرى في التعامل مع أسرى معركة بدر من الفقراء ، حيث فادى الرسول من رأى فداءه من أسرى بدر ممن يجيدون القراءة والكتابة أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ^(٤) وبهذا العمل فشت القراءة والكتابة بين الصحابة وأبنائهم في المدينة ^(٥) .

كل هذا التطور الحاصل كان نتيجة لإقبال الناس في المدينة على القراءة والكتابة منذ مطلع الإسلام، وكلما تقدم بهم الزمن جدّ دافع جديد يحسن لهم إجابة هذا الفن بل الإبداع فيه ^(٦) فقد تعلم زيد بن ثابت كتاب اليهود في نصف شهر ^(٧) .
إن تعلم القراءة والكتابة أصبحتا ضروريتين للذين رغبوا في أن يكونوا رواة لأحاديث رسول الله ، إذ اعتبر المكفوفون من المحدثين غير ثقات، لعدم استطاعتهم القراءة والكتابة اللتين تعينان على الضبط والدقة ^(٨) .

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٣٥٩ . ابن قتيبة: عيون الأخبار ، ج١، ص٨٥ . ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج٤، ص١٤٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج٢، ص٣٧٣ .

(٣) الكتاني: لتراتيب الإدارية ، ج١ ، ص٤٨ . علي حلفظ : التربية والتعليم ، قفلة الزيت ، ص٤ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص٢٢ . المبرد : الكامل ، ج١، ص٣٦٢ . الكتاني: التراتيب ، ج١، ص٤٨ .

(٥) المبرد : الكامل ، ج١، ص٣٦٢ .

(٦) أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص٤٥ .

(٧) لترمذي : سنن، ج٣، ص٤٩٦ . البلانري : فروح ، ج٦٤ .

(٨) النووي : تهذيب الأسماء ، ص٣٣ .



فهذا أنس بن مالك إذا حدث فكثر الناس عليه الحديث ، جاء بصكاك فآلقاها إليهم، فقال هذه أحاديث سمعتها من رسول الله ، وكتبتها^(١) ولهذا ازداد الاهتمام بهذا الجانب زمن الخلفاء الراشدين في المدينة، فقد كان مسجد رسول الله مناراً للعلم وطلابه في خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب ، فقد أوكل عمر هذه المهمة إلى الموظفين^(٢) وعمر هو أول من جمع الأولاد في المكاتب لتعليم القراءة والكتابة ، وتعلم العلوم الإسلامية ، وقد أمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلزمهم للتعليم ، وجعل رزقه من بيت المال، وأمره أن يكتب للبليد في اللوح ، ويلقن الفهيم من غير كتب^(٣) وكان عمر يحث على تقيد العلم^(٤) والنقيد كما هو متعارف عليه لا يكون إلا بالكتابة. وزاد الاهتمام في التعليم في المدينة في خلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، فقد كان علي يقول: من يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم^(٥) ونظراً لاهتمام أهل المدينة بالقراءة والكتابة فقد ذكر أن سعد بن أبي وقاص قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة^(٦) ومن الناس الذين ذكروا في هذا المجال أيضاً سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث^(٧) كما ورد أن مروان بن الحكم والي المدينة زمن معاوية بن أبي سفيان أجلس لزيد بن ثابت رجلاً يسأله ويكتب^(٨) . وهذا عمر بن عبد العزيز يكتب إلى المدينة انظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء^(٩) .

(١) البغدادي : تقييد العلم ، ص ٩٦.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ، ص ٢٨٠.

(٣) محمد المكي : التاريخ القويم ، ج ٦ ، ص ٣٣.

(٤) البغدادي : تقييد العلم ، ص ٨٨.

(٥) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ج ٢ ، ص ٥١٨. البغدادي : تقييد العلم ، ص ٨٩-٩٠.

(٦) ملك بن أنس : المدونة ، ج ٥ ، ص ١٦٩١. ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ٨٣.

(٧) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٧٤.

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٦١.

(٩) البغدادي : تقييد العلم ، ص ١٠٦-١٠٧.



يتضح من هذا الطلب أن الكتابة مهمة لأنها تساعد على تدوين سيرة الرسول عليه السلام ، ولذلك لابد من تعلمها ، ونندل على هذا الحديث بقول صالح بن كيسان اجتمع أنا والزهرري ونحن نطلب العلم ، فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ، فقلت أنا ليس بسنة فلا نكتبه ، قال فكتب ولم أكتب فنجح وضيعت ^(١) .

كل هذه الإشارات دلائل واضحة على أن أهل المدينة تعلموا القراءة والكتابة واستعملوها في شؤون حياتهم ، وكانوا يشجعون أنفسهم وأبنائهم على ذلك ، فهذا الحسن بن علي بن أبي طالب يدعو بنيه وبني أخيه فيقول: يا بني وبني أخي إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين ، فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يدونه ، فليكتبه وليضعه في بيته ^(٢) وهذا يحي بن سعيد يتحسر على عدم معرفته القراءة والكتابة فيقول: أدركت الناس يهابون الكتب ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد بن المسيب ورأيه شيئاً كثيراً ^(٣) .

أن منزلة المدينة التعليمية فاقت كل المدن الإسلامية الأخرى ، وكذلك الأمر تميز في علمائها على مستوى العالم الإسلامي . فقد ورد في المدونة: " يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً اعلم من عالم المدينة " ^(٤) . لاشك في ذلك فهي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومركز كبار الصحابة والتابعين. يقصدها طلاب العلم من أقاصي البلدان لتلقي العلم عن علمائها. ^(٥) فقد ذكر أن عبدالله بن فروخ رحل من أفريقيا إلى المدينة لطلب العلم ^(٦) .

(١) البغدادي : تقييد العلم ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٣) ابن سعد ، ج ٥ ، ص ١٤١ .

(٤) ملك : لمنونة ، ج ١ ، ص ١٥ . لصبوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

(٥) أحمد أمين فجر الإسلام ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٦) أبو العرب : طبقات علماء أفريقيا ، ص ١٠٧ .



ونظراً لأهمية المدينة في هذا الجانب ، فقد حرص كثير من خلفاء بني أمية على تلقي العلم فيها ، فعبد الملك بن مروان أحد تلاميذ المدينة وفقهائها^(١) وعمر بن عبدالعزيز تتلمذ وتعلم فيها^(٢) على علمائها عبيدالله بن عبدالله ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، ومسلم بن جندب أحد قراء القرآن ، وكان بغية والده في تعليم وتأديب أبنه في المدينة لإعداده للإمارة والخلافة^(٣) ولما أصبح خليفة للمسلمين كان يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب إلى المدينة عما مضى ويعلمون ما عندهم^(٤) .

أما هشام بن عبدالملك فقد صير الزهري مع ولده يعلمهم ويفقههم ويحدثهم، فلم يفارقهم حتى مات في المدينة^(٥) وهذا الأمر أن دل على شيء ، إنما يدل على مكانة المدينة التعليمية في هذه الفترة بالذات.

ولم تقتصر القراءة والكتابة في هذه الفترة على الرجال دون النساء في المدينة . فقد ذكر البلاذري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للشفاء بنت عبدالله العدوية من رهط عمر بن الخطاب : ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ، وكانت الشفاء كاتبة في الجاهلية^(٦) فهذه إشارة واضحة على أن نساء المدينة كانت تجيد هذه الصناعة في فترة موازية لتعليم الرجال ، ولا ننسى أن القرآن الكريم وما فيه من آيات على هذا الجانب لم تذكر الرجال دون النساء ، كما أن هذا النص بيان لدور الرسول في الحث على تعلم النساء القراءة والكتابة في المدينة .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٦ . عارف عبدالغني : أُمراء المدينة ، ص ٥٣ .

(٢) ابن عبدالبر : سيرة عمر ، ص ٢١ . صلاح المنجد : معجم بني أمية ، ص ١٣٢ .

(٣) القسوي : المعرفة ، ج ١ ، ص ٣١١ . ابن خلكان : وفيلك ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٤) ابن عراض : ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٥) لبلاذري : أنساب ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٦ .

(٦) لبلاذري : فتوح ، ص ٦٦١ . ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ، ص ١٦٩ .



وفي إشارة ثانية أن حفصة زوج النبي كانت تكتب ، وأم كلثوم بنت عقبة تكتب ، وكريمة بنت المقداد أيضاً^(١) أما عائشة رضي الله عنها فقد كانت تقرأ المصحف ولا تكتب ، كما هو حال أم سلمة حيث كانت تقرأ ولا تكتب^(٢) هذا وكان للنساء يوم خاص ، يتلقين فيه تعاليم الدين^(٣) وكانت عائشة تقول : " نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه"^(٤) . ولا يكون التفقه في الدين إلا إذا أجاد الإنسان قدرأ من القراءة والكتابة، وكل هذه النصوص تعطينا صورة واضحة على أن نساء المدينة أخذت بهذا المجال كما هو حال الرجال ، وقد أبدعن كثيراً ، فقد أشرنا سابقاً إلى نماذج من إبداعات المرأة في مجتمع المدينة .

أما أنواع هذه الصناعة، والوسائل المعينة عليها فقد كانت متعددة ، وكانوا يستفيدون بكل شيء من المواد الميسورة للكتابة والقراءة وحفظ العلم . ولعل الأداة الأولى في ذلك القلم ، كما ورد في قوله تعالى: " الذي علم بالقلم"^(٥) ووصف القلم بأنه لسان البصر يناجيه بما أستر عن الأسماع^(٦) وقد أستخدم القلم في كتابات الرسول والصحابة فقد ورد إشارة أن زيد بن ثابت كان يضع القلم على أذنيه^(٧) وفي إشارة لاستعمال القلم أيضاً في الكتابة قول عمر بن الخطاب قيدوا العلم بالكتاب^(٨) والتقييد لا يكون إلا بالقلم . وقول عبدالله بن عمر : كنت أكتب كل شيء أسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم^(٩) .

(١) لبلاذري : فُوح ، ص ٦٦١.

(٢) لبلاذري: فُوح ص ٤٤٩. أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٤١. خليل طوطح: التربية عند العرب ص ٦٦.

(٣) ابن حجر : فتح لباري، ج ١ ص ١٩٥. الكندي : الترتيب، ج ١ ص ٤٨. عبد الله أدريس : مجتمع المدينة ص ٢٣٠.

(٤) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ١ ص ٣٧٥. مصطفى عمار : جواهر البخاري ص ٧٠-٧١.

(٥) سورة العلق : آية ٤ ص ٥٩٧.

(٦) الصولي : أدب الكتاب، ج ١ ص ٦٦.

(٧) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ص ٣٥٩. ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ١ ص ١٠٢.

(٨) البغدادي تنقيذ العلم، ص ٨٨.

(٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ١ ص ٣٠٠.



وذكر أبو حكيم العبدى قال: مرّ بي عليّ بن أبي طالب وأنا أكتب مصحفاً ، فقال: أجل قلمك، فقضمت من قلمي قضمة، ثم جعلت أكتب، فقال: نعم، هكذا نوره كما نوره الله^(١) .

أما الأداة التي كانت يكتب عليها ، القرطاس وهي عندهم يومئذ الرق وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه وربما كانوا أيضاً يكتبون على العصب والجريد^(٢) كما استخدمت الألواح للكتابة عليها أيضاً^(٣) وذلك لخفة حملها وسهولة مسحها^(٤) فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب من زيد بن ثابت أن يحضر لوحاً ودواة، ثم قال له أكتب^(٥) وذكر ابن سعد عن مولى عبيدالله بن علي عن جدته سلمى قالت: رأيت عبدالله بن عباس معه ألواح يكتب عليها^(٦) وكانت تمسح هذه الألواح بالمناديل وما أشبه ذلك^(٧) .

أما أداة الكتابة التي كان الصبيان يستعينون بها بالكتابة على ألواحهم أقلاماً مصنوعة من التراب الأبيض (ألواح الطباشير) لكثرة انتشارها^(٨) كما وجدت الدواة أو المحبرة بما فيها من مداد وحب^(٩) .

(١) لسيوطي : الإثقان ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ .

(٢) لعسكري : الأوائل ، مق ١ ، ص ٢١٤ . الألويسي : بلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ٣٩٢ .

(٣) الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٤) عامر أبو جبلة : التربية والتعليم ، ص ١٩٥ .

(٥) البخاري : صحيح ، ج ٦ ، ص ٥٨٢ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٧) ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ٥٧ .

(٨) عامر أبو جبلة : التربية والتعليم ، ص ١٩٥ .

(٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .



ب- المراكز والمجالس التعليمية :

الكتاتيب:

لقد لاحظنا أن القراءة والكتابة في المدينة المنورة كانت ذات اهتمام من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن قبل الصحابة رضوان الله عليهم ، مما كان له أطيّب الأثر في انتشار قاعدة المتعلمين في المدينة ، حتى أصبحت مكاناً هاماً للعلم والعلماء في آن واحد .

ولما كانت الأمور في بدايتها ، فقد انحصرت أمكنة ومراكز التعليم في المدينة على الكتاتيب ، إذ ظهر الكتاب كمؤسسة تعليمية مع بداية نشوء الدولة الإسلامية في المدينة ، وهو المؤسسة التعليمية التي وجدت آنذاك بالإضافة إلى الحلقات العلمية في المسجد ، التي تهتم بتربية الصغار ، وسمي الكتاب بهذا الاسم لأن الطفل يتعلم فيه القراءة والكتابة ، ثم انتشر هذا الاسم حتى صار متعارفاً على أية مؤسسة تعليمية تعتني بتعليم الصغار^(١) .

ويرى أحد الباحثين أن الكتاب لم يظهر خلال العهد المبكر للإسلام ، بل كانت قلة من الأطفال يتعلمون عن طريق الإندساس بين الكبار في حلقات المساجد ، بل كانت قلة من الأطفال يتعلمون القرآن عن آبائهم وذويهم ، أو عن طريق معلمين خصوصيين^(٢) .

ولكن الإشارات التي وردت في المصادر الأولية تثبت أن هذه المؤسسة التعليمية وجدت ولكن ليس بالانتشار الواسع لدرجة اعتبارها مدارس . فقد روي أن أم سلمة أرسلت مرة إلى معلم كتاب تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه ليساعدها في ندف الصوف وغزله ، وذكر أن سعد بن أبي وقاص قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتب بالمدينة وكان يأخذ الأجر على ذلك^(٣) . وفي المدونة لمالك بن أنس أن

(١) النهروالي : الأعلام ، ص ٢٦٣ .

(٢) أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص ٥١ .

(٣) مالك بن أنس : المدونة ، ج ٥ ، ص ١٦٩١ . أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص ٤٨ .



صفوان بن سليم كان يعلم الكتاب بالمدينة زمن معاوية بن أبي سفيان ويعطونه على ذلك الأجر^(١) وكان عطاء بن رباح يعلم الكتاب على عهد معاوية ويشترط (أي يأخذ أجراً)^(٢) كما جاء جفينة من نصارى الحيرة إلى المدينة ليعلم في الكتاب الكتابة^(٣) وقد أجاز مالك وجميع علماء المدينة أخذ الأجر على تعليم الصبيان الكتابة والقراءة^(٤)، ومن الإشارات أيضاً على وجود الكتاب في المدينة ، ووجود الطلاب فيها ، قول سعيد بن المسيب إذا مرّ بالمكتب قال للصبيان : هؤلاء الناس بعدنا^(٥) .

وفي رواية تؤكد على وجود هذه المؤسسة ، أن مالك بن أنس جوز تعدد المعلمين في المكتب الواحد فقال أبو القاسم : سألت مالكا عن المعلمين يشتركون في تعليم الصبيان على أن يرزق الله فبينهما نصفان ، قال مالك : أن كانا في مجلس واحد فلا بأس به ، وأن تفرقا في مجلسهما فلا خير في ذلك^(٦)

كل هذه الدلائل تعطي تأكيداً على وجود الكتاتيب في المدينة في هذه الفترة ، كما تبين لنا أن هناك معلمين مختصين لأداء هذا العمل في هذه المؤسسة ، كما اعتقد أن هذه المؤسسة التعليمية كان لها مكان مخصص ، وليست ملحقة بالمساجد ، وندلل على ذلك بأن مالك بن أنس سئل عن تعليم الصبيان في المسجد فقال : لا أرى ذلك يجوز ، لأنهم لا يحفظون من النجاسة ، ولم ينصب المسجد للتعليم^(٧) أما ما وجد في المساجد فهي حلقات تعليمية للتفقه في القرآن والسنة وباقي العلوم الأخرى كال تفسير والفقه والحديث^(٨) .

(١) ملك بن أنس : المدونة ، ج ٥ ، ص ١٦٩١ . ابن عسك : تهذيب ، ج ٦ ، ص ٤٣٥ .

(٢) ملك بن أنس : المدونة ، ج ٥ ، ص ١٦٩١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ، ص ٣٨٦ ..

(٤) أحمد المغراوي : جامع جوامع الاختصار ، ص ٢٩ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٤١ .

(٦) ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ٤٦ .

(٧) ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ١١٤ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ .



أما هذا النوع من التعليم يجري في الغالب في منزل المعلم الذي ربما خصص حجرة في بيته لاستقبال الطلاب وتعليمهم^(١) وقد يكون هنالك مكاتب خاصة بالدولة وهي التي تدفع الأجر على ذلك ، بدليل أن عامر بن عبد الله الخزاعي كان يلزم الصبيان للتعليم في المكاتب ، وكان رزقه من بيت المال ، وكان يجلس للتعليم بعد صلاة الصبح إلى الضحى ، ومن صلاة الظهر إلى العصر ، ويستريح باقي النهار^(٢) وكان المعلم يتخلى عن كل شيء للتعليم ، ولا يشتغل بغير صناعته^(٣) .

أما منهج الدراسة في هذه الكتاتيب فقد شمل إلى جانب تعليم القرآن الكريم ، الأحاديث النبوية ، وحكايات الأبرار وأحوالهم ، والشعر على أن يتجنب تلك الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ، لأن ذلك يغرس في نفوس الصبيان بذر الفساد^(٤) .

كما أن التعليم عن طريق القصص كان سائداً في المدينة في عصر بني أمية، فقد روى ابن شبة : أن عمر بن عبد العزيز أمر رجلاً وهو بالمدينة أن يقص على الناس ، وجعل له دينارين كل شهر ، فلما قدم هشام بن عبد الملك ، جعل له ستة دنانير كل سنة^(٥) .

ولا نعلم إذا كانت هذه القصص تتم داخل الكتاتيب، أم في المساجد، أم في الساحات العامة في المدينة . ولا نعلم كيفية اختيار القاص لها كونه يأخذ أجراً على ذلك ، أما موضوعاتها ، قد تكون حول أخبار الماضيين من الأمم ، وسيرة الفتوحات الإسلامية .

أما حضورها فاجزم أنه من عامة الناس ، ولا يخص فئة دون أخرى .

(١) أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص ٤٦ . عبد الله العمري : تاريخ العلم ، ص ١٨ .

(٢) المغراوي : جامع جوامع الاختصار ، ص ٥٠-٥١ . الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٢٩٣-٢٩٤ .

(٣) ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ٥٦ .

(٤) ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ١٠٨ . الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٣ .



المسجد:

تتجلى قوة الروح الدينية عند المسلمين في الاهتمام بالمساجد إذ احتل المسجد مكانة مهمة عند المسلمين ، حيث كان أهم المنشآت العامة ، التي أقيمت في الإسلام ، تقام فيه الصلوات ، وتتم فيه بيعة الخلفاء ، ويدعى فيه القوم إلى الجهاد ، ويتم فيه الفصل بين الناس ، وبالإضافة إلى المهمة الدينية التي بني من أجلها ، فقد كان المسجد من أقدم المراكز التعليمية في الإسلام ، وأكثرها انتشاراً ^(١) .

وقد أعتبر المسجد المؤسسة التعليمية الثانية في المدينة بعد الكتاتيب ، وكما أسلفنا لم يخصص المسجد لتعليم الأطفال صغار السن ^(٢) إنما خصص لكبار السن . كما أن العلوم الإسلامية التي كانت تعرض في حلقات المسجد النبوي تشرح تعاليم الدين الجديد ، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال، وكان العلماء والفقهاء يجلسون في المسجد النبوي وحولهم تلاميذهم ^(٣) وقد تعلم الصحابة أيضاً وهم شيوخ كبار وكهال واشتغلوا بالعلم ، وكانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنن ^(٤) .

أما الطريقة التي يتم فيها التعليم في المسجد النبوي فقد كانت منظمة إلى درجة كبيرة حيث تخصص كل حلقة لعلم ما ^(٥) فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرّ بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون فيه إلى الله ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون فيه الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وأنا بعثت

(١) محمد الخطيب : دراسات في تاريخ الحضارة ص ٦٧ . عبد الله العمري : تاريخ العلم ص ٢٠ .

(٢) ابن سحنون : آداب المعلمين ، ص ١١٤ .

(٣) لبلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ٤٤ .

(٤) الكتاني : التراثيب ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .



معلماً" ثم أقبل فجلس معهم^(١) وفي رواية لأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل ، فقال : " ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله رجل علامة ، قال : وما العلامة ؟ قالوا : أعلم الناس بأنساب العرب ، وأعلم الناس بعربية ، وأعلم الناس بشعر ، وأعلم الناس بما أختلف فيه العرب ، فقال رسول الله هذا علم لا ينفع ، وجهل لا يضر^(٢) .

نلاحظ من هاذين النصين أن المسجد النبوي كان ملتقى تعليمي هام في المدينة، ولكافة العلوم الدينية والأدبية ، ففي الموطأ أن عمر بن الخطاب أجاز إنشاد الشعر في المسجد النبوي بعد أن بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء^(٣) .

وكان عبد الله بن مسعود إذا رأى الشباب يطلبون العلم ، يقول: " مرحبا بينابيع الحكمة ومصابيح الظلم ، خلقان الثياب ، جدد القلوب ، حلس البيوت، ريحان كل قبيلة^(٤) وليس كل من احب أن يجلس للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد فان رأوه لذلك أهلاً جلس، ويقول مالك بن انس: "وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أنني لموضع ذلك^(٥) .

وهذا دليل على أن المسجد له أهمية كبيرة في التعليم ، وإن الشخص الذي يتخذ فيه حلقة شيء ليس بالسهل ، لأنه يجب أن يكون على درجة عالية من العلم حتى يستطيع جذب الناس إلى حلقاته، وقد كثرت الحلقات التعليمية في المسجد النبوي في العهد الأموي ، فقد كان لكل من زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس حلقة تعليمية في المسجد ، فهذا سليمان بن يسار يقول : كنا نجالس زيد بن ثابت أنا وسعيد بن

(١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٥٢ .

(٣) الكتاني : الترتيب ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٤) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٥) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ص ١٢٦ .



المسيب وقبيصة بن ذؤيب ونجاس عبد الله بن عباس^(١) فقد روي أن ابن عباس كان يجلس يوماً للفقهاء ويوماً للتأويل ويوماً للمغازي ويوماً للشعر ويوماً لأيام العرب^(٢) وكان يقول ابن عباس ذللت طالباً فعززت مطلوباً^(٣) ويقول قبيصة بن ذؤيب كنا في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في المسجد بالليل أنا ومصعب وعروة أبناء الزبير ، وعبد الملك بن مروان ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيد الله بن عتبة ، وكنا نتفرق بالنهار ، فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت ، وكان عروة يجالس المحدثين والعلماء من الصحابة والتابعين ويلتقي وإياهم في حلقات^(٤) .

وذكر ابن الجوزي أن ربيعة الرأي كان يجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ويأتيه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهي والمساحقي وأشرف أهل المدينة يحدق الناس به، وكانت حلقاته وافرة^(٥) كما كان لسعيد بن المسيب حلقة في المسجد النبوي ، وكان أبناء الصحابة يجالسون سعيد فلا يسأل أحد منهم عن شيء إلا أن يسأل عن شيء فيحدثهم به^(٦) وكان للقاسم بن محمد أيضاً حلقة^(٧) وممن جلس للتدريس في المسجد النبوي ، وكانت له حلقة كذلك سليمان بن يسار^(٨) كما كان لعبيد الله بن عبد الله حلقة يعلم فيها، ويقول الزهري لما جالست عبيد الله بن عبد الله كأنني أصحب بحراً^(٩) .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٦٧-٣٦٨ .

(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ١ ، ص ٥٠٧ .

(٤) سلوى الطاهر : الكتلة التاريخية ، ص ٣٣ .

(٥) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٠٣ . ابن خلكان : وفیات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٩-١٣٠ . الفسوي : لمعرفة ، ج ١ ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٧) ابن حزم : أصحاب الفتيا ، ص ١٣٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .



وكان ممن جلس للتدريس في المسجد النبوي الشريف مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، وكانت له حلقة كبيرة في المسجد النبوي ، وكان مجلسه في المكان الذي كان يجلس فيه عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ للشورى والحكم والقضاء . وكان يقول: " أن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ^(١) .

ويذكر أن عبد الملك أعجب بهذه الحلقات وأنه جالس الفقهاء والعلماء وحفظ عنه ، وكانت هذه المجالس أو الحلقات خير سبيل للتعليم في القرن الأول الهجري ^(٢) . وكانت المساجد في ذلك العصر مفتوحة يقصدها من يأنس في نفسه الكفاءة لتعليم الناس ، ولم يكن على المدرس بطبيعة الحال أن يعلم موضوعاً بذاته في الغالب ، بل كان يعظ الناس بما يعرف ويفتيهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وظل العلماء يقصدون المساجد ليؤدوا هذا الواجب دون انتظار من يحثهم على الذهاب ، وظل الناس يلتفون حولهم ويأخذون عنهم من غير أن تتدخل الحكومة في ذلك ، فقد عد هذا العمل غير داخل في دائرة سلطانها ما دام المعلم غير معين منها ولا يتقاضى من الدولة أجراً على عمله ، فترك له أن يدرس ما شاء ، وقتما شاء ^(٣) . كما كانت بوادي المدينة المنورة مكاناً لتعليم الفصاحة والبلاغة ، وكانت للأمويين عناية خاصة بتهديب أبنائهم وأبناء رجالات دولتهم . وقد استقى الخليفة عمر بن عبد العزيز الفقه والأدب والعلم من المدينة المنورة ^(٤) .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٠٣ . ناجي الأنصاري : التعليم في المدينة ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٣) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٣١٦-٣١٧ . أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص ٢١٣ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٨٦ . رياض شاهين : السياسة الداخلية لعمر بن عبد العزيز ، ص ١٢-١٣ .



ج- علماء المدينة في العصر الأموي :

لقد كان لعلماء المدينة مكانة خاصة في نفوس المسلمين ، وقد أطلق على مدينتهم مدرسة المدينة ، لأنها كانت أغزر علماً ، وأبعد شهرة من مدرسة مكة، قد تخرج منها أكثر علماء ذلك العصر في التفسير والحديث والفقه والتاريخ. وقد اشتهر فيها كثير من الصحابة العلماء ، ولكن أشهر من امتاز بالعلم فيها وتخصص للحياة العلمية ، وكثر بها أصحابه وتلاميذه:

زيد بن ثابت :

مات في ولاية معاوية بن أبي سفيان سنة (٤٥هـ) ^(١). وكان زيد يكتب لرسول الله الوحي وغيره، وكانت ترد على رسول الله الكتب بالسريانية ، فأمر زيداً فتعلمها في بضعة عشر يوماً ^(٢). وعن مالك بن انس انه قال: " كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت، وكان إمام الناس." ^(٣) وقال رسول الله : " ارحم أمتي أبو بكر ، واشدها في دين الله عز وجل عمر ، واصدقها حياء عثمان ، واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت" ^(٤). وكان من اعلم الناس والراسخين في العلم ^(٥). وقد نال شهرة واسعة في المدينة ، فما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء والفرائض والقراءة ^(٦). فقد كان عالم الناس في خلافة عمر وحبرها ففرقهم عمر في البلدان ونهاهم أن يُفتَ برأيهم وجلس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهل المدينة ^(٧). واستعمله عمر بن الخطاب على القضاء وفرض له رزقاً ^(٨).

(١) ابن حبان مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٩. ابن الجوزي : أهل الأثر ، ص ١١٠.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢، ص ٣٥٨. ابن عبد البر : الاستيعاب ، ق ٢، ص ٥٣٨.

(٣) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١، ص ٢٦١.

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، م ١، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٥) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١، ص ٢٦٠. ابن الأثير : لشد الغلبة ، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢، ص ٣٥٩. لذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١، ص ٢٨.

(٧) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢، ص ٣٦١.

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٣٥٩.



كما كان زيد مترئساً بالمدينة كذلك في عهد علي ومعاوية في القضاء والفتوى^(١) وقال أبو هريرة حين مات زيد: "اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً"^(٢). لقد كان زيد بن ثابت عالماً وفقهياً معاً، قادراً على استنباط المعاني، ذا رأي فيما لم يرد فيه اثر^(٣).

عبد الله بن عمر بن الخطاب:

فقد كان عالماً، يجمع الأحاديث ويرويهها ويكتبها ويخرج من الفتوى وإيداء الرأي^(٤). وفي رواية لابن سعد عن الشعبي قال: كان ابن عمر جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه^(٥). ونقل الفسوي رد ابن عمر على معاوية بن أبي سفيان عندما وصفه معاوية بأنه رجل عيي، فقال: أما قول معاوية: إني رجل عيي فأني كنت أعلم الناس بكتاب الله عز وجل ولا كلام أبلغ منه^(٦) وفي حلية الأولياء أن رد ابن عمر هذا كان على الحجاج وليس على معاوية^(٧) وقال ابن المسيب: لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر^(٨) وعن مالك بن أنس قال: كان إمام الناس عندنا بعد ابن عمر ابن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ابن عمر^(٩) ومات ابن عمر بمكة سنة أربع وسبعين^(١٠) ومن هذه الطبقة من النساء:

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣٧٣. الذهبي: تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٨. ابن حجر، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٧٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣٧٣. أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٧٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣٧٣.

(٦) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ٢٦٦.

(٧) الأصفهاني: حلية الأولياء، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة، م ١، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٨) ابن الجوزي: صفة الصفوة، م ١، ج ٢، ص ٢٨٨. الذهبي: تنكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٢.

(٩) ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ١٥٩.

(١٠) ابن الجوزي: صفة الصفوة، م ١، ج ٢، ص ٢٩٧. ابن الأثير: لسد الغابة، ج ٣، ص ٤٦. السخاوي: التحفة، ج ٢، ص ٦٥.



عائشة زوج النبي:

فقد كانت أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة^(١) وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام والشعر والطب من عائشة^(٢) ويروي ابن سعد أن عائشة كانت أعلم الناس بسألها الأكابر من أصحاب رسول الله، عن الفرائض، وكانت عائشة تفتي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت^(٣) وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي وجميع النساء كان علم عائشة أكثر،^(٤) وقد بعث إليها معلوية مائة ألف، ما غابت عليها الشمس حتى فرقتها^(٥) لقد ملأت عائشة المدينة فضلاً وعلماً. وتعلم عليها كل من اتصل بها مثل: القاسم ابن أخيها محمد، وحفصة بنت أخيها عبدالرحمن، وعروة ابن أختها أسماء وغيرهم^(٦) وماتت في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ثمان وخمسين^(٧). وعلى يد هؤلاء من الصحابة في المدينة تخرج كثير من علماء التابعين، ومن أشهرهم :

سعيد بن المسيب:

أخذ علمه من زيد بن ثابت ، وجالس ابن عباس ، وابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وكان يدخل على أزواج النبي عائشة وأم سلمة^(٨) وكان يطلق عليه عالم العلماء ، وأعلم الناس ، وعالم أهل المدينة ، ويقال فقيه الفقهاء^(٩)

(١) لنيسابوري: المستترك، ج ٤، ص ١٤ .

(٢) الكتاني : التراتيب ، ج ١، ص ٥٤ . الذهبي : تذكرة ، ج ١، ص ٢٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ٣٧٥ . الفسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١، ص ٢٦٤ .

(٤) ابن الجوزي : صفة الصفوة ، م ١، ج ٢، ص ٢٤ .

(٥) الذهبي : تذكرة ، ج ١، ص ٢٥-٢٦ .

(٦) عبد الحليم الجندي : مالك بن أنس ، ص ٦٩ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢، ص ٨ . الذهبي : تذكرة ، ج ١، ص ٢٦ .

(٨) ابن سعد : الطبقات، ج ٥، ص ١٢١. البلائري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٩) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٢١-١٢٢ . البلائري : أنساب الأشراف ، ج ١، ص ٢٤٠ . الذهبي: الأعلام، ج ١، ص ٥ .



ويقول عمر بن عبد العزيز: ما كان بالمدينة عالم إلا يأتيني، وأتى بما عند سعيد بن المسيب. ولا يقضي عمر بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب^(١) ويصنفه ابن حبان بقوله: سعيد من سادات التابعين فقهاً وورعاً وعبادة وفضلاً وزهادة وعلماً^(٢) ويقول عن نفسه: ما بقي أحد أعلم بقضاء قضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، مني^(٣) أما علاقته مع خلفاء بني أمية، فقد رفض أن يبايع ليزيد يوم الحرة على أنه عبدٌ قن وقال: أبايع على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر^(٤) كما رفض أن يزوج ابنته للوليد بن عبد الملك أثناء ولايته العهد^(٥) وقد رفض البيعة للوليد وسلميان من أبيهما. لأنه كره أن يبايع بيعتين^(٦) أما سنة وفاته فكانت سنة ثلاث وتسعين^(٧). ومن أبناء هذه الطبقة أيضاً:

عروة بن الزبير:

كان عروة ثقة كثير الحديث، فقيهاً مأموناً عالماً ثبتاً^(٨) وقال الواقدي: كان فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجة عالماً بالسير^(٩) وعنه قال الإمام الزهري: "رايته بحراً لا تذكره الدلاء"^(١٠) وهو من فقهاء المدينة وأفاضل التابعين وعباد قریش^(١١) وقال عمر بن عبد العزيز: ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله وهو أحد

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣٨٢، ابن الجوزي: صفة الصفوة، م ١، ج ٢، ص ٥٧.

(٢) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٥. ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ١٢٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة، م ١، ج ٢، ص ٥٧.

(٤) لبلاذري: أنساب، ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٥) الأصفهاني: حلية الأولياء، ج ٢، ص ١٩٢.

(٦) لبلاذري: أنساب، ج ٧، ص ٢٥٦. الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ٢٥٣.

(٧) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٢٢، ص ٣٤١.

(٨) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ١٧٩. ابن حزم: أصحاب الفتية، ص ١٣٢.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٠٨. محمد سرور: دراسات في السيرة، ص ٨٣.

(١٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٨٨. الذهبي: تذكرة، ج ١، ص ٥١. ابن حجر: تهذيب، ج ٤، ص ١١٤.

(١١) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٥. الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٦.



فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهي إلى قولهم، وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة^(١) وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر قوم فقالوا : تمنوا. فقال عروة : أنا أتمنى أن يؤخذ عني العلم^(٢) . وكان عبد الملك بن مروان لذلك يقول: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير^(٣) وعرف بحبه لنشر العلم فكان يتألف الناس على حديثه^(٤) وقد بلغ من علم عروة ومكانته أن اخذ عن بعض كبار الصحابة^(٥) وتعلم على يده عدد غير قليل من علماء التابعين ، منهم ابن شهاب الزهري ، وذكر أن الزهري حضر يوما مجلس هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام أي شهر كان يخرج فيه العطاء لأهل المدينة^(٦) وفي العقد الفريد " أن عروة دخل بستانا لعبد الملك بن مروان ، فقال عروة : ما احسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك: أنت والله احسن منه، إن هذا يؤتي أكله كل عام ، وأنت تؤتي أكلك كل يوم،^(٧) مات بالمدينة سنة أربع وتسعين^(٨).

وعن هذه الطبقة أخذ :

ابن شهاب الزهري :

أحد فقهاء المدينة، وكان إماماً عالماً، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان واسع العلم^(٩) وقال الزهري عن نفسه في هذا المجال: " ما صبر أحد

(١) لطبري : تاريخ ، ج٦، ص٤٢٧ . ابن كثير : البداية ، ج٩، ص١٠٨.

(٢) ابن الجوزي: صفة لصفوة ، م١، ج٢، ص٦١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص١٢٣.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص١٢٣.

(٤) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج١، ص٣٠٥ . محمد عجاج الخطيب : لسنة قبل التكوين ، ص٤٨٨.

(٥) ابن حجر : تهذيب ، ج٤، ص١١٤ . سلوى الطاهر : بدلية الكتابة التاريخية ، ص٣١.

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص٣١٨ . محمد سرور : دراسات في السيرة ، ص٨٣.

(٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢، ص٨٨.

(٨) ابن الجوزي : صفة لصفوة ، م١، ج٢، ص٦٣ . ابن كثير : البداية ، ج٩، ص١٠٨.

(٩) ابن حزم : لأصحاب الفتيا ، ص١٤٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩، ص١٢٤.



على العلم صبري، ولا نشره أحد نشري"^(١) وروى عن أيوب أنه قال: ما رأيت أحدا أعلم من الزهري^(٢). وقال مالك بن انس: الزهري هو أول من دون العلم^(٣) وأكد على ذلك عمر بن عبد العزيز بقوله: عليكم بآبن شهاب هذا فإنكم لا تلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه^(٤) وقيل لمكحول: من أعلم من رأيت؟ قال: ابن شهاب، قيل له: ثم من؟ قال: ابن شهاب، قيل له، ثم من؟ قال: ابن شهاب^(٥). ثم قال: ما أعلم أحدا أعلم بسنة ماضيه من الزهري^(٦). وقال الزهري: دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا، فقال لي: من أنت؟ فانتسبت إليه، فعرفني^(٧). وقد أمره بطلب العلم، وقال له: " فاطلب العلم، ولا تشاغل عنه بشي، فإنني أرى لك عينا حافظة، وقلبا ذكيا، وأت الأنصار في منازلهم^(٨) وقد اتصل بكثير من خلفاء بني أمية، وكان موضع احترامهم^(٩)، فقد حج هشام بن عبد الملك، وحج معه الزهري، فصير هشام معه ولده يعلمهم ويفقههم ويحدثهم^(١٠). وكان يزيد بن عبد الملك قد استقصاه^(١١). أما سنة وفاته فكانت أربع وعشرين ومائة^(١٢).

وأخيراً أنجبت المدينة المنورة في هذا العصر:

(١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم، ج١، ص٤٩٨. لذهبي : تذكرة، ج١، ص٨٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات، ج٢، ص٣٨٩. الأصفهاني : حلية الأولياء، ج٣، ص٤١٣.

(٣) الأصفهاني : حلية الأولياء، ج٣، ص٤١٦. أحمد أمين : فجر الإسلام، ص١٧٦.

(٤) ابن حزم : أصحاب الفتا، ص١٥٠. ابن الجوزي : صفة الصفوة، م١، ج٢، ص٩٦.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١٨. محمد سرور : دراسات، ص٨٥.

(٦) ابن سعد : الطبقات، ج٢، ص٣٨٩.

(٧) الأصفهاني : حلية الأولياء، ج٣، ص٤٢٠. ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج٢، ص٨٨.

(٨) محمد الخطيب : السنة قبل التكوين، ص٤٩١.

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١٨. أحمد أمين : فجر الإسلام، ص١٧٦.

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم، ج٧، ص٢٣٤.

(١١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١٨.

(١٢) ابن حزم : أصحاب الفتا، ص١٥٠. ابن الجوزي : صفة الصفوة، م١، ج٢، ص٩٧.



مالك بن أنس:

إمام دار الهجرة ، عالم المدينة كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة"^(١). فقال سفيان بن عيينة: نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس^(٢). ويقول القاضي أبو الفضل رحمه الله : في مالك بأنه أعلم وقته ، وإمامه ، وأعلم الناس ، وأعلم علماء المدينة. وقال الشافعي : مالك أستاذي وعنه أخذنا العلم ، وأضاف: العلم يدور على ثلاثة: مالك ، والليث ، وسفيان بن عيينة . وقال حماد بن زيد : دخلت المدينة ومناديناً ينادي لا يفتي الناس في مسجد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ ويحدث إلا مالك بن أنس^(٣). وقال مالك : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون شيخاً أني أهل لذلك^(٤). وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة^(٥) ، وهو إمام أهل المدينة في الفقه^(٦) ، وأول من أنتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، وأعرض عن ليس بثقة في الحديث^(٧). ونقل الأصفهاني في حلية الأولياء ، عن ابن مهدي قوله : ما بقي على وجه الأرض أحد آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك بن أنس^(٨) . وسئل مالك : ما تقول في طلب العلم ؟ قال : حسن جميل ، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه^(٩). وقال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وما في الأرض

(١) مالك بن أنس : المدونة الكبرى ، ج ١ ، ص ١٥ . الترمذي : سنن ، ج ٣ ، ص ٤٧٦ .

(٢) لترمذي: سنن ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ . ابن عياض : ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٣) ابن عياض : ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٨٦ ، ص ١٤١ .

(٤) مالك بن أنس : المدونة الكبرى ، ج ١ ، ص ١٧ . الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٦ ، ص ٣٤٥ .

(٥) ابن حزم : أصحاب الفتا ، ص ١٥٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٨٨ .

(٦) ابن الجوزي : أهل الأثر ، ص ٤٦٠ . وأنظر : صفة الصفوة ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(٧) ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج ٥ ، ص ٣٢٦ . السخاوي : التحفة ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٨) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٦ ، ص ٣٤٧ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ .



كتاب في العلم أكثر صواباً من الموطأ^(١) توفي بالمدينة سنة مئة وتسع وسبعين للهجرة^(٢) .

هؤلاء الفئة من الصحابة هم من أسس مدرسة المدينة ، في مختلف فروع العلوم، كيف لا وهم الذين تربوا على أيدي نبي هذه الأمة، وعلى أيدي أصحابه من المهاجرين والأنصار .

وقد كان لهؤلاء العلماء دور هام في نشر العلوم ،وفي تدريسها إلى طلاب العلم من الأمصار الإسلامية، حتى أصبحت المدينة في العصر الأموي، منارة للعلم ، ولطلابه.

ثانياً : العلوم الإسلامية

كانت هذه الحركة أكبر الحركات وأوسعها نطاقاً ، فقد أقبل الناس على القرآن يفهمون معانيه ، ويفسرون آياته ، ويستنبطون منه الأحكام ، وكذلك فعلوا في الحديث ، والفقه، والسيرة والتاريخ. وقد بدأت هذه الحركة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت في الاتساع بعده ، وقام أصحابه بقسط وافر منها^(٣). ومن أهم هذه العلوم الدينية:

أ- القرآن الكريم :

حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم القرآن، وقال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^(٤) وقد نشأ علم قراءة القرآن نظراً لأن النص القرآني آنذاك كان خالياً من النقط والحركات، ولأن نزوله على سبعة أحرف أدى إلى نشوء بعض الاختلافات في قراءته ، وبرز في القراءات عدد من الصحابة في المدينة ، ومنهم عبد الله بن

(١) السخاوي : التلخفة ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ . عبد الحليم الجندي ، ملك بن أنس ، ص ١٨٨ .

(٢) ابن حزم : أصحاب الفتيا ، ص ١٥٦ .

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٤٥ .

(٤) البخاري : صحيح ، ص ٥٩٤ .



مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، والذين كانوا يعلمون المسلمين القراءة الصحيحة للقران^(١). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب"^(٢) وهذا الحديث دليل على أن الرسول أجاز أكثر من قراءة وأكثر من مصدر للقران الكريم.

وفي عهد عثمان بن عفان اشتهر عدد من الصحابة بالقراءة بين الناس. وظهر الاختلاف بين الناس في غزوة أرمينية سنة ثلاثين حول القراءة ، فأمر عثمان زيد بن ثابت، ومجموعة من الصحابة ، أن ينسخوا آيات القرآن في المصاحف، وقال لهم: إن اختلفتم على شيء في عربية من عربيات القرآن، فاكتبوا بلسان قريش^(٣). وعثمان ولاشك وفق لأمر عظيم ورفع الاختلاف بين الناس وجمع كلمتهم حول مصحف واحد^(٤).

واستمر العناية بقراءة القرآن في العصر الأموي في المدينة، وأخذ التابعون من الصحابة في المدينة المنورة زمن الأمويين بتلك العناية ، ومنهم سعيد بن المسيب ، وأبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وسليمان بن سيار ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعمر بن عبد العزيز ، وزيد بن اسلم^(٥).

لقد مثل هؤلاء العلماء من أهل المدينة مركز الحركة الدينية في العالم الإسلامي خلال العهد الأموي ، وبذلك أصبحت المدينة وبفضل هؤلاء العلماء مرجعاً للخلفاء الأمويين لأخذ العلم الديني في جميع مجالاته ، ومدرسة أساسية في هذا المجال .

(١) البخاري: صحيح، ج٦، ص٥٨٢-٥٨٣ للسيوطي: الإتيان في علوم القرآن، م١، ص٢٣٧. ابن خلدون: المقدمة، ص٤٣٧.

(٢) البخاري: صحيح، ج٦، ص٥٨٦. السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، م١، ص٢٣٧.

(٣) البخاري: صحيح، ج٦، ص٥٧٩-٥٨٠ للزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٣٧.

(٤) لعسكري: الأوائل، نق١، ص٢١٣. عطية عودة: تاريخ الحجاز، ص٢٨٩.

(٥) الأصفهاني: حلية، ج٣، ص٢٥٩. المقرئ: إمتاع الأسماع، ج٤، ص٢٩٣. السيوطي: الإتيان، ج١، ص٧٣.



بـ علم التفسير :

هو العلم الذي يبحث في أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى أو علم نزول الآيات القرآنية من حيث أسباب نزولها وترتيبها مكية ومدنية ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعداها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها^(١). فقد كان النبي يبين لأصحابه معاني القرآن الكريم، كما يبين لهم ألفاظه، أمثالاً لقوله تعالى: " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يفكرون "^(٢)

فيما حذر أبو بكر من التفسير بالرأي ، نجد ابن عباس يعتمد كثيراً على شواهد الشعر الجاهلي في التفسير^(٣). ويروى: " أن ابن عباس عندما يفسر القرآن يرى على وجهه نور".^(٤) فقد كان عبدالله بن عباس أكثر الصحابة على الإطلاق فتوى ، وهو أعلم من بقي بما أنزل على سيدنا محمد ، وقد خرج معاوية بن أبي سفيان حاجاً مع ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم^(٥) ويعد عكرمة مولى ابن عباس أعلم الناس بالتفسير، وقال إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لي خمسون باباً من العلم^(٦) ويشير السيوطي إلى أسماء الصحابة الذين شاركوا عبد الله بن عباس في التفسير في المدينة ، وهم : علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب . وهؤلاء الصحابة مؤسسو مدرسة التفسير في الإسلام، وحذا حذوهم في ذلك التابعون^(٧) .

كما ورد شيء من التفسير عن غير هؤلاء ،كابي هريرة ، وأنس بن مالك ،

(١) لسيوطي : الإتقان ، ج ٢ ، ص ٧٤

(٢) سورة النحل : آية ، ٤٤.

(٣) لزرکشي : البرهان ، ج ٢ ، ص ١٥٧.

(٤) ابن قيم للجوزية : أعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ١٨-١٩.

(٥) لبلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ٤٤.

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٨٥.

(٧) لسيوطي : الإتقان ، ج ٢ ، ص ٥٥٥.



وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، والسيدة عائشة^(١) . وعندما توسعت الدولة الإسلامية في العهد الأموي ، وانتشر العرب في مختلف أرجائها ودخلت أقوام كثيرة في الدين الإسلامي كان يصعب على بعض الأقوام فهم معاني الكثير من الآيات الشريفة ومغزاها دون شرحها وتوضيحها ، لا سيما وأن القرآن الكريم جاء على أعلى درجات البلاغة اللغوية^(٢) واتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين : يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور : وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة ، ويعرف ثانيها باسم التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل^(٣) . وجل هؤلاء المفسرين من أهل المدينة ممن عاصروا العهد الأموي وهذا دليل على أن المدينة وخلال هذه الفترة كانت مدرسة في جميع العلوم الدينية.

جـ. الحديث:

يقع في المرتبة التالية للقران الكريم ، ولم يزل علم الحديث من عهد الرسول ، أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين وتابع التابعين، خلف بعد سلف ، ولا يشرف بينهم أحد بعد حفظ كتاب الله إلا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم في النفوس إلا بحسب ما يسمع من الحديث عنه^(٤) .

ولم يتم تدوين الحديث النبوي بشمول واستقصاء في عصر السيرة والراشدي، بل اعتمدوا على الحفظ والذاكرة في أغلبه ، خوفاً من الالتباس عند عامة المسلمين ، فيخلطون القران الكريم بالحديث الشريف^(٥) . فقد روي أن عمر بن الخطاب بعث إلى عبد الله بن مسعود ، وإلى أبي الدرداء ، وإلى أبي مسعود الأنصاري ، فقال : ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله ! فحبسهم بالمدينة حتى استشهد^(٦) .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص٣٧٥ . لفسوي : المعرفة ، ج١ ، ص٢٦٤ .

(٢) محمد حسين: بناء الدولة العربية الإسلامية ، ص٤١ .

(٣) لزرركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص١٧٢ .

(٤) ناجي الأنصاري : التعليم في المدينة ، ص١٣٠ .

(٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج١ ، ص٢٦٩ . لموجز في التربية ، ص٢٨ .

(٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج٢ ، ص١٢٠ . الخطيب البغدادي : شرف أصحاب الحديث ، ص٨٧ .



حتى إذا جاء القرن الثاني للهجرة أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية، ودخل تدوين الحديث طوراً جديداً حين آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، فتبنى أمر التدوين وكتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: "أن انظر ما كان من حديث رسول الله ، أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه فأني خفت دروس العلم وذهاب أهله^(١) ويقول الزهري لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها، ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابه^(٢) .

ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي، عروة بن الزبير فقد كان بحراً لا تكدره الدلاء ، وكان الناس يتألفون على حديثه^(٣) ويعد الزهري أول من صنف الكتب فيها^(٤) وعنه يقول مالك بن أنس ما أدركت بالمدينة فقيهاً محدثاً غير واحد فقيل: من هو؟ قال ابن شهاب الزهري^(٥) فقد كان له مجلس للحديث في المدينة^(٦) وكانت مجالس الحديث تعقد في المسجد النبوي^(٧). ويبدو أنه كانت هنالك حلقات ثابتة للحديث في النصف الأول للقرن الثاني للهجرة ومن هذه الحلقات حلقة زيد بن اسلم، في مسجد رسول الله بالمدينة^(٨) وحلقة محمد بن اسحق بالمدينة أيضاً^(٩). بالإضافة إلى مالك بن أنس فقد كان إمام الحديث في عصره^(١٠) .

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص ٣٨٧ . البغدادي : تقييد العلم ، ص ١٠٦ .

(٢) البغدادي : تقييد العلم ص ١٠٨ .

(٣) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج٢ ، ص ٢٠ . ابن قيم لجوزية : أعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٤) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج٣ ، ص ٤١٦ . أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٧٦ .

(٥) لبلانري : أنساب ، ج ١٠ ، ص ٤٩ .

(٦) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٤١٨ .

(٧) لبلانري : أنساب ، ج ١٠ ، ص ٤٩ . الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٤١٣ .

(٨) pedersom , "masjed" the encyclopedia of islam, vol:3, p:351 .

(٩) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٥ ، ص ٤٤٣ .

(١٠) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، م ١ ، ص ٢٤٠-٢٤١ .

(١١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ١٣٢ .



د- علم الفقه:

يشمل الفقه أحكام العبادات، والمعاملات، التي يبنّيها الكتاب والسنة والإجماع والقياس^(١). وقد حث النبي أصحابه على تحصيل هذا العلم والحرص عليه، فعن معاوية بن أبي سفيان قال، قال رسول الله: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد^(٣) وعن أبي سعيد الخدري قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قعدوا يتحدثون كان حديثهم الفقه^(٤) وكانت تعقد الحلقات الفقهية في مسجد الرسول في المدينة^(٥) وقد كانت عائشة أم المؤمنين، أفقه الناس، وأعلم الناس^(٦). وذكر ابن سعد: أن عبد الله بن عباس كان يدرس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم علوم الدين، وكان يخصص يوماً في الأسبوع للفقه^(٧). ومن أئمة الفقه زيد بن ثابت، والذي اشتهر في الفقه إذ تخرج عليه جماعة من فقهاء المدينة^(٨). وكان لهؤلاء الفقهاء دور بارز خلال الفترة الأموية في تطور علم الفقه في المدينة حتى أصبح أهل المدينة، هم المرجع في الفقه والإفتاء^(٩)، فكان الخلفاء الأمويون لا يقطعون أمراً دونهم، ففي سنة ٨٧هـ، عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة، وفي هذه السنة ولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة، فلما قدم المدينة

(١) الموجز في التربية العربية الإسلامية ص ٢٨.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ج ١، ص ١٦٠.

(٣) لترمذي: سنن، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣٧٤.

(٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم، ج ١، ص ٢٢٢. وانظر: m.hamiduila, educational system in the time of

prophet Islamic culture, vol:13, p55

(٦) لثيبابوري: المستدرک، ج ٤، ص ١٤.

(٧) ابن سعد: الطبقات، ج ٨، ص ٣٦٨.

(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٩) ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج ١، ص ٢٢-٢٣.



نزل دار مروان. وجاء الناس عليه وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم: عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد . فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : " إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامه ، فأخرج على من بلغه ذلك إلا أبلغن . فخرجوا من عنده يجزونه خيراً " (١). وقد كان الأمير عمر بن عبد العزيز أحد تلاميذ هؤلاء الفقهاء ، الفقيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (٢). وهو أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه والحديث وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وعن الزهري أنه قال : سمعت من العلم شيئاً كثيراً ، فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كآني كنت في شعب من الشعب فوقعت في الوادي ، وقال مرة : صرت كآني لم أسمع من العلم شيئاً . وكان عمر بن عبد العزيز يقول ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بديهة (٣) .

وممن برزوا أيضاً في هذا المجال في الفترة الأموية ، سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) ، وهو أحد فقهاء المدينة ، حيث كانت له حلقة فقه في المسجد النبوي بالمدينة زمن عبد الملك بن مروان (٤)، وكذلك الأمر ربعة الرأي (ت ١٣٦هـ) فقد كان فقيهاً مجتهداً، وبه تفقه الإمام مالك ، حيث كان له حلقة فقه في المسجد النبوي، وكذلك الأمر أبي سلمة المدني (ت ١٦٤هـ)، ومالك بن انس (ت ١٧٩هـ) (٥).

(١) لطبري : تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٢٧ . ابن كثير : البداية ، ج ٩ . ص ٧٦-٧٧ .

(٢) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٣١١ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٥٠ .

(٣) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٠ . الاصفهاني : الاغانى ، ج ٩ ، ص ٩٧ .

(٤) ملك بن انس : المدونة ، ج ١ ، ص ٧١ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٣٠ .

(٥) القسوي : المعرفة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٣ .

ابن خلكان : وفيلت لعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ . الزركلي : الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٧ .

George makdisi , the rise of colleges , p . 149 .



هـ السيرة والتاريخ :

لم تدون السنة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما دون القرآن الكريم لأنها واسعة متعددة الجوانب ، شاملة لأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله ، وتدوينها في تلك المرحلة فيه حرج كثير ، فقد تختلط بالقرآن الكريم ، ولو كان ذلك من غير قصد ^(١) ولهذا نهى الرسول عليه السلام عن كتابة الحديث بقوله : " لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني ولا حرج " ^(٢) .

ولقد أجمع المحققون على أن جمع أحاديث السيرة والمغازي وتبويبها هو بداية التأليف التاريخي في العصر الإسلامي، وأن السيرة والمغازي هي بداية التاريخ الإسلامي، وأجمعوا على أن تأليف السيرة والمغازي اختصت به المدينة، وتخصص فيه المدنيون، وعلى أن المدينة كانت موطن هذه الدراسة ومعهداها، دون سواها ^(٣) .

وطبيعي أن تكون نشأة كتب السيرة والمغازي في المدينة المنورة ، بوصفها دار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيئة سنته التي عاشها الصحابة وشاهدوا فيها الرسول، وسمعوا أحاديثه ، وشاركوه فيها أحداث نشر الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية، فكانت رواياتهم لأحاديثه تتبع من تلك الدار وتلك البيئة ^(٤) وحين احتاج المسلمون في أنحاء البلاد إلى معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي توجهوا أول ما توجهوا إلى ما يظنون به تلك المعرفة. وتصدى لإيضاح ذلك بالمقابل أبناء الصحابة أنفسهم ^(٥) .

وأول مدرسة للتاريخ كما يقول الدوري هي مدرسة المدينة ^(٦) ففيها كتبت

(١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ١ ، ص ٣٦٩ . محمد سرور : دراسات في السيرة النبوية ، ص ٧٩ .

(٢) مسلم : صحيح ، كتاب الزهد ، ص ١١٤٥ . الخطيب البغدادي : تهذيب العلم ، ص ٢٩ .

(٣) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٤١٦ . أمين مني : التاريخ العربي ومصادره ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ . البغدادي : تهذيب العلم ، ص ١٠٦ . عبد الكريم الوافي : التدوين التاريخي ، ص ٢١٨ .

(٥) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٢ ، ص ٢٠ . البغدادي : تهذيب العلم ، ص ١٠٨ . شاکر مصطفى : التاريخ العربي ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٦) عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ ، ص ٦١ .



السطور الأولى في تاريخ الدولة الإسلامية ، وفي المدينة ولدت الثقافة الإسلامية، ونشأ علم التاريخ عند العرب وبدأ المسلمون يحققون القضايا ويدونون الأحاديث^(١). وهكذا فإن السيرة النبوية هي اللبنة الأولى للكتابة التاريخية عند المسلمين^(٢) ومن رجالها:

أبان بن عثمان، مدني (ت ١٠٥هـ)^(٣) ويعتقد أنه لم يصنع كتاباً في المغازي والسيرة ، وإنما ترك وراءه صحفاً تتضمن شذرات تاريخية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٤).

أما عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ)^(٥) فترتبط المغازي في نشأتها ووجهتها بجهوده^(٦) إذ جعل للدراسة التاريخية بداية قائمة بذاتها حين جمع الكثير من الأحاديث التاريخية في المغازي ورسم بعض الأسس لهذه الدراسة وعبر عن فكرة تاريخية لها أثرها^(٧) وقد نقل عن كتابه في المغازي النبوية كل من ابن اسحاق والواقدي والطبري وابن كثير^(٨) ولكن ما بدأه عروة أتمه الزهري (ت ١٢٤هـ)، إذ يعتبر الرائد والمؤسس لمدرسة المدينة التاريخية المعروفة بمدرسة المغازي^(٩).

(١) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٤١٦ . أمين مدني : التاريخ العربي ، ج ٢ ، ص ٣.

(٢) البغدادي : نقد العلم ، ص ١٠٦-١٠٨ . الوافي : منهج البحث التاريخي ، ص ٢١٨.

(٣) ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١١١.

(٤) حسين نصر : نشأة التكوين التاريخي ، ص ٣٩.

(٥) القسوي : المعرفة والتاريخ ، ج ١ ، ص ٣٠٤ . ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٠٥.

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ١٠٨ . الدوري : نشأة علم التاريخ ، ص ٦١.

(٧) عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ ، ص ٧٦.

(٨) أنظر : السير والمغازي ، لأبن إسحق . والمغازي : للواقدي . والأمم والملوك ، للطبري.

شوقي الجمل : علم لتاريخ ، ص ٤٦ . هاملتون جب : حضارة الإسلام ، ص ١٤٨-١٤٩.

(٩) الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٤١٣ ، ص ٤١٦ . ابن خلكان : وفيات ، ج ٢ ، ص ٣١٨.

الدوري : علم التاريخ ، ص ٧٦-٧٧ . الوافي : منهج البحث التاريخي ، ص ٢٢١.



ثالثاً : الجانب الأدبي في المدينة

لقد ازدهرت الحياة الأدبية في المدينة ازدهاراً كبيراً . وأصبحت محط الأنظار من قبل أصحاب الفنون الأدبية خاصة في الفترة الأموية . وقد علل بعض أصحاب المصادر والمراجع هذا التطور إلى الثراء والغنى عند أهل المدينة. نتيجة الفتوحات الإسلامية مما أدى إلى تراكم كثير من الأموال في المدينة .

ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين. فقد ذكر اليعقوبي : أن أموال الفيء أخذت تنهال على أهل المدينة بعد فتح فارس والشام . فكان أبو بكر يقسم بين الناس بالسوية ، ولا يفضل أحداً على أحد^(١).

ولما جاء عمر بن الخطاب جاءتته كنوز الأرض مما كان يفتحه العرب ، فكان يوزع هذه الكنوز على المسلمين . فقد روي أن أبا هريرة وفد عليه من البحرين في أول خلافته فقال له : ما جئت فيه ؟ قال جئت بخمسمائة ألف. قال: هل تدري ما تقول ؟ قال : مائة ألف ومائة ألف وعدّ خمساً ، فخطب عمر في الناس : " إنه قدم إلينا مال كثير ، فإن شئتم أن نعهده لكم عدّاً ، وأن شئتم أن نكيله لكم كيلاً^(٢) . وقد اتسع ثراء أهل المدينة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان، حيث فتحت البلاد الواسعة وكثر الخراج، وأتاه المال من كل وجه، حتى أخذ الخزائن، وأدر الأرزاق^(٣) مما انعكس ذلك على مظاهر الحياة المختلفة في المدينة ، فقد شيدت القصور وبنيت بالآجر والجص واتخذ أبوابها من الساج^(٤) فقد ذكر أن طلحة بن عبيد الله شيد داره وبنّاها بالآجر والجص والساج^(٥) كما أبتنى عبد الرحمن بن عوف داراً ووسّعها^(٦).

(١) اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

(٢) لبلاذري : فوح البلدان ، ص ٦٣٥-٦٣٦ . اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣) لسيوطي : تاريخ للخلفاء ، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ . شوقي ضيف : التطور والتجديد ، ص ٢٥ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .



لقد سلك نفر كبير من الأغنياء سبيل الإسراف فتوافدوا على المدينة ، فازدهرت بهم وشيدت فيها الدور . وقد جمعت لهؤلاء الأغنياء والأشراف في قصورهم طوائف من الخدم والرقيق يقومون على خدمتهم وييسرون لهم سبيل اللهو والمرح^(١). كون هؤلاء الفئة أتقنت بعض الصنائع مثل اللعب على الآلات الموسيقية وفنون الغناء المختلفة^(٢) وهكذا فقد كان لازدياد الثروة والترف في المدينة أن انصرف بعض الناس فيها إلى التعلق بهذه الفنون حتى أصبحت المدينة مركزاً لأصحاب هذه الفنون الأدبية وموئلاً لهم^(٣).
ومن أهم الفنون الأدبية التي ظهرت في المدينة وانتشرت وازدهرت في العصر الأموي : الشعر والغناء .

الشعر والغناء في المدينة

أولاً: الشعر:

وردت لفظة الشعر والشعراء في القرآن الكريم في عدة مواضع ، معظمها كان رداً على الاتهامات الباطلة التي روجها الكفار الذين بهرتهم فصاحة القرآن وإعجازه ، فاعتبروه نوعاً من الشعر . وقد حدد الإسلام منهجاً أخلاقياً لدور الشعر في الجهاد ضد الظالمين وأعداد المسلمين . وحارب منهج الغاوين ومن تبعهم ، لما في منهج الغاوين من انفعالات لا ضابط لها ، وأحلام مهومة تشغل أصحابها عن تحقيقها . ويروي ابن حجر : إن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال لمالك بن عمير السلمي، وكان شاعراً: إن كان ولا بد لك من الشعر فشبيب بأمرأتك، وامدح راحلتك^(٤).
وكان حسان بن ثابت شاعر النبي والمناضل عنه وله قال النبي: " اهج مشركي قریش ومعك روح القدس، والله أن كلامك لأشد عليهم من وقع السهام في

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، ص ٣٤١-٣٤٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ .

(٣) ابن القيسراني : لسماع ، مقدمة المحقق ، ص ١٤ . فليب حتى : تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٤) ابن حجر : الإصابة ، ج ٣ ، ص ٣٥١ . عبد الله إدريس : مجتمع المدينة ، ص ٢٣٢ .



غلس الظلام^(١). كيف لا وهو ديوان العرب كما وصفه ابن عباس إذ قال : إذا خفي عليكم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ارجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك منه ^(٢) وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: "عليكم بالشعر فإنه يعرب ألسنتكم"^(٣). وعن أبي الضحى عن مسروق قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشببُ بأبيات له ^(٤).

وجاء في العقد الفريد ، أن سعيد بن المسيب، قال : كان أبو بكر شاعراً ، وعمر شاعراً ، وعلي شعر الثلاثة^(٥) ومن شعراء التابعين عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة . وله يقول سعيد بن المسيب: أنت الفقيه الشاعر^(٦) وكان عروة بن أذينة من أرق الناس شعراً ، وهو من فقهاء المدينة وعباده^(٧).

وقال أبو الزناد : ما رأيت أروى للشعر من عروة بن الزبير ، قلت له : ما أرواك يا أبا عبد الله ؟ فقال : وما روايتي مع عائشة رضي الله عنها ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً^(٨). وكان سعيد بن المسيب يحب أن يسمع الشعر ولا ينشده^(٩) وقد حفلت أشعار المسلمين بروح جديدة ، وبمعاني سامية، تحبب إلى الإسلام وتدعو له. فإنشاء الشعر ونظمه ليس حرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره^(١٠).

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٤ ، ص ٣٥٥. ابن عسكرو: تاريخ دمشق ، ج ١٢ ، ص ٣٨٦. اللوسي : بلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ١٣٢.

(٢) الكتاني : الترتيب الإدارية ، ج ٢ ، ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣١.

(٤) مسلم : صحيح، كتاب فضائل الصحابة ، ص ٩٦٩.

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٤٨. الكتاني : الترتيب ، ج ١ ، ص ٢١٠.

(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٤٩.

(٧) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٥٤.

(٨) الأبيهي : المستطرف ، ج ١ ، ص ٢٠٨.

(٩) ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٣٣.

(١٠) الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١١٠. عبد الله ادريس : مجتمع المدينة ، ص ٢٣٣.



وفي هذا العصر أخذ الشعر في المدينة يزدهر و يتفرع إلى فرعين كبيرين : فرع تقليدي ، وفرع غنائي ^(١) ونستطيع تعليل ظاهرة نهضة الشعر في المدينة هنا، لأسباب منها ازدهار الغناء في المدينة في العصر الأموي مما انعكس أثره على ازدهار الشعر الغنائي ، وهذا ما دفع الشعراء إلى الانصراف عن الشعر التقليدي والتفرغ للشعر الغنائي ، وكلما توالى الأعوام اكتسب الشعر الغنائي قوة وأنصاراً ، وكاد ينفرد في ميدان الأدب ^(٢). ويضيف طه حسين على ذلك نرى في هذا العصر شعراء يتخذون الغزل لنفسه صناعة وفناً مختاراً، لا يتكفون غيره ولا يعنون بسواه ^(٣). وهذا ما دفع بعض الكتّاب إلى ربط حاضر المدينة في ماضيها، ولا ننسى أن ذكر أن الخلفاء أنفسهم من أهل الأدب، نفوسهم شاعرية حساسة. فقد حدث معلوية بن أبي سفيان عن ذلك فقال : "اجعلوا الشعر اكبر همكم واكثر دأبكم" ^(٤) وكان خلفاء بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم ، وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس ويقترحون عليهم أن يصفوا شيئاً ويجزون المجيد ^(٥) وقد ارتبط شعراء المدينة بعلاقات طيبة وحميمة بخلفاء بني أمية، حتى أصبحوا مقربين لهم، لدرجة مجالستهم وإغداق الهدايا والأموال عليهم، فقد أنشد نصيب الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد أنت أشعر أهل جلدتك. ودخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ذات يوم، فأنشده قصيدة أمتدحه بها فطرب لها يزيد وأستحسنها ، فقال له أحسنت يا نصيب! سلني ما شئت. فقال "يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة"! فأمر به فملئ فمه جوهراً ^(٦) وعلى شاكلة ذلك وفد الأحوص شاعر المدينة على الوليد بن عبد الملك فأمتدحه فأنزله الوليد منزلة

(١) شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ، ص ١٠١.

(٢) ابن القيسراني : السماع ، ص ١٤-١٥.

(٣) طه حسين : حديث الأربعاء ، ص ١٦.

(٤) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ١ ، ص ٢١٤.

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٢٦٧ ، ج ٤ ، ص ٢٥٠-٢٥٢.

(٦) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٢٧٨-٢٧٩.



وقد أخبر يزيد بن عبد الملك الأحوص أنه معجب بشعر له في مدحهم^(١).

ووفد الفرزدق على المدينة في سنة مجدبة حياء، فمشي أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له: أيها الأمير، أن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً، فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه، وتقدم إليه ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء، فبعث إليه عمر وأمر له بأربعة آلاف درهم، حتى لا يتعرض لأحد بمدح ولا هجاء^(٢) ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، وفد إليه شعراء المدينة كما كانت تفد على الخلفاء من قبله، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم في الدخول، حتى قدم عدي بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة، فلما دخل على عمر قال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك، فقال: فمن بالباب ممن ذكرت؟ قال: الأحوص الأنصاري. قال: أبعد الله، والله لا يدخل علي أبداً، أليس هو القائل، وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه.

الله بيني وبين سيدها يفر مني بها وأتبعه^(٣).

وكان الأحوص يرمى بالابنة والزنا، وشكى إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر، فدخل إليه عدد من الأنصار فكلموه فيه، وسألوه أن يرده إلى المدينة^(٤)، وممن ذكر بالباب من الشعراء أيضاً، جميل بن معمر العذري، وكثير عزة^(٥).

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٤، ص ٤١٨، ص ٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢١، ص ٢٦٣.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ٢٨٤-٢٨٥. الأبيهي: المستطرف، ج ١، ص ٢١٤.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤٢٤.

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤١٥. الأبيهي: المستطرف، ج ١، ص ٢١٥-٢١٦.



وكان للمرأة أيضاً في المدينة مساهمة في قول الشعر، وفي حفظه وروايته، فقد كانت سكينه بنت الحسين تحفظ شعراً لعروة بن أذينة، إذ مرت به يوماً فأنشدته شعراً وسألته أكون له أم لا. ويذكر أن لسكينه بنت الحسين وصيفة كانت تروي أشعار فحول الشعراء، كالفرزدق، وجرير، وكثير، ونصيب^(١). ومما قالته سكينه في رثاء زوجها مصعب بن الزبير لما قتل:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذي يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما^(٢).

ودخل الفرزدق على سكينه بنت الحسين، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال أنا، قالت: كذبت! صاحبك جرير أشعر منك^(٣)
وكانت سكينه من أجمل نساء زمانها، وأعقلهن. وقد قال عمر بن أبي ربيعة شعراً فيها:

قالت سكينه والدموع ذوارف تجري على الخدين والجلباب^(٤).

وذكر الأصفهاني: "إن نسوة من من أهل المدينة اجتمعن، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره، فتشوقن إليه وتمنينه، فقالت سكينه، أنا لكن به. فأرسلت إليه رسولاً وواعدته، وسمت له الليلة والوقت، وواعدت صاحباتها، فوافاهن عمر على راحلته، فحدثهن حتى أضاء الفجر^(٥). ويذكر أيضاً أن نسوة اجتمعن عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلني إلى الأحوص، فإننا نحب أن نتحدث معه ونسمع من شعره^(٦).

(١) ابن عساكر: تراجم النساء، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) الحصري القيرواني: زهرة الأدب، ج ١، ص ١٠٢.

(٣) الأصفهاني: الأغني، ج ١، ص ١٠٧، ص ١٣٩، ص ١٤٦، ج ٢، ص ٥٨٤. عائشة عبد الرحمن: سكينه، ص ١٣٣.

(٤) الحصري القيرواني: زهرة الأدب، ج ١، ص ١٠٢.

(٥) الأصفهاني: الأغني، ج ٨، ص ٢٥٣.

(٦) المصدر نفسه، ج ١٧، ص ٢٢٥.



ومن نساء المدينة الناشطات في هذا المجال في العصر الأموي ، عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فقد وفدت على هشام بن عبد الملك ، فبعث إلى مشايخ بني أمية ليسمروا عنده تلك الليلة بحضور عائشة . فما تذكروا شيئاً من أشعار العرب إلا أفاضت معهم فيه^(١). ومر النميري الشاعر بعائشة بنت طلحة ، فقالت له : أنشدني ما قلت في زينب أخت الحجاج فأنشدها قصيدته بها، فقالت: والله ما قلت إلا جميلاً ، ولا وصفت إلا كرماً وطيباً وتقى وديناً ، أعطوه ألف درهم^(٢) .

وبعثت عائشة بنت طلحة إلى كثير ، فقالت له : يا ابن أبي جمعه ما الذي يدعوك إلى أن تقول الشعر في عزة ، وليست على ما تصف من الحسن والجمال، لو شئت صرفت ذاك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا أو مثلي ، فأنا أشرف وأوصل من عزة^(٣) .

لقد كانت المرأة ذواقة للأدب ، ناقدة للشعر،خبيرة بضروبه، وأوزانه، وقوافيه، إذ كانت قبلة للشعراء يحتكمون إليها في شعرهم ، ويقبلون حكمها الذي لا يرد بقبول حسن. ويفترض بالناقد أن يكون أكثر مقدرة وعلماً من صانع الشيء^(٤).

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١١ ، ص ١٢٨ . الزركلي: الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٤٠.

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١١ ، ص ١٩٠.

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤١٥-٤١٦.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢ ، ص ٥٧٧ . ج ١٦ ، ص ١٦٣-١٦٤.

المعقري : الحدائق الغناء ، ص ١٥٠. عبدالله بشا يره ، دور المرأة، ص ١٥٤



الغناء:

وقد وقع خلاف حول الغناء والسماع ، وثار الجدل حوله بين الأئمة والفقهاء وعلماء الأمصار حول إجازة ذلك أو تحريمه^(١) .

وليس نحن هنا بصدد البحث في إجازته أو تحريمه ، بقدر ما نحن نبحث عن مدى تطور هذه الصناعة في موضوع بحثنا المدينة.

فالمدينة لم تنقطع عن الغناء في عصر الرسول والخلفاء الراشدين وأن كانت لم تسرف فيه ، إلا أنها على كل حال تأخذ منه نصيباً^(٢). فقد ورد أن أبا بكر دخل على عائشة وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى عليه بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله عن وجهه، وقال :دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد^(٣) .وقد علق ابن الجوزي على ذلك بالقول: الظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرب إليها الجواري فيلعبن معها^(٤). ربما أن هذا التعليق غير صائب لأن الرسول عليه السلام برر هذه الإجازة لأبي بكر بالعيد وليس بصغر السن، إضف إلى ذلك أن الضرب على الدف مسموح به.

وروي أنه نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشة فقال لها رسول الله: "أهديت عروسك قالت : نعم ، قال : فأرسلت معها بغناء ، فإن الأنصار يحبونه ، قالت: لا ،قال:فأدركيها بأرنب - امرأة كانت تغني بالمدينة^(٥).

ومر رسول الله بحسان بن ثابت وهو بفناء أظمة ومعه سباطان من أصحابه، وجاريتهم تغنيهم فانتهى إليها وهي تقول :

(١) ابن القيسراني : السماع ، ص ٥.

(٢) شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ، ص ٥٨.

(٣) ابن ماجه : سنن ، ج ٢، ص ٤٤٥. ابن القيسراني : السماع ، ص ٣٨.

(٤) ابن الجوزي : تلييس إبليس ، ص ٢٥٧.

(٥) ابن ماجه : سنن ، ج ٢، ص ٤٤٥. ابن القيسراني : السماع ، ص ٤٠. ابن الجوزي : تلييس إبليس ، ص ٢٧٥.



هل عليّ ويحكما إن لهوت من حرج

فتبسم رسول الله وقال لا حرج^(١).

والغناء هنا يقصد به نشيد العرب للشعر ، وإنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء ، وكانوا يغنون به ليس مما يطرب ولا كانت دفوفهم على ما يعرف اليوم^(٢). ولم يتسع الغناء في عصر أبي بكر وعمر كثيراً ، إنما اتسع في عصر عثمان^(٣) ومن بعده فترة الخلفاء الأمويين إذ أخذت المدينة تكتظ بالمغنين من الفرس والروم وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير ، وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا عليها أشعارهم^(٤) ونلاحظ هنا أن محترفي الغناء هم من الموالي والرقيق من غير العرب^(٥) وكان أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق : طويس ، وهو الذي علم ابن سريح ، ومن غنائه في الإسلام:

قد براني الشوق حتى كدت من شوقي أذوب^(٦)

وقدم ابن سريح المدينة ، فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسن الناس غناءً ، إذ مرّ بهم طويس فسمعهم وما يقولون ، فأستل دفة من حضنه ونقره وغنى ، فلما سمعه ابن سريح قال: هذا والله أحسن الناس غناءً لا أنا،^(٧) وابن سريح مشهور بالنيابة ، فقد ناح على قتلى المدينة يوم وقعة الحرة ، وبعثت سكينه بنت الحسين إليه بمملوك لها يقال له عبدالمالك ، وأمرته أن يعلمه النياحة^(٨).

(١) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٣٦. الكتاني : لترتيب ، ج ٢ ، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) ابن الجوزي : تلبس إبليس ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٧٣.

(٣) لطبري : تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٩٨.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧.

(٥) ابن الجوزي : تلبس إبليس ، ص ٢٥٨. الكتاني : لترتيب ، ج ٢ ، ص ١٢١.

(٦) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٣ ، ص ٢١ ، ص ٢٧-٢٨. محمد رشيد : مدنية العرب ، ص ٤٢.

(٧) النويري : نهاية الأرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٨) الأغاني : الأصفهاني ، ج ١ ، ص ٢١٠.



وقال إسحاق : أصل الغناء أربعة نفر : مكيان ومدنيان ، فالمكيان ابن سريح وابن محرر ، والمدنيان : معبد ومالك^(١) .

وهكذا أخذت المدينة تستعد بفضل هؤلاء الموالى الأجانب لأن تصبح أهم مركز للغناء في العصر الأموي . فقد أخذت الدولة الأموية تعنى بالمغنين وتشجعهم لإجادتهم في فنهم فهي تستقدمهم تارة ، وتحج فتستمتع إليهم تارة أخرى ، ممثلة بالخلفاء والأمراء . وكل من يقرأ أخبار هؤلاء المغنيين يلاحظ أن منزلتهم أخذت ترتفع في بلاط الخلفاء الأمويين حتى ليظن أنهم سبقوا الشعراء ، فقد كانوا يغنون هؤلاء الخلفاء وينادونهم ويعودون من عندهم وقد ملأوا حجورهم ذهباً وفضة^(٢) . فقد كان معبد إمام أهل المدينة في الغناء وكان مولى لمعاوية بن أبي سفيان وكان من أحسن الناس غناءً، وأجودهم^(٣) وكان سائب خاثر يقيم عند يزيد بن معاوية وكان يخلع عليه ويصله وي زيد هو أول من سنّ الملاحى في الإسلام من الخلفاء وأوى المغنيين^(٤) وقد أستدعى سليمان بن عبد الملك (الدلال) سرّاً فغناه فطرب وقدم المدينة فجمع المغنين وسبق بينهم ببدة وقال: أيكم كان احسن غناء فهي له^(٥) وكان كل من معبد وابن سريح يأتیان من المدينة دمشق ويقیمان عند يزيد بن عبد الملك^(٦) ومن الدلائل على كثرة المغنين في المدينة، أن الوليد بن يزيد حمل المغنيين من المدينة إلى دمشق، وكان الوليد قد لهج بالغناء، فقد ذكر أن الوليد طلب من ابن عائشة أن يغني له ، وله مائة ألف درهم^(٧) .

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٢) لبلانري : أنساب ، ج ٩ ، ص ١٢٧ . عبد الجبار السامرائي : الشعر والغناء ، ص ٢٩٨ .

(٣) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٣٦-٣٧ . النويري : نهاية الأرب ، ج ٤ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٤) لبلانري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٢٩٩ . الأصفهاني : الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٩٢ . خليل مردم : جمهرة المغنين ، ص ٦٦ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٧ ، ص ٤٧ .

(٦) لبلانري : أنساب ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ .

(٧) لبلانري : أنساب ، ج ٩ ، ص ١٢٧ ، ص ١٥٦ . اليعقوبي : مشكلة الناس لزمائمهم ، ص ٢١ .

الأصفهاني : الأغاني ، ج ٧ ، ص ٢٣ ، ص ٣٥ ، ج ٢ ، ص ٤٧٨-٤٧٩ . النويري : نهاية الأرب ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .



وروي أن الوليد بن يزيد أشتاق إلى معبد ، فوجه إليه البريد إلى المدينة فأحضره فقال له غني يامعبد :

لهفي على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا
وقد وهبه الوليد عشرة آلاف دينار تحصل له في بلده، وألف دينار لنفقة طريقه^(١) وكان الوليد يقول ما أقدر على الحج ، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال : يستقبلني أهل المدينة بصوتي معبد : القصر فالنخل فالجماء بينهم^(٢).

وأشتهر من المغنيين في المدينة أيضاً كل من يونس الكاتب، وابن سريح ، وله غناء حسن ، وهو أول من دون الغناء،^(٣) ومالك الطائي ، وهو مغن عربي أصيل^(٤) وعطرّد، وكان جميل الوجه حسن الغناء ، فقد كتب الوليد إلى عامله على المدينة يأمره بالشخص إليه بعطرّد المغني، فقال له الوليد: لقد كنت إليك مشتاقاً يا أبا هارون غني^(٥). ولعبد الله بن جعفر دور بارز في مجال الغناء في المدينة، فقد كان يقول : " إن للطرب لأريحية لو لقيت عندها لأبليت، ولو سألت لأعطيت"^(٦).

وكان لعبدالله بن جعفر غلام فارسي سقط إليه يقال له نشيط، وكان يغني بالفارسية، ويضرب على غنائه بالعود،^(٧).

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١، ص ٧٢-٧٣. المعافري : الحدائق الغناء ، ص ٨٩-٩٠. النويري: نهضة الأرب ، ج ٤ ، ص ٢٦٣.

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ٦٤.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ٤، ص ٥٢٩. النويري: نهضة الأرب، ج ٤، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٥ ، ص ١٠١ . شوقي ضيف: الشعر والغناء ، ص ٨٤.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج ٣، ص ٢١٥. النويري: نهضة الأرب ، ج ٤ ، ص ٢٠.

(٦) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٢١.

(٧) لبلاذري : أنساب ، ج ٢، ص ٣٠٣.



وذكر أن " عبدالله بن جعفر أدخل سائبا على معاوية، فأخذ بحلقة باب البيت وجعل يوقع بها ويغني معاوية ، ومعاوية يحرك رجله ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ، فقال : أن الكريم طروب^(١) .

وكان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه وكان يخشى عبدالله بن جعفر فسمع يوماً جارية مغنية لبعض النخاسين تغني مترنمة :

بانّت سعاد فأمسى حبّ لها انقطعا واحتلت الغور فالجدين فالفرعا
فأشتهر بها وهام ، وترك ما كان عليه^(٢) .

وروي أن رجل من آل جعفر بن أبي طالب كان يهوي جارية مغنية فطال ذلك به، فقال للزبير : قد شغلّتي هذه عن ضيعتي وعن كل أمري، فاذهب بنا حتى نكاشفها، فقد وجدت بعض السلو . فأتيناها فقال لها الجعفري أتغنين :

وكنّت أحبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام
فقلت : لا ، ولكني أغني :

تحمل أهلها منها فبانوا على آثار من ذهب العناء
وأغني :

فإن تقبلوا بالودّ نقبل بمثله وإن تدبروا أدبر على حال باليا^(٣) .

نلاحظ مما سبق أن المدينة زخرت بوجود المغنيين فيها، وبدون شك في ذلك أو جدل، وربما أنها تفوقت على غيرها في هذه الفترة بالذات لتجمع هؤلاء المغنين، ولقد أختلط الغناء المسموح به بغير المسموح، فقد أورد الزبير بن بكار صورة واضحة لهذا الوضع: أن عبد الله بن عمر دخل على عبد الله بن جعفر، فأمر بإخراج جواريه، فقال لهن : تغنين لمعبد ؟ ففعلن. فقال ابن عمر: هذا الحداء. فقال

(١) لبلازي : أنساب، ج ٥، ص ٣٣.

(٢) التتويحي : المستجاد ، ص ١٩-٢٠ . ابن خردلاية : اللهو والملاهي ، ص ٣٩.

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٣٧٤-٣٧٥.



لهن تغنين للغريض؟ فقال ابن عمر هذا البكاء .فقال لهن: تغنين لابن سريح ؟ ففعلن. فنفض ابن عمر ثوبه، وقام وقال: هذا نُهينا عنه^(١).

هذا ولم يقتصر الغناء في المدينة على الرجال فقط ، بل كانت هنالك حظوظ وافرة للنساء في هذا المجال ومنهن:

جميلة المغنية:

مولاة الأنصار ، أعلم خلق الله بالغناء ، فقد أخذ عنها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة وغيرهم،^(٢) وكان معبد يقول : أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين،^(٣) ثم أنها جلست لتعليم الجواري وتدريبهن الغناء ، وضرب العود في منزلها^(٤) ومما يشير بأهمية الدور الذي قامت به جميلة المغنية في تدريب الجواري وتعليمهن الغناء ، أنها لما أرادت الحج ، خرج معها من المدينة خمسون قينة مشيعات لها ومعظمت لقدرها ، ومن المغنين خرج معها طويس والدلال ومعبد ومالك بن أبي السرح وأبن عائشة ، ومن النساء المغنيات عزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليده وعقيلة والزرقاء ، ومن غير المغنين أبن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب^(٥) وقد اتخذت جميلة لنفسها في المدينة داراً كبيرة ، وكانت هذه الدار تمتلئ بالمغنين والجواري، وتقام فيها حفلات باذخة للغناء، وكان يشترك في هذه الحفلات بعض المغنين من مكة والمدينة وكذلك الأمر من المغنيات^(٦) وقد عاشت حتى عصر يزيد بن عبد الملك^(٧) .

(١) لزبير بن بكار : الموفقيات ، ص ١٦٨ .

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ٨ ، ص ٣٥٣ . لنويري نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٤١ .

(٣) النويري: نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٤١ . الزركلي: الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٤)النويري: نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٤٢ .

(٥) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٨ ، ص ٣٦٧-٣٦٨ .

(٦) الأصفهاني: الأغاني ج ٨ ، ص ١٨٨ . شوقي ضيف: الشعر والغناء ، ص ٩٠ .

(٧) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٩ ، ص ٦٧ .



عزة الميلاء:

تذكر إلى جانب جميلة في تأثيرها في الغناء وفي إعداد جملة من المغنيات،^(١) كانت عزة مولاة للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أقدم من غنى الغناء الموقع من نساء الحجاز ، وأخذ عنها معبد ومالك بن السمع وأبن محرز ، وكانت من أجمل النساء وجهاً وأحسنهن جسماً . وسميت الميلاء لتمايلها في مشيتها، وقيل بل كانت تلبس الملاء وتشبه بالرجال^(٢) وقد أعجب بها كثير من الرجال، فكان طويس أكثر ما يأوي إلى منزل عزة، وكان في جوارها^(٣) وكان عبدالله بن جعفر وأبن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها فتغنيهم ، وكان حسان بن ثابت معجباً بها ، وكان يقدمها على سائر قيان المدينة^(٤) .

ودخل النعمان بن بشير في أيام يزيد بن معاوية وأبن الزبير ، فقالا: والله لقد أخفقت أذنائي من الغناء ، فأسمعوني ، فقبل له: لو وجهت إلى عزة الميلاء فأنها من قد عرفت . فقال : إي ورب الكعبة ، أنها لمن تزيد النفس طيباً ، والعقل شحداً ، ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبت صرت إليها^(٥) وإذا ذكر مشايخ أهل المدينة عزة قالوا : لله درها ! ما كان أحسن غناءها و صوتها ، وأندى حلقها ، وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف ، ويرى الأصفهاني: أن عزة أول من فتن أهل المدينة بالغناء ، وحرص نسائهم ورجالهم عليه^(٦). وممن أشتهر من مولدات المدينة أيضاً كل من سلامة القس وحبابة :

أما الأولى فهي مغنية شاعرة ، أخذت الغناء عن معبد وطبقته ، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار ، وقالت الشعر الكثير، وكانت حبابة تتعاطاه

(١) الأصفهاني: الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٧ ، ص ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٧ ، ص ١٠٨ .

(٤) النويري : نهية الأرب ، ج ٥ ، ص ٥١-٥٢ .

(٥) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٢ . ج ١٦ ، ص ٢٩١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١٧ ، ص ١٠٧ .



فلا تُحسن^(١) وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويان منها الشعر، ويناشدانه إياه^(٢) ولما قدم عثمان بن حيان على المدينة والياً عليها، قال له قوم من وجوه الناس: أنك قد وليت المدينة على كثرة من الفساد، فأنت كنت تريد أن تصلح فطهرها من الغناء والرثاء، وقد فعل، وعندما حضرت سلامة إليه وغنت بين يديه، وسمع غناها، قام عثمان من مجلسه وقعد بين يديها، ثم قال لها: لا والله ما مثل هذه نُخرج^(٣) وكانت سلامة وريا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناء، فأجتمع الأحوص وأبن قيس الرقيات عندهما، فقال لهما أبن قيس: أني أريد أن أمدحكما بأبيات :

لقد فتنّت رياءً وسلامةً القسّاً فلم يتركاً للقس عقلاً ولا نفساً^(٤)

والتحقت سلامة المغنية بقصر يزيد ، وقد اشتراها بثلاثة آلاف دينار ، وفي رواية عشرين ألف دينار^(٥) ولما مات يزيد أحضرها أبنة الوليد وأمرها بالغناء ، فتنغصت من ذلك وبكت ، ثم غنته . فقال: رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك ! يا سلامة ، بما كان أبي يقدم حباية عليك ؟ قالت: لا أدري والله قال: لكني أدري ذلك^(٦) .

اما حباية: فكانت ظريفة حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود أخذت الغناء عن أبن سريح وأبن محرز ومعبد وعن جميلة وعزة الميلاء^(٧). وذكر أن يزيد بن عبد الملك حج في خلافة سليمان، فأشترى حباية بأربعة آلاف دينار ، فقال سليمان : هممت أن أحجر عليه ، فرد يزيد حباية فاشتراها رجل من أهل مصر، فقالت سعدته

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٠٧-٢٠٩. الأصفهاني: قطوف ، ص ٧. النويري: نهاية الأرب، ج ٥ ، ص ٥٢.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٩ ، ص ٩٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٨، ص ٣٤٢. أبن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٦٨.

(٤) ابن خرداذبة : اللهو والملاهي ، ص ٣٩. النويري: نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٥٤.

(٥) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٨، ص ٤٦٠. النويري : نهاية الأرب ، ج ٥، ص ٥٧.

(٦) النويري : نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٥٨.

(٧) الأصفهاني: الأغاني ، ج ١٥، ص ٨٥ . ابن عسكرك : تراجم النساء، ص ٨٨. لزركلي: الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٦٣.



ليزيد : يا أمير المؤمنين بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد ! بعد أن أصبح خليفة فقال : نعم حبابة ، فأرسلت سعدة رجلاً فاشترأها بأربعة آلاف دينار^(١) وقد طرب يزيد يوماً وعنده حبابة ، وسلامة فقال : دعوني أطير فقالت حبابة : على من تدع الأمة؟ قال: عليك^(٢). ومكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حبابة سبعة أيام لا يخرج للناس^(٣) .

وفي نهاية هذا الباب نطرح السؤال التالي. هل خرج الغناء في المدينة في العهد الأموي عن المسموح به إلى درجة وصفه أحياناً بالمهرجانات؟ أم كان هذا الغناء ضمن المسموح به ، ولكن صور بخلاف ذلك ! يقول أحمد أمين : " من الحق أن تصور هذا العصر من جميع جهاته، كما كان بالحجاز زهدٌ وورع وتقوى وحديث وفقه، أيضاً كان بالحجاز شراب وتشبيب بالنساء ولهو ولعب كثير. وكما أنتجت الحياة الأولى علماً كثيراً ، أنتجت الحياة الثانية فناً بديعاً من غناء وتنادر وأدب"^(٤) نلاحظ أن أحمد أمين لا ينكر ظاهرة وجود الغناء بالمدينة في هذه الفترة، ولكن يرى أنه كانت هناك حياة أخرى أيضاً نشطة ممثلة بالعلوم الإسلامية. أما السبب الذي جعل ظاهرة الغناء تنتشر في المدينة كما يقول ابن خلدون: "فلما جاءهم الترف وغلب الرفقة بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية، واستحلاء الفراغ، واقتترف المغنون من الفرس والروم فوقعوا في الحجاز"^(٥) ويرجع أحد الباحثين ظاهرة انتشار الغناء في الحجاز إلى مكانة الحجاز في المجتمع الإسلامي وما قيل عن موقف أهله من الغناء^(٦) .

والحق أن المدينة في العصر الأموي هي التي هيأت لنمو الغناء عند العرب على هذا النحو الذي جعله يتحول من صناعة بسيطة إلى صناعة معقدة لها تقاليدها.

(١) لبلاذري: أنساب ، ج ٨ ص ٢٥٧. الطبري: تاريخ ، ج ٧ ص ٢٣.

(٢) طبري: تاريخ ، ج ٧ ص ٢٢. الأصفهاني: الأغاني ، ج ١٥ ص ٩٦.

(٣) طبري: تاريخ ، ج ٧ ص ٢٤. ابن عساکر: تراجم لنساء ، ص ٩٣.

(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٧٦.

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧.

(٦) محمد البطاينة : الحياة الاجتماعية ، ص ٢٤٩.



الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة أن توضح الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي وجدت في المدينة المنورة في العصر الأموي من (٤٠-١٣٢هـ).

وقد استهلكت الدراسة الحديث عن جغرافية المدينة وخططها ، وقد تناولت في هذا التمهيد أسماء المدينة الشريفة، والموقع والمناخ، والقرى والجبال والحرار المشهورة فيها ، بالإضافة إلى الآبار والعيون.

كما تناولت في هذا الفصل خطط المدينة سواء قبل الهجرة أو بعد الهجرة، مبيناً مواقع القبائل وأماكنهم، كما تناولت خطة بيوت النبي ومسجده.

وفي هذا الفصل التمهيدي فائدة كبيرة، لأنه يعطي القارئ صورة واضحة عن معالم المدينة الرئيسية، كما أن لهذا الفصل فائدة لما يليه من الفصول، لأن كل من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه المعالم والتضاريس.

كما تناولت الدراسة الحياة الاجتماعية في المدينة، مبرزة فيها فئات السكان ، من العرب ، والموالي ، والرقيق، ومساهمة كل فئة من هذه الفئات في حياة المدينة. ثم تحدثت عن العلاقة القائمة بين أهل المدينة من جهة وبين الخلفاء الأمويين من جهة ثانية وأثر هذه العلاقة على الحياة الاجتماعية وقد تبين لنا بعد الدراسة أن العلاقة بين الطرفين كانت غير مستقرة، فتارة تغدق الأموال على المدينة وتارة تنقطع عنهم. ولعل للظروف السياسية آنذاك دوراً في فتور العلاقات بين الطرفين.

وقد أبرزت هذه الدراسة أيضاً دور المرأة في مجتمع المدينة ، ومدى مساهمتها في أوجه الحياة خاصة السياسية والأدبية منها .

كما ركزت على المظاهر الاجتماعية السائدة في المدينة، حيث وضحنا أثر الفتوحات الإسلامية على الحياة الاجتماعية في المدينة ، حيث أن كثرة الأموال التي أغدقت على المدينة خاصة في عهد عثمان بن عفان وتراكمها فيما بعد بيد أبناء الصحابة في العصر الأموي كان لها أكبر الأثر في تنشيط الحياة فيها ، فقد لاحظت أن علامات الترف والغنى ظهرت على أهل المدينة في الملبس والمشرب والمسكن، واقتناء الجواري الحسان.



ولعل الفصل الثالث من هذه الدراسة ذو أهمية لأننا من خلاله تعرفنا على التنظيمات الاقتصادية في المدينة قبيل العهد الأموي وبعده، فقد أبرزنا مدى اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم في امتلاك الأراضي خاصة الزراعية منها، اما بالإقطاع أو بالحياء ، واستغلالها بالمزروعات.

ولعل الأمويين وجدوا في أراضي المدينة مكسباً كبيراً لهم ولأبنائهم ، فقد تسارعوا لامتلاك أراضٍ في المدينة ، إما بالشراء أو بالإقطاع ، حتى أصبح البعض منهم يجد مائة ألف وسق وستون من النخيل من أرض المدينة، وقد اختلفت المزروعات في المدينة ما بين النخيل الذي اشتهرت فيه ، والشعير والعنب والتين وغير ذلك من المزروعات. ومن الأماكن التي اشتهرت زراعتها في المدينة منطقة وادي العقيق ، حيث كانت أخصب مناطق المدينة على الإطلاق.

كل ذلك اعطانا صورة واضحة أن أرض المدينة زراعية ، وأن المورد الرئيس فيها هو الزراعة، وهذا لم يأتي من فراغ ، بل لأن توافر المياه، وخصوبة التربة سبب في ذلك.

كما وضحت اهتمام الصحابة بالتجارة ، ومدى الغنى الذي وصل إليه بعض الصحابة، نتيجة عمله في التجارة ، وهذا ما دفع لاحقاً الخلفاء الأمويين إلى إقامة الأبنية في سوق المدينة ، وتأجيرها للناس، كما نشطة الحركة التجارية بين المدينة من جهة وبين الأمصار الأخرى من جهة ثانية ، خاصة مع العراق والشام ، فقد بينا الحاجات الأساسية التي تم التبادل فيها بين الجانبين.

كما أبرزت في هذا الفصل مدى الاهتمام ببناء العمران خاصة المساجد، فقد تتبعنا التطورات التي حصلت على المسجد النبوي طوال هذه الفترة ، بالإضافة إلى المساجد الأخرى في المدينة، ولم يقتصر العمران في المدينة على المساجد ، بل كان للقصور أيضاً اهتمام ، فقد ذكرنا أهم القصور التي وجدت في المدينة في هذا العصر.

وجاء الفصل الأخير من هذه الدراسة ليغطي جانباً هاماً من حياة المدينة في العصر الأموي .



فقد تناولت فيه ثلاث جوانب رئيسية ، الأول منها خصص للجانب التعليمي،موضحين فيه القراءة والكتابة والأدوات ، والكيفية التي فشّت فيها القراءة والكتابة في المدينة، وبيان الدور الذي قام فيه الصحابة لهذه الغاية.

كما أبرزت الدراسة أهمية المراكز والمجالس التعليمية التي وجدت في المدينة ، وأخص بالذكر الكتاتيب ، والمساجد، ومدى مساهمة هذه المراكز في نشر القراءة والتعليم في مجتمع المدينة.

وفي هذا الجانب أيضاً ركزت الدراسة على إبراز دور علماء المدينة في النهضة التعليمية، ومساهماتهم في نشر العلوم.

كما كان للعلوم الدينية التي وجدت في المدينة آنذاك ،من القرآن الكريم ، والتفسير، والحديث، والفقه ، والسيرة والتاريخ نصيباً في الدراسة ، حيث وضحت مراحل تطورها ، وذكر رجالها الذين أبدعوا فيها.

وتناولت الدراسة في الجانب الأخير منها ، موضوعاً هاماً ، قد يكون موضع خلاف لبعض الذين تناولوه من قبل وأخص الشعر والغناء، فقد ركزت الدراسة على مراحل تطور الشعر والغناء في المدينة، وأثر غير العرب من الموالي والرقيق فيه.

فقد وجدت أن الغناء فناً ليس بغريب على أهل المدينة، ولكن هذا الفن أخذ تطوراً هائلاً في المدينة في العصر الأموي ، حيث أشغل بعض أهلها، وبعض الخلفاء من بني أمية، لدرجة أن المدينة أصبحت في هذا العهد مركزاً لهذه الصناعة، نظراً لما وجد فيها من أعداد كبيرة من المغنيين والمغنيات.

كما بينت الدراسة أن القائمين على هذا الفن كانوا من غير العرب من الموالي والرقيق، والذين أحضروا فنون وأدوات هذه الصناعة من بلدانهم.

(وعلى الله فليتوكل المتوكلون)



أ- المصادر المطبوعة:

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأبشيهي : شهاب الدين بن محمد (ت ٨٥٤ هـ) .
المستطرف في كل فن مستظرف ، ط ١ ، ثلاث أجزاء ، تحقيق ، إبراهيم صالح ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩ . ودار التعليم ، بيروت . (ب ت) .
- ٣ - ابن الأثير : أبو الحسن عز الدين علي ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) .
أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط ٥ ، ١ أجزاء ، تحقيق ، خليل محمود ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٧ .
الكامل في التاريخ ، ط ١٠ ، ١ أجزاء ، تحقيق ، أبو الفداء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- ٤ - الأزدي : أبي بكر يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت ٣٣٤ هـ) .
تاريخ الموصل ، (ب ط) ، تحقيق ، علي حبيبة ، لجنة إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٥ - الأصبحي : مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) .
المدونة الكبرى ، ط ٩ ، ١ أجزاء ، تحقيق ، حمدي الدمرداش ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
الموطأ ، ط ١ ، جزأين ، تحقيق ، خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- ٦ - الأصطخري : ابن إسحاق إبراهيم محمد الفارسي (ت في النصف الأول من القرن ٤ هـ) .
المسالك والممالك ، (ب ط) ، تحقيق ، محمد جابر ، دار القلم ، ١٩٦١ .
- ٧ - الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) .
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط ١ ، ١ أجزاء ، تحقيق ، مصطفى عبد القادر ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- ٨ - الأصفهاني : الحسن بن عبد الله (ت ٣١٠ هـ) .
بلاد العرب ، ط ١ ، تحقيق ، حمد الجاسر وصالح العلي ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٨ .
- ٩ - الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ) .
الأغاني ، ط ١ ، تحقيق ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٩٤ . وطبعة دار الكتب .
قطوف الأغاني ، (ب ط) ، تحقيق ، كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٠ .



- ١٠- البخاري: أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ).
صحيح البخاري، ط ٣، ٩ أجزاء، تحقيق، قاسم الشماعي، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧.
- ١١- ألبستي: أبو حاتم محمد بن حبان (ت ٣٤٥ هـ).
مشاهير علماء الأنصار وأعلام فقهاء الأقطار، ط ١، تحقيق، مرزوق علي، دار الوفاء، مصر، ١٩٩١.
- ١٢- البصري: أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢ هـ).
تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، (ب ط)، جزأين، علق عليه، علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت (ب ت).
- ١٣- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩).
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظائر في غرائب الأمصار، ط ٤، تحقيق، علي المنتهر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧.
- ١٤- البغدادى: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت ٤٦٣ هـ).
تاريخ بغداد، ط ١، تحقيق، مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
تقيد العلم، (ب ط)، تحقيق، يوسف العش، دمشق، ١٩٤٩.
شرف أصحاب الحديث، (ب ط)، تحقيق، محمد سعيد، جامعة أنقرة، ١٩٧١.
- ١٥- البغدادى: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الغدادي (ت ٧٣٩ هـ).
مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، ٣ أجزاء، تحقيق، علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.
- ١٦- البكري: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ).
معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ب ط)، أربع أجزاء، تحقيق، مصطفى السقاء، عالم الكتب، بيروت، (ب ت).
- ١٧- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ).
أنساب الأشراف، ط ١، ١٣ جزء، تحقيق، سهيل زكار ورياض زر كلى، دار الفكر، ١٩٩٦.
فتوح البلدان، (ب ط)، تحقيق، عبد الله أنيس و عمر أنيس، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧.



- ١٨- الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ).
سنن الترمذي، ط ١، ٥ أجزاء، تحقيق، محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- ١٩- التنوخي: أبي علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ).
المستجد من فعلات الأجواد، (ب ط)، تحقيق، محمد كرد علي، ١٩٧٠.
- ٢٠- أبن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ).
الحسبة في الإسلام، ط ١، تحقيق، سيد بن محمد، دار الأرقم، الكويت، ١٩٨٣.
- ٢١- الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).
البلدان، (ب ط)، نشره مع مقدمة وتعليقات صالح أحمد العلي، مطبعة الحكومة، ١٩٧٠.
- ٢٢- أبن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ).
تلقيح فهوم أهل الأثر، ط ١، دار الأرقم، ١٩٩٧.
تلبيس ابليس، (ب ط)، تحقيق، آدم أبو سنية، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، (ب ت).
صفة الصفوة، (ب ط)، ضبط، إبراهيم رمضان، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب ت).
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (ب ط) تحقيق، محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- ٢٣- أبن حبيب: أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ).
المحبر، (ب ط)، دائرة المعارف العثمانية، والمكتب التجاري، بيروت، تصحيح، ايلزة، ١٩٤٢.
- ٢٤- أبن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).
الإصابة في تمييز الصحابة، ط ٨، ١ أجزاء، تحقيق، عادل أحمد، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.
تهذيب التهذيب، (ب ط)، تحقيق، خليل مأمون، دار المعركة، بيروت، (ب ت).
فتح الباري، (ب ط)، ١٠ أجزاء، تحقيق، ابن باز، دار الفكر، والمكتبة السلفية، (ب ت).
- ٢٥- الحربي: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم أبو إسحاق (ولد ١٩٨ توفي).
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالج الجزيرة، (ب ط)، تحقيق، حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٩.



- ٢٦- **أبن حزم** : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ).
أصحاب الفتية من الصحابة والتابعين، ط، تحقيق، سيد كردي علي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.
جمهرة أنساب العرب، (ب ط)، جزأين، تحقيق، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، (ب ت).
جوامع السيرة، (ب ط)، تحقيق، إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف، مصر، (ب ت).
- ٢٧- **الحصري**: أبي إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ).
زهرة الآداب وثمر الآداب، ط٤، ٤ أجزاء، تحقيق، محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.
- ٢٨- **أبو حمزة** : محمد بن عبد الله الأنلسي (ت ٦٩٩ هـ).
بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها، ط١، ٤ أجزاء، ١٣٤٨ هـ.
- ٢٩- **الحموي**: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ).
تجريد الأغاني، (ب ط)، ٣ أجزاء، تحقيق، طه حسين وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصر، ١٩٥٧.
- ٣٠- **الحميري** : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ).
الروض المعطار، (ب ط)، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.
- ٣١- **أبن حوقل** : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي، (ت في القرن ٤ الهجري)
صورة الأرض، (ب ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (ب ت).
- ٣٢- **ابن خرداذبة** : أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة الخرساني (ت ٣٠٠ هـ).
كتاب اللهو والملاهي، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣٣- **أبن خلدون** : أبو زيد عبد الرحمن بن ولي الدين (ت ٨٠٨ هـ).
مقدمة ابن خلدون، (ب ط)، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، (ب ت).
- ٣٤- **أبن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (ب ط)، ٨ أجزاء، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ودار صادر، (ب ت).
- ٣٥- **ابن خياط** : أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني، (ت ٢٤٠ هـ).
تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق، أكرم ضياء العمري، دار العلم، بيروت، ١٩٧٧.
- ٣٦- **الذهبي**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ).



- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ط ٣٥، ١ جزء، تحقيق، عمر عبد السلام، دار الكتاب، ١٩٩٠.
- تذكرة الحفاظ، ط ١، ٥ أجزاء، وضع حواشيه، زكريا عمران، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٨.
- سير أعلام النبلاء، ط ١٧، ١ جزء، تحقيق، محب الدين أبي سعيد، دار الفكر، بيروت ١٩٩٧.
- الأعلام بوفيات الأعلام، ط ١، جزأين، تحقيق، مصطفى عوض، مؤسسة الكتب، ١٩٩٣.

٣٧- ابن رسته : أحمد بن عمر (ت ٢٩٠ هـ).

الأعلاق النفيسة، ط ١، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٣٨- الزبير بن بكار: أبو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت ٢٥٦ هـ).

جمهرة نسب قریش وأخبارها، (ب ط)، تحقيق، محمود شاکر، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١.

الأخبار الموفقيات، (ب ط)، تحقيق، سامي مكي، مطبعة العاني، بغداد، (ب ت).

٣٩- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ).

أعلام الساجد بأحكام المساجد، ط ١، تحقيق، أيمن صالح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

البرهان في علوم القرآن، ط ١، ٤ أجزاء، تحقيق، محمد أبو الفضل، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٥٧.

٤٠- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٨٣ هـ).

الأمكنة والجبال والمياه، ط ١، تحقيق، إبراهيم السامرائي، دار عمان للنشر، (ب ت).

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ط ١، تحقيق، عبد الأمير مهنا، ٥ أجزاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢.

٤١- الزهري : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب (ت ١٢٤ هـ).

المغازي النبوية، ط ١، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٠٠.

٤٢- سحنون: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب التتوخي (ت ٢٢٦).

كتاب آداب المعلمين، طبعة جديدة، تحقيق حسن عبد الوهاب، تونس، ١٩٧٢.

٤٣- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ).

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط ١، جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.



- ٤٤- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ).
الطبقات الكبرى، (ب ط)، ٨ أجزاء، دار صادر ، دار بيروت، ١٩٥٧.
- ٤٥- السلمي : عرام بن الإصبع السلمي (ت ٢٧٥ هـ).
أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ط ٣، تحقيق، عبد السلام هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ١٩٥٣.
- ٤٦- السمهودي: نور الدين علي بن احمد المصري (ت ٩١١ هـ)
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط ٤، ٤ أجزاء، تحقيق، محمد محي الدين، دار أحياء التراث بيروت، ١٩٨٤.
- ٤٧- السهيلي : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبي الحسن (ت ٥٨١ هـ).
الروض الأنث في تفسير السيرة النبوية، ط ١، علق عليه، مجدي منصو، دار الكتب، ١٩٩٧.
- ٤٨- ابن سيد الناس: الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري (ت ٧٣٤ هـ).
عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ط ١، تحقيق، محمد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٩٩٢. دار القلم، ١٩٩٣.
- ٤٩- السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير (ت ٩١١ هـ).
الإتقان في علوم القرآن، ط ١، جزأين، تحقيق، عصام فارس، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨.
تاريخ الخلفاء، ط ٣، تحقيق، محمد محي الدين، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٦٤، ودار الأرقم.
التوشيح شرح الجامع الصحيح، ط ١، ٩ أجزاء، تحقيق، رضوان جامع، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٩٩٨.
- الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة، ط ١، تحقيق، محمد زينهم، دار الأمين، ١٩٩٣.
- ٥٠- الصنعاني : محمد بن إسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير، (ت ١١٨٢ هـ).
سبل السلام، وهو شرح لبلوغ المرام، للحافظ شهاب الدين بن حجر، ط ٤، ٤ أجزاء، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٦٠.
- ٥١- الصولي : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، (ت ٣٣٥ هـ).
أدب الكتاب، (ب ط)، ٣ أجزاء، تعليق، محمد بهجة، ونظر فيه محمود الألويسي، (ب ت).



- ٥٢- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).
تاريخ الرسل والملوك، (ب ط)، ١٠ أجزاء، تحقيق، محمد أبو الفضل، دار المعارف، ١٩٦٠.
- ٥٣- ابن الطقطقا: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ).
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (ب ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ٥٤- ابن طيفور: أبي الفضل احمد بن أبي طاهر الخرساني (ت ٢٨٠ هـ).
بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن، (ب ط)، تحقيق، عبد الحليم هندawi، دار
الفضيلة، (ب ت).
- ٥٥- ابن الضياء: محمد بن احمد بن محمد الحنفي (ت ٨٥٤ هـ).
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ط١، تحقيق،
علاء إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- ٥٦- ابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ).
الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ب ط)، ٤ أجزاء، تحقيق، علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر،
جامع بيان العلم، ط١، ط٢، تحقيق، أبو الأشبال، دار ابن الجوزي، ومكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٩٩٦.
القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، (ب ط)، مكتبة القدسي، مطبعة
السعادة، مصر، ١٣٥٠ هـ.
- ٥٧- ابن عبد الحكم: محمد بن عبد الله (ت ٢١٤ هـ).
سيرة عمر بن عبد العزيز، ط٢، علق عليه، أحمد عبيد، مكتبة وهبة، مصر (ب ت).
- ٥٨- ابن عبد ربه: شهاب الدين احمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ).
العقد الفريد، ط٣، ٨ أجزاء، تحقيق، محمد العريان، دار الفكر، (ب ت)، ودار إحياء التراث،
بيروت، ١٩٩٩.
- ٥٩- أبو العرب: محمد بن أحمد بن حميم المغربي، (ت ٣٣٣ هـ).
طبقات علماء أفريقية، (ب ط)، تحقيق، علي الشابي، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨.
- ٦٠- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ).
كتاب الأربعين البلندنية، (ب ط)، تحقيق، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت، (ب ت).



تاريخ مدينة دمشق، (ب ط)، تحقيق، محب الدين أبي سعيد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
تهذيب تاريخ دمشق الكبير، (ب ط)، تهذيب، عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

٦١- العسكري: أبو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، (ت في القرن السابع الهجري).
الأوائل، (ب ط)، تحقيق، محمد المصري ووليد قصاب، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥.

٦٢- ابن عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ).
ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (ب ط)، جزأين، تحقيق، أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥. ومناك نسخة ٤ أجزاء، ١٩٦٧.

٦٣- الغزالي: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ).
إحياء علوم الدين، ط ١، ٥ أجزاء، تحقيق، سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢.

٦٤- أبو الفرج: قدامة بن جعفر بن قدامة (ت ٣٢٨).
الخراج وصناعة الكتابة، (ب ط)، تحقيق، محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.

٦٥- الفسوي: أبي يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ).
المعرفة والتاريخ، ط ٣، ١ أجزاء، وضع حواشيه، خليل المصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٦٦- الفيروز آبادي: أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣ هـ).
المغانم المطابة في معالم طابة، ط ١، تحقيق، حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٩.

٦٧- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).
الإمامة والسياسة، المعروفة بتاريخ الخلفاء، (ب ط)، بيروت، ١٩٨٠.
الشعر والشعراء، (ب ط)، جزاءان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٤.
عيون الأخبار، ط ١، ٤ مجلدات، تحقيق، محمد الاسكندراتي، بيروت، ١٩٩٤، ودار الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.

المعارف، ط ٢، تحقيق، ثروة عكاشة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، والهيئة المصرية، ١٩٩٢.

٦٨- القرشي: يحيى بن آدم، (ت ٢٠٣ هـ).

كتاب الخراج، طبعة خاصة، تحقيق، حسين مؤنس، بنك الكويت الصناعي، (ب ت).



- ٦٩- القلقشندي: احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ).
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط١، علق عليه، محمد حسن، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٧.
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط١، تحقيق، إبراهيم الأبياري، العربية للنشر، ١٩٥٩.
- ٧٠- ابن القيسراني: محمد بن طاهر بن علي بن أحمد بن أبي الحسن الشيباني (ت ٥٠٧ هـ).
كتاب السماع، (ب ط)، تحقيق، أبو الوفاء المراغي، القاهرة، ١٩٧٠.
- ٧١- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي (٧٥١ هـ).
أعلام الموقعين عن رب العالمين، (ب ط)، ٤ أجزاء، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣.
الطب النبوي، ط٣، تحقيق، عبد الغني عبد الخالق، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٨٠.
- ٧٢- كبريت: محمد كبريت الحسيني المدني (ت ١٠٧٠ هـ).
الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، (ب ط)، تحقيق، أحمد سعيد بن سليم، ١٩٩٧.
- ٧٣- ابن كثير : أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ).
البداية والنهاية، (ب ط)، تحقيق، أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢.
السيرة النبوية، (ب ط)، ٤ أجزاء، ضبطه، أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، (ب ت).
- ٧٤- الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٤٠ هـ).
جمهرة النسب، ط١، تحقيق، ناجي حسن، عالم الكتب، ١٩٨٦.
نسب معد واليمن الكبير، ط١، جزأين، تحقيق، ناجي حسن، عالم الكتب، ١٩٨٨.
- ٧٥- ابن ماجة : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ).
سنن ابن ماجة، ط٥، ١ أجزاء، تحقيق، محمود محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ٧٦- المراغي : زين الدين أبي بكر بن الحسين (ت ٨١٦ هـ).
تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، ط١، تحقيق، سعيد عبد الفتاح، مكتبة نزار، مكة، ١٩٩٧.
- ٧٧- المرجاني: عبد الله بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٦٩ هـ).
بهجة النفوس والأسرار، ط١، جزأين، تحقيق، مركز البحوث، مكتبة نزار مصطفى مكية، ١٩٩٨.



- ٧٨- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ).
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (ب ط) ، تحقيق ، محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ،
 بيروت ، صيدا ، ١٩٨٧ .
- ٧٩- المطري : جمال الدين بن محمد بن أحمد بن خلف المدني (ت ٧٤١ هـ).
التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، (ب ط) ، تحقيق ، محمد بن عبد المحسن ،
 منشورات أسعد ، المدينة المنورة ، ١٩٥٣ .
- ٨٠- المعافري : أبي الحسن علي بن محمد الملقى (ت ٦٠٥ هـ)
الحدائق الغناء ، (ب ط) ، تحقيق ، عائدة الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٨٧ .
- ٨١- المغراوي : أحمد بن أبي جمعة (ت ٩٢٠ هـ) .
جامع جوامع الاختصار ، (ب ط) ، تحقيق ، أحمد لحولي ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، (ب ت) .
- ٨٢- المقدسي : موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) .
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ٣ ، مكتبو مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١ .
الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار ، (ب ط) ، تحقيق ، علي نويهض ، دار الفكر ، دار
 الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- ٨٣- المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥ هـ) .
امتناع الاسماع بما للنبي من الاحوال والاموال ، ط ١١ ، جزء ٥ ، تحقيق ، محمد المنسي ، دار
 الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
- ٨٤- ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) .
تهذيب لسان العرب ، ط ١ ، جزئين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- ٨٥- ابن النجار : الحافظ محمد بن محمود (ت ٦٤٧ هـ) .
الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، ط ١ ، تحقيق ، محمد زينهم ، مكتبة الثقافة ، مصر ، ١٩٩٥ .
- ٨٦- النويري : شهاب أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) .
نهاية الارب في فنون الادب ، (ب ط) ، جزء ٢٨ ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٧٦ .



- ٨٧- النهر والي: قصي الدين النهر والي، (ت ٩٨٨ هـ).
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (ب ط)، (ب د)، القاهرة، ١٩٧٤.
- ٨٨- النيسابوري: أبي الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ).
صحيح مسلم، ط ١، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
- ٨٩- النيسابوري: أبي عبدالله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ).
المستدرك على الصحيحين، (ب ط)، ٤ أجزاء، دار المعرفة، بيروت، (ب ت).
- ٩٠- ابن هشام: أبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري (ت ١٨٣ هـ).
السيرة النبوية، ط ١، تحقيق، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٩٩٥.
- ٩١- الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٤٤ هـ).
صفة جزيرة العرب، (ب ط)، تحقيق، محمد الأكوخ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩. ودار
اليمامة، الرياض، ١٩٧٤.
- ٩٢- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ).
المغازي، (ب ط)، ٣ أجزاء، تحقيق، تحقيق، مارسدن جونز، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦.
- ٩٣- ياقوت: شهاب الدين أبو عبدالله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ).
معجم البلدان، (ب ط)، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، (ب ت).
- ٩٤- اليقوي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ).
البلدان، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٧.
تاريخ اليقوي، ط ٢، جزأين، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠.
مشكلة الناس لزمانهم، ط ٢، تحقيق، وليم فلورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٠.
- ٩٥- أبي يوسف: يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ).
كتاب الخراج، (ب ط)، عنيت بنشره المطبعة السلفية، (ب ت).



ب-المراجع الحديثة:

- ٩٦- أبيض ، ملكة .
التربية والثقافة العربية والإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة (ب . ط) دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٩٧- إدريس ، عبدالله عبد العزيز .
مجتمع المدينة في عهد الرسول ، ط٢ ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٢ هـ .
- ٩٨- إسماعيل ، سعيد .
معاهد التربية الإسلامية ، (ب ط) ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ .
- ٩٩- أطلس ، محمد اسعد .
تاريخ العرب ، ط٢ ، ٨ أجزاء ، دار الأندلس للنشر ، ١٩٧٩ .
- ١٠٠- الأعظمي ، عواد محمد .
الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام من ١ هـ - ١٣٢ هـ ، (ب ط) ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- ١٠١- الأفغاني ، سعيد .
أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٣ ، دار الفكر ، ١٩٧٤ .
- ١٠٢- الألوسي ، محمود شكري .
بلوغ الأرب في أحوال العرب ، ط١ ، ٣ أجزاء ، دار السلام ، بغداد ، ١٣١٤ هـ .
- ١٠٣- أمين ، احمد .
فجر الإسلام ، ط١٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٥ .
- ١٠٤- الأنصاري ، ناجي محمد حسين .
التعليم في المدينة المنورة ، ط١ ، (ب د) ، ١٩٩٣ .
- ١٠٥- باشا ، نجاه .
التجارة في المغرب في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة ، (ب ط) ، الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٧٦ .
- ١٠٦- بدر ، عبد الباسط .
التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ط١ ، (ب د) ، ١٩٩٣ .
- ١٠٧- البرادعي ، احمد بن محمد صالح الحسيني .
المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، (ب ط) ، (ب د) ، ١٩٧٣ .
- ١٠٨- بروكلمان ، كارل



- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، منير بعلبكي، ط٦، بيروت، ١٩٧٧.
- ١٠٩- بطاينة، محمد ضيف الله.
- الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، (ب ط)، اربد، دار الكندي، (ب ت).
- دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الإسلامي، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٦.
- ١١٠- بك : خليل مردم.
- جمهرة المغنين، (ب ط)، تعليق عدنان مردم وأحمد الجندي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٤.
- ١١١- بيضون، إبراهيم .
- الحجاز والدولة الإسلامية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٣.
- ١١٢- الترميني، عبد السلام .
- أحدث التاريخ الإسلامي، ط٣، جزأين، طلاس للدراسات، ١٩٩٥.
- ١١٣- جب، هاملتون
- دراسات في حضارة الإسلام، ط٢، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.
- ١١٤- أبو جبلة، عامر جاد الله .
- تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام، ط١، (ب د)، ١٩٩٨.
- ١١٥- جمال الدين، محمد سرور .
- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، (ب ط)، دار الفكر العربي، ١٩٦٠.
- ١١٦- الجمل : شوقي .
- علم التاريخ، نشأته وتطوره ووصفه بين العلوم ومناهج البحث فيه، ط١، (ب د)، ١٩٨٣.
- ١١٧- الجميلي، رشيد .
- تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، ط١، بيروت، ١٩٧٢.
- ١١٨- الجندي، عبد الحليم .
- مالك بن أنس إمام دار الهجرة، (ب ط)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- ١١٩- حبيب، سعيد عبد السلام .
- عمر بن عبد العزيز، ط١، دار الفكر العربي، (ب ت).
- ١٢٠- حتي، فيليب .
- تاريخ العرب (مطول)، ط٣، دار الكشف للنشر، ١٩٦١.
- ١٢١- حركات، إبراهيم.



- السياسة والمجتمع في عصر الراشدين، (ب ط) الأهلية للنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ١٢٢- حسن ، علي إبراهيم .
- التاريخ الإسلامي العام، ط٣، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٣ .
- نساء لهن في التاريخ نصيب، (ب ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١.
- ١٢٣- حسين ، طه
- حديث الأربعاء، (ب ط)، ٣ أجزاء ، دار المعارف، مصر، (ب ت).
- ١٢٤- حسين ، محمد محاسنة .
- بناء الدولة العربية الإسلامية (النظم والحضارة) ، ط١ ، (ب د) ١٩٩٩ .
- ١٢٥- الحميدي ، خالد صالح .
- نشوء الفكر السياسي الإسلامي ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٤ .
- ١٢٦- الخياري ، أحمد ياسين أحمد .
- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ، ط٢، دار العلم، السعودية ١٩٩٠ .
- ١٢٧- خريسات ، محمد عبد القادر .
- المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية ، ط١ ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية، (ب ت) .
- ١٢٨- الخضري ، محمد .
- تاريخ الأمم الإسلامية ، ط١ ، مراجعة احمد حطيط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ١٢٩- الخطيب ، محمد عبد القادر .
- دراسات في تاريخ الحضارات الإسلامية ، ط١ ، (ب د)، ١٩٩١ .
- ١٣٠- خماش ، نجدة .
- الإدارة في العصر الأموي ، ط١ ، (ب د)، ١٩٨٠ .
- ١٣١- درادكة ، صالح موسى إبراهيم، وآخرون .
- تاريخ صدر الإسلام ، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٣ .
- ١٣٢- الدوري ، عبد العزيز .
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (ب ط)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، (ب ت).
- التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، (ب ط)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٨٤ .
- الفكر التربوي في الإسلام، (ب ط)، مؤسسة آل البيت، الجمعية الملكية، عمان، ١٩٨٢ .
- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، (ب ط)، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١ .
- ١٣٣- رشدي ، محمد



- مدنية العرب في الجاهلية والإسلام ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩١١ .
- ١٣٤- رفعت ، إبراهيم
- مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، ط ١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٥ .
- ١٣٥- الرئيس ، محمد ضياء الدين
- الخارج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦١ .
- ١٣٦- الرزقي ، محمد الطاهر .
- قراءات في مجتمع المدينة المنورة ، (ب ط) ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ١٩٩٨ .
- ١٣٧- الزركلي ، خير الدين .
- الأعلام ، ط ٩ ، ٨ أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ .
- ١٣٨- زيدان ، جرجي .
- تاريخ أدب اللغة العربية ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- تاريخ التمدن الإسلامي ، (ب ط) دار الجيل ، بيروت ، (ب ت) .
- العرب قبل الإسلام ، ط ٢ ، ٢٠ مجلد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ١٣٩- السامرائي ، خليل إبراهيم .
- المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عصر النبوة ، ١-١١ هـ ، ط ١ ، مطبعة الزهراء ، الموصل ، ١٩٨٤ .
- ١٤٠- سرور ، محمد نايف زين العابدين ،
- دراسات في السيرة النبوية ، ط ١ ، دار الأرقم ، ١٩٨٦ .
- ١٤١- سعيد ، احمد بن مسلم .
- المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري ، ط ١ ، (ب د) ، ١٩٩٣ .
- ١٤٢- السيف ، عبد الله محمد .
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ، (ب ط) ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ .
- ١٤٣- شاكر ، محمود
- التاريخ الإسلامي ، ط ٣ ، ٩ أجزاء ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ١٤٤- شراب ، محمد محمد .
- المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٤ .
- ١٤٥- الشريف ، أحمد إبراهيم .
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، (ب ت) .



دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط ١، دار الفكر العربي، ١٩٦٨.

١٤٦- الشلبي ، أحمد .

التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها ، تاريخها، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢.
المجتمع الإسلامي ، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣.

١٤٧- صفوت ، أحمد زكي .

عمر بن عبد العزيز ، (ب ط)، دار المعارف ، مصر، (ب ت).

١٤٨- ضيف، شوقي .

التطور والتجديد في العصر الأموي، ط ٣، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥.

الشعر والغناء في المدينة المنورة ومكة لعصر بني أمية ، (ب ط)، دار الثقافة، (ب ت).

١٤٩- الطاهر ، سلوى.

بداية الكتابة التاريخية عند العرب ، ط ١، المؤسسة العربية ، عمان ، ١٩٩٥.

١٥٠- طوطح ، خليل .

التربية عند العرب ، (ب ط)، المطبعة التجارية ، (ب ت).

١٥١- عبد الرحمن ، عائشة.

سكينة بنت الحسين ، (ب ط)، دار الهلال، (ب ت).

١٥٢- عبد العزيز ، السيد.

تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، (ب ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠.

دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ب ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب ت).

١٥٣- عبد القوي، عارف أحمد.

تاريخ أمراء المدينة ١هـ - ١٤١٧هـ ، (ب ط) دار كنانة، (ب ت) .

١٥٤- عجاج ، محمد الخطيب.

السنة قبل التدوين ، ط ٢، دار الفكر، ١٩٩١.

١٥٥- العقيلي، محمد أرشيد.

اليهود في الجزيرة العربية ، ط ١، عمان ، الأردن، ١٩٨٠.

١٥٦- علي ، جواد.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (ب ط) دار العلم للمليين ، بيروت ، (ب ت).

١٥٧- العلي ، صالح أحمد.

تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ط ٢، دار الطلبة ، بيروت، ١٩٦٩.



- دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولى، (ب ط)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩.
- الدولة في عهد الرسول، (ب ط)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨.
- ١٥٨- عمارة ، مصطفى محمد.
- جواهر البخاري وشرح القسطلاني، ط٧، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (ب ت).
- ١٥٩- العمري ، عبد العزيز إبراهيم.
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، ط١، مركز التراث الشعبي، ١٩٨٥.
- ١٦٠- غضبان ، ياسين.
- مدينة يثرب قبل الإسلام، ط١، دار البشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣.
- ١٦١- فوزي، محمد.
- صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦.
- ١٦٢- قطب ، محمد.
- شبهات حول الإسلام، ط١١، دار الشروق، بيروت ، ١٩٧٨.
- ١٦٣- كاهن ، كلود.
- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الأمبراطورية العثمانية، نقله للعربية، بدر الدين القاسم، ط١ ، دار الحقيقة للنشر ، بيروت، لبنان، ١٩٧٢.
- ١٦٤- كرد ، محمد.
- الإسلام والحضارة العربية، (ب ط)، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤.
- ١٦٥- الكر ملي، نستاس ماري.
- النقود العربية وعلم النميات، (ب ط)، مطبعة أليس الحديثة ، القاهرة ، ١٩٣٩.
- ١٦٦- مبلرك ، فيصل عبد العزيز.
- بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار، ط١، دار اشبيب، ١٩٩٨.
- ١٦٧- مدني ، أمين .
- التاريخ العربي ومصادره، (ب ط)، جزأين، دار المعارف ، مصر ، (ب ت).
- ١٦٨- المصري ، جميل عبد الله محمد .
- الموالي " موقف الدولة الأموية منهم، ط١، دار أم القرى ، ١٩٨٨.
- ١٦٩- مصطفى ، شاكر.
- التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومع رجاله في الإسلام)، ط٢،



- ٤ أجزاء ،دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٧٩.
- ١٧٠- **لمعي** ، صالح مصطفى .
المدينة المنورة تطورها العمراني وراثتها المعماري ،دار النهضة العربية،بيروت،١٩٨٦.
- ١٧١- **معروف** ، ناجي .
المفصل في تاريخ الحضارة العربية ،ط١، مطبعة العاني ، ١٩٦٠.
- ١٧٢- **معطي** ، علي .
التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ،ط١، مؤسسة المعارف ،
 بيروت ،١٩٨٨.
- ١٧٣- **المقداد** ، محمود .
الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي ،ط١، دار الفكر ،دمشق ،
 ١٩٨٨.
- ١٧٤- **المكي** ، سليمان عبد الغني .
بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ،دارة الملك عبد العزيز ،
 (ب ط)، (ب د)، ١٩٨٣.
- ١٧٥- **المكي** : محمد طاهر الكردي المكي .
التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ،ط١، ٣ مجلدات ،٦ أجزاء، دار خضر للطباعة والنشر ،
 بيروت ،لبنان، ٢٠٠٠.
- ١٧٦- **المنجد** ، صلاح الدين .
معجم بني أمية ، ط١، دار الكتاب الجديد ،بيروت ، ١٩٧٠.
- ١٧٧- **منسي** ، سامية .
الأنصاريات من الصحابييات ، (ب ط)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٠.
- ١٧٨- **موسى** ، أشرف محمد .
الكتابة العربية والعلمية ،(ب ط)، مكتبة الخانجي ،(ب ت).
- ١٧٩- **النص** ، إحسان .
حسان بن ثابت حياته وشعره ، (ب ط)، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٦٥.
- ١٨٠- **نصار** ، حسين .
نشأة التدوين التاريخي عند العرب ،ط٢، منشورات اقرأ ، ١٩٨٠.
- ١٨١- **هاشم** ، عبد السلام حافظ .
المدينة المنورة في التاريخ ،(ب ط)، دار الجهاد، (ب ت).
- ١٨٢- **هاملتون** ، جب .



دراسات حضارة الإسلام، ط٢، ترجمة إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤ .
١٨٣- الوافي ، محمد عبد الكريم.

منهج البحث والتدوين التاريخي عند العرب، ط٢، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي،
١٩٩٨ .

١٨٤- الوكيل ،محمد السيد.

المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى ، ط١، دار المجتمع ،جدة ، ١٩٨٦.

١٨٥- ولفنسون ، إسرائيل.

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (ب ط)، مطبعة الاعتماد، مصر،
١٩٢٧ .

ج - الرسائل الجامعية:

١٨٦- بشايرة ، عبد الله حسين.

دور المرأة العربية في الحياة العامة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٥.

١٨٧- بواعنة ، لوي إبراهيم .

ثورة أهل المدينة ٦٣هـ ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٨.

١٨٨- التميمي ، حاتم عز الدين.

الحياة الاقتصادية في الحجاز خلال فترة الرسالة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ،
١٩٩٧ .

١٨٩- الحلو، محمود أحمد .

بناء القصيدة لدى شعراء الحجاز في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه ، الجامعة
الأردنية ، ١٩٩٥ .

١٩٠- درادكة : صالح موسى إبراهيم عقلة.

العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، رسالة دكتوراه، جامعة

الأزهر، مصر، ١٩٧٧.

١٩١- أبو سرحان : عطية عودة .

الحياة السياسية والاجتماعية في الحجاز في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه ، مصر.
١٩٧٦.

١٩٢- العزام ، طارق محمد.

النفقات المالية في عهد عثمان بن عفان وأثرها على الأحداث السياسية، رسالة ماجستير ،

جامعة اليرموك ، ١٩٩٨.



١٩٣- كحيل، محمود.

شعر الغزل في حواضر الحجاز ، رسالة ماجستير ، جامعة حلب ، ١٩٩١.

١٩٤- محافظة، حسين علي أحمد .

الرقيق في المجتمع العربي الإسلامي حتى ثورة الزنج ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧.

١٩٥- موسى ، محمود سعيد إبراهيم.

الحياة الزراعية في الحجاز في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية.

د - الدوريات:

١٩٦- الأنصاري : عبد القدوس .

قبيلة بني سليم عبر التاريخ، مجلة قافلة الزيت، مجلد ١٣، العدد ١٢، (ب ت).

١٩٧- الجاسر ، حمد.

القطائع النبوية ، مجلة العرب ، ج ١، ١٩٧٣.

١٩٨- حافظ، علي.

التربية والتعليم عند العرب، مجلة قافلة الزيت، مجلد ٢٠، العدد ٧، (ب ت).

١٩٩- حسين ، فالح.

من طرق استثمار الأرض في الحجاز في صدر الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٣-٤٤، ١٩٩٢.

٢٠٠- خربوطلي ، شكران.

الحياة الاقتصادية في المدينة قبل الهجرة وأثر الهجرة عليها، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٥٥-٥٦، ١٩٩٦.

٢٠١- خماش ، نجدة.

الأوضاع الإدارية في الحجاز في العصر الأموي ، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٧، ٤٨-، ١٩٩٣.

٢٠٢- زبود ، محمد .

دراسة تحليلية لموقف الحجاز من خلافة يزيد الأول ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان، ٦١-٦٢، ١٩٩٧.

٢٠٣- السبطاسي ، محمد مراد.

الموسيقى والغناء عند العرب ، مجلة قافلة الزيت، مجلد ١٤، العدد الأول، (ب ت).



- ٢٠٤- الصالح ، نجلة قاسم.
الأحوال الاقتصادية في الحجاز في القرن الأول الهجري ، مجلة الخليج العربي ، مجلد ١٣ ، العدد الثاني ، ١٩٨١.
- ٢٠٥- ضيف ، شوقي.
الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، مجلة الخليج العربي ، مجلد ١٣ ، العدد الأول ، ١٩٨١.
- ٢٠٦- العقيلي ، عمر بن سليمان.
وقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، مجلد ١٣ ، العدد الأول ، ١٩٨٦.
- ٢٠٧- العلي ، صالح أحمد.
الأوضاع الإدارية في الحجاز في العصر الأموي ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٤٥ - ٤٨ ، ١٩٩٣.
- خطط المدينة المنورة ، مجلة العرب ، ج ١٢ ، ١٩٦٧.
- ملكيات الأراضي في الحجاز في القرن الأول الهجري ، مجلة العرب ، ج ١١ ، ١٩٦٩.

هـ - المراجع الأجنبية:

- ٢٠٨-Britannica, Encyclopedia, vol.15. London (1957).
- 20٩-M.Hamidullah, Educational system in the time of the prophet, Islamic Culture, vol.13, London, 1993.
- 2١٠-The Encyclopedia of Islam, vol.3.
- 2١١-Makdisi, George, The Rise of colleges, Edinburgh university press, 1981.
- 21٢-Nicholson Reynold A., A literary History of the Arabs, Cambridge university press, 1966.
- 21٣-Pedersom, "masjed", the encyclopedia of Islam, vol.3,



Abstract

AL-Madinah in the Umayyad Period,
"A Social, Economic and Cultural study"

By

Abdullah M. Alnawafah

Supervisor

Dr. Saleh AL-hamarneh

This study is considered to be one of the many important studies in the field of historical studies. This is due to the fact that it deals with very important subjects such as the social, the economic and the cultural life.

These subjects have been neglected due to the great attention that was given by historians to the political side, in addition to the fact that information available on these subjects are rare.

I don't claim that I was the only one who worked on such important subjects but I see myself as a one who completed previous works on the same subject and as a stimulator to others Who will try to do the same.

Thus the main concern of this study was AL-Madinah in Ummayyad period. This study has four main chapters, introduction, analysis of sources, conclusion, a list with main references in addition to some special pictures and maps.

The first chapter is a prefatory .Its main concern is the geography and the landscape of AL-Madinah.It is an important chapter because of its data and information.

The second chapter deals with the social life in AL-Madinah in the Umayyad period. For example, it deals with the population and their habitations, the woman in AL-Madinah society and the social affairs.

The third chapter gives a look into the economical life in AL-Madinah.it gives a great attention to agriculture, trade, industry and handicrafts ,in addition to the markets and the architecture.

Finally the main concern of the fourth chapter is the cultural life in AL-Madinah in the Ummaiad period .This cultural life includes education ,religion and the literary field.

This chapter sheds light on the prosperous cultural state that AL-Madinah reached to in the Ummaiad period.

